كتاب اعلام النبوة

تصنيف اقضى القضاة للامام ابى الحسن

علي بن محمد بن حبيب الحبر الامام ابو بكر

المبارك بن فاخر بن يعقوب النحوى

المعروف بابن الدباس والحبر الحافظ

شجاع بن فارس السهروردى كلاهما

عنه يروية عنهما الحبر الامام

سيف الدين يحيى به

ابرهيم بن احمد

السلماسى

رحمهما الله

تعالى

الماوردى

البصرى

رضى الله عنه

يرويه عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى احكم ما خلق و قدر وعدل فما
قسم ودبر وانذر بما انشا واظهر واستر بما
أخفى وأسر وأنعم بما أمر وحظر وارشد الى
البذارة بنوعي تفصيل تميز بهما جنس البشر
عن كل حيوان بهيم وهما نطق يفضى الى
الفهم وعقل يؤدى الى العلم ليعان بهما على
ما كلف من اوان التعبد فيصل بالعقل الى
عمله واستعلامه و بالنطق الى فهمه واستفهامه
فيصير مهيأ لقبول ما كلف من التعارف
ومعانا على ما تعبد به من الشرائع نعمة بها
قطع الأعذار وعمر بها المصالح ليكون الخلق على
رغب يدعوهم الى الطاعة ورهب يكفهم عن
المعصية فيعم الخير بالرغبة ويتحسم الشر
بالرهبة وهذا لا يستقر فى النفوس الا
برسل مبلغون عن الله ثوابه فيما امر وعقابه
فيما حظر فوجب ان يوضح فى اثبات النبوات
ما ينتفى عنه ارتياب مغرور وشبهة
معاند وقد جعلت كتابى هذا مقصورا
على ما اقتضى اليه ودل عليه ليكون عن
الحق موضحا وللسرائر مصلحا وعلى صحة النبوة

دليلا

دليلا ولشبه المستريب مزيلا وجعلت
ما تضمنه مشتملا على امرين احدهما اخص
باثبات النبوة من اعلامها والثاني فيما
يختلف من اقسامها واحكامها ليكون الجمع
بينهما انفى للشبهة وابلغ في الابانة وجعلت
ما تضمنه هذا الكتاب مشتملا على احد وعشرين بابا

الباب الأول في مقدمة الأدلة

الباب الثاني في معرفة الاله المعبود

الباب الثالث في صحة التكليف

الباب الرابع في اثبات النبوات

الباب الخامس في مدة العالم وعدة الرسل

الباب السادس في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

الباب السابع فيما يتضمنه القرآن من انواع اعجازه

الباب الثامن في معجزات عصمته

الباب التاسع فيما شوهد من معجزات افعاله

الباب العاشر فيما سمع من معجزات اقواله

الباب الحادي عشر فيما اكرمه الله به من اجابة دعوته

الباب الثاني عشر في انذاره بما يستحدث بعده

الباب الثالث عشر في معجزة بما ظهر من البهائم

الباب الرابع عشر في معجزه في ظهور المعجز من الشجر والجماد

الباب الخامس عشر في بشائر الأنبياء بنبوته

الباب السادس عشر في هتوف الجن بنبوته
الباب السابع عشر فيما همست النفوس من الهام العقول بنبوته
الباب الثامن عشر في مبادي نسبه وطهارة مولده
الباب التاسع عشر في ايات مولده وظهور بركته
الباب العشرون في شرف اخلاقه وكمال فضائله
الباب الحادي والعشرون في مبتدا بعثته واستقرار نبوته
وانا اسال الله تعالى حسن معونته وارغب اليه
في توفيقه وهدايته وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحابته هو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول في مقدمة الأدلة

والأدلة ما اوصلت الى العلم بالمدلول عليه والدليل
معلوم بالعقل والمدلول عليه معلوم بالدليل
فيكون العقل موصلا الى الدليل وليس بدليل
لأن العقل اصل كل معلوم من دليل ومدلول
عليه ولذلك سمي أم العلم فصار العقل
مستدلا وان لم يكن دليلا والعلم الحادث
عنه يميز به الحق من الباطل والصحيح من الفاسد
والممكن من الممتنع وهو على ضربين علم اضطرار
وعلم اكتساب فأما علم الأضطرار فهو ما أدرك
ببداية العقول وهو نوعان حسن ظاهر وخبر
متواتر وعلم الحسن متأض عن العقل وعلم
الخبر

الخبر متقدم عليه ولا يفتقر علم الأضطرار الى
نظر واستدلال لادراكه ببديهة العقل
ويشترك فيه الخاصة والعامة ولا يتوجه
اليه مجد ولا يحسن فيه المطالبة بدليل لانه
غاية لتناهي النظر

فصل

واما علم الأكتساب فطريقه النظر والأستدلال
لأنه غير مدرك ببديهة العقل فصح أنه
يتوجه اليه الأعتراض فيه فيطلب الدليل
عليه فلذلك لم يوصل اليه الا بالنظر
والأستدلال وهو على ضربين احدهما ما كان
من قضايا العقول والثاني ما كان من أحكام
السمع فاما قضايا العقول فضربان احدهما
ما علم استدلالا بضرورة العقل والثاني ما علم
استدلالا بدليل العقل فأما المعلوم بضرورة
العقل فهو ما لا يجوز ان يكون على خلاف ما هو
به كالتوحيد فيوجب العلم الضروري وان كان
عن استدلال للوصول اليه بضرورة العقل واما
المعلوم بدليل العقل فهو ما يجوز ان يكون على
خلاف ما هو به كآحاد الأنبياء اذا ادعى النبوة
فيوجب علم الأستدلال ولا يوجب علم الأضطرار
لحدوثه عن دليل العقل لا عن ضرورته واختلف

فی اصل النبوات علی العموم هل یعلم بضرورة
العقل او بدلیله علی اختلافهم فی التعبد
بالشرائع هل اقترن بالعقل او تعقبه فذهب
من جعله مقترنا بالعقل الی اثبات عموم النبوات
بضرورة العقل وذهب من جعله متأخرا عن
العقل الی اثباتها بدلیل العقل وذهب
اصحاب الألهام الی اسقاط الأستدلال
بقضایا العقول وجعلوا اثبات المعارف بالألهام
أصلا یغنی عن اصل وهذا فاسد بقول
الله تبارك وتعالی فاعتبروا یا اولی الأبصار
فجعله بالأعتبار مدرکا دون الألهام ویقال
لمن اثبت المعارف بالألهام لم قلت بالالهام
فان استدل ناقض او قال قلته بالألهام
قیل له انفصل عمن اسقط الألهام بالألهام
وعمن قال فی الألهام بغیر الهامك فی جمیع
اقوالك فلا یجد فصلا وکفی بذلك فسادا

فصل

فاذا ثبت ان کل الضربین مدرك بقضیة العقل
فیما علم بضرورته من التوحید او بدلیله من
النبوة صار بعد العلم به واجبا واختلف فی
وجوبه هل وجب بما صار معلوما به من قضیة
العقل

العقل او بالسمع فذهب قوم الى وجوب التوحيد
والنبوة بالعقل كما علما بالعقل ويكون التوحيد
وعموم النبوات قبل السمع فرضا وذهب آخرون
الى وجوبهما بالسمع وان علما بالعقل لأن
الوجوب تعبد لا يثبت الا بالسمع واختلف
من قال هذا في وجوب ورود السمع به فأوجبه
بعضهم ولم يوجبه آخرون منهم واسقطوا فرض
التوحيد عن العقلاء اذا لم يرد سمع بايجابه
وذهب آخرون الى أن ما علم بضرورة العقل
من التوحيد واجب بالعقل وما علم بدليل
العقل من النبوة واجب بالسمع لأن التوحيد
اصل والنبوة فرع والاجتهاد فيها فرض على
اعيان ذوى العقول اذا اقترن بكمال عقله
قوة الفطنة وصحة الروية فيستغنى بكمال عقله
وصحة رويته عن تنبيه ذوى العقول الوافرة
ليصل باجتهاد عقله من اضطرار او استدلال
الى قضايا العقول فيصير عالما بها ومستغنيا عن
عقل غيره فيها وان ضعفت فطنته وقلت
رويته لزمه ان يتنبه بذوى العقول على
الوصول اليها بعقله لا بعقولهم فيعلمها بالتنبيه
كما علمها غيره بالنظر وان لم يصل اليها بالتنبيه

علم

فليس بكامل العقل ويصير تبعا لذوى العقول
لأن عدم الموجب دليل على سقوط الموجب

فصل

والعقل هو ما أفاد العلم بموجباته وقيل بل هو قوة
التمييز بين الحق والباطل وقيل هو العلم بخفيات
الأمور التى لا يوصل اليها الا بالاستدلال والنظر
وهو ضربان غريزي هو اصل ومكتسب هو فرع
فأما الغريزي فهو الذى يتعلق به التكليف ويلزم
به التعبد واما المكتسب فهو الذى يؤدى الى
صحة الاجتهاد وقوة النظر ويمتنع ان يتجرد
المكتسب عن الغريزى ولا يمتنع ان يتجرد الغريزي
عن المكتسب لأن الغريزي اصل يصح قيامه
بذاته والمكتسب فرع لا يصح قيامه الا بأصله
ومن الناس من امتنع من تسمية المكتسب عقلا
لأنه من نتايجه ولا اعتبار بالنزاع فى التسمية
اذا كان المعنى مسلما

فصل

فأما احكام السمع فما أخوذة ممن يلزم طاعته
من الرسل والعقل مشروط فى التزامها وان
لم يكن السمع مشروطا فى قضايا العقول وما
يتضمنه السمع نوعان تعبد وانذار فالتعبد
الأوامر والنواهى والانذار الوعد والوعيد

فان جمع

فان جمع الرسول بين التعبد والانذار فهو الشرع
الكامل المغني عن غيره وان انفرد بالتعبد دون
الانذار فان تقدمه انذار غيره كمل الشرع
بتعبده وانذار من تقدمه وان لم يتقدمه انذار
من غيره اما في مبادي البعوات او في من لم تبلغهم
دعوة الانبياء فقد اختلف في قضايا العقول
هل تقتضي الثواب على الطاعة والعقاب
على المعصية فذهب فريق الى اقتضائها لذلك
فعلى هذا يكون شرعا كمل بتعبد الرسول
وانذار العقول وذهب فريق الى ان قضايا
العقول لا تقتضي ثوابا ولا عقابا فعلى هذا
اختلف في التعبد هل يكون مستحقا على ما تقدم
من نعمة الله تعالى على خلقه او لجزاء مستقبل
فذهب فريق الى استحقاقه بسابق النعمة فان
وعد الله تعالى ثوابا عليه كان تفضلا منه
يستحق بالوعد دون التعبد فعلى هذا يكون
التعبد فرضا مستحقا يقتضي تركه عقابا وان
لم يقتض فعله ثوابا وذهب آخرون الى
استحقاقه بما يقابله من الجزاء بالثواب
عليه وما تقدم من النعمة تفضل منه فعلى
هذا يكون التزام التعبد مستحبا وليس

بمستحق فلا يلزم تركه عقاب كما لم يستحق على
فعله ثواب لأنه لم يقترن به وعد بثواب
يوجب التزام التعبد وان انفرد الرسول بالانذار
دون التعبد فالأنذار لا يكون الا على فعل والا كان
عبثا لا يصدر عن حكيم فان كان انذاره على شرع
تقدمه تضمن انذاره اثبات ذلك الشرع وكان
هذا المنذر من امة ذلك المتعبد فان كان
قد انذر كان هذا الأنذار تأكيدا ولم يحتج
المنذر الى اظهار معجزة وان يكن المتعبد قد
انذر تكامل شرع المتعبد بانذار المتاخر
وتكامل انذار المتاخر بتعبد المتقدم
واحتاج المنذر الى اظهار معجزة لأن انذاره
موجب لكمال الشرع وان انذر المتاخر على فعل
الخير واجتناب الشر خرج عن حكم الشرع الى
الواعظ والزجر بأمر الهي يستحق به بسط اليد
في الأنكار واستيفاء ما تضمنه الأنذار

الباب الثاني

في معرفة الأله المعبود لا يصح التعبد ببعثة
الرسل الا بعد معرفة المعبود المرسل ليعلم
انهم رسل مطاع معبود فيطاعوا لغرض طاعة
المعبود والمعبود هو الله تعالى المنعم على عباده
بما لا يفهم

بما كلفهم من عبادته وافترض عليهم من طاعته
بعد النعمة عليهم بخلق ذواتهم والارشاد
الى مصالحهم فاستودعهم علم اضطرار يدرك
ببداية العقول وعلم اكتساب يدرك بالفكر
والنظر ولما كانوا محجوبين عن ذاته لم يدركوه
ببداية الحواس اضطرارا وقد ظهر من اظهار
صنعته واتقان حكمته ما يوصل الى معرفة
ذاته وصفاته اكتسابا لادراكها بالاعتبار والنظر
ولو شاء لخلق ما يدرك ببداية الحواس لكن
معرفته بالاستدلال ابلغ في الحكمة لظهور
التباين في الرتبة فلذلك ما امتنع الوصول
الى معرفته اضطرارا ووصل اليها استدلالا
واكتسابا يخرج عن بداية العقول الى استدلال
معقول والذي يودي الى معرفته يشتمل على
ثلثة فصول احدها ان العالم محدث وليس
بقديم والثاني ان للعالم محدثا قديما والثالث
انه واحد لا شريك له فاما بد والفصل الاول
في حدث العالم فالمحدث ما كان له اول والقديم
ما لا اول له والدليل على حدث العالم شيئان
احدهما ان العالم جواهر واجسام لا تنفك من
اعراض محدثة من اجتماع وافتراق وحركة

وسكون وانما كانت الأعراض محدثة لأحد
امرين احدهما انه لا يصح قيامها بذواتها
والثاني لوجودها بعد عدمها وزوالها بعد
وجودها ومالم تنفك عن الأعراض المحدثة لم
يسبقها لأنه لو سبقها لكان لا مجتمعا ولا
مفترقا ولا متحركا ولا ساكنا وهذا مستحيل
فاستحال سبقه لها ومالم يسبق المحدث
فهو محدث فان قيل فليس يستنكر بأن
تكون الحوادث الماضية لا اول لها فلم يلزم حدث
العالم قيل اذا كان لكل واحد من الحوادث اول
اول استحال ان لا يكون لجميعها اول لأنها
ليست غير احادها فصارت جميعها محدثة
لأنها ذوات اوائل محدثة والدليل الثاني على
حدث العالم وجوده محدودا متناهي الأجزاء
والأبعاض وما تناهت اجزاؤه وامكن توهم
الزيادة عليه والنقصان منه كان تقدره على
ما هو به دليلا على ان غيره قدره اذ ليس كون
ذاته على صفته باولى من كونه على غيرها
لولا تقدير غيره لها فان قيل فلم لا كانت طينته
قديمة واعراض تركيبه وتصويره حادثة كافعال
الله تعالى حادثة عن ذاته القديمة قيل لأن

حدوث

حدوث اعراضه فيه وهو لا ينفك منها فصار
محدثا بها وافعال الله تعالى حادثة في غيره فلم
يمتنع حدوثها من قدمه ولو حدث فيه لمنعت
من قدمه

فصل

واما الفصل الثاني ان للعالم محدثا قديما فالدليل
على ان له محدثا شيئان احدهما انه لما استحال
ان يكون العالم محدثا لذاته لافتضايه الى وجوده
قبل حدثه دل على ان محدثه غيره والثاني ان
وجود ما لم يكن يوجب ان يقتضي موجدا كما
اقتضى المبني بانيا والمصنوع صانعا والدليل
على قدم محدثه شيئان احدهما انه لا أول
له وما لا أول له قديم والثاني انه لو لم يكن
قديما لاحتاج الى محدث ولاحتاج محدثه الى
محدث ولا نتهى الى ما لا غاية له فامتنع وثبت
قدمه انه لم يزل ولا يزال فلم يكن له أول
ولا يكون له آخر واذا كان محدثه قديما وجب
ان يكون قادرا مريدا والدليل على قدرته
انه يصح منه ان يفعل ولا يفعل مع انتفاء
الموانع وقد فعل فدل وجود الفعل منه على
قدرته عليه والدليل على انه مريد انه لما
وجد منه الفعل وهو غير ساه ولا مكره

ولا عابث لانتفاء السهو عنه بعلمه وانتفاء
الاكراه عنه بقدرته وانتفاء العبث عنه
بحكمته دل على ارادته كما كانت كتابة الكاتب
مع انتفاء هذه العوارض دليلا على ارادة
كتابته فصار احدانه للعالم دليلا على قدمه
وحدوث افعاله وقدمه يوجب ان تكون
صفات ذاته قديمة لقدمه وحدوث افعاله
يوجب ان يكون صفات افعاله محدثة

فصل

واما الفصل الثالث انه واحد لا شريك
له ولا مثل فالدليل عليه شيئان احدهما
ان عموم قدرته شامل لجميع المحدثات فوجب
ان يكون محدث بعضها محدثا لجميعها اذ ليس
بعضها باخص بقدرته من بعض فاوجب
تكافي الامرين عموم الجميع والثاني انه لو كان
معه غيره لم يخل ان يكون مماثلا او مخالفا
فان خالفه بطل ان يكون قادرا وان ماثله
استحال وجود احداث واحد من محدثين كما
استحال وجود حركة واحدة من متحركين وذهبت
الثنوية من المنابية الى اثبات قديمين هما
عندهم نور وظلمة محدث الخير عن القديم النور
والشر عن

والشر عن الظلمة وهذا فاسد من وجهين
احدهما ان النور والظلمة لا ينفكان من ان
يكونا جسما او جوهرا او عرضا وجميعها محدثة
فدل على حدوثهما والثاني ان الظلمة ليست
بذات وانما هي فقد النور عما يقبل النور ولهذا
اذا افقدنا النور عن الهواء تصورناه مظلما فلم
يجز أن يوصف بقديم ولا يضاف اليها فعل
وذهب المجوس الى ان الله تعالى والشيطان
فاعلان فالله تعالى فاعل الخير خالق الحيوان
النافع والشيطان فاعل الشر وخالق الحيوان
الضار قالوا لأن فاعل الشر شرير ويتعالى
الله عن هذه الصفة وجعلوا لله تعالى
جسما وان كان قديما واختلفوا في قدم
الشيطان فقال به بعضهم وامتنع من قدمه
زرادشت واكثرهم واختلفوا في علة حدوثه
فزعم زرادشت ان الله تعالى استوحش ففكر
فكرة رديئة فتولد منها اهرمن وهو ابليس وقال
غيره بل شك فتولد الشيطان من شكه وقال
آخرون بل حدث به عفن فتولد الشيطان
من عفنه وهذه اقاويل تدفعها العقول اما
جعلهم لله تعالى جسما فدليلنا على حدوث

الاجسام يمنع ان يكون الله تعالى مع قدمه
جسما ودليلنا على التنوية يمنع ان يكون
الشيطان مع الله ثانيا واثبات قدرته يمنع
ان يكون مغلوبا وعلمه يمنع ان يكون شاكا
او مفكرا وانتفاء الحزن عنه يمنع ان يكون
مستوحشا وامتناع الفساد عليه يمنع ان يكون
عفنا وقولهم ان فاعل الشر شرير قبل خروجه
عن قدرته مثبت لعجزه فوجب ان يدخل في

فصل

عموم قدرته
فاما النصارى فقد كانوا قبل ان تنصر قسطنطين
الملك على دين صحيح في توحيد الله تعالى
ونبوة عيسى عليه السلام ثم اختلفوا في
عيسى بعد تنصر قسطنطين وهو اول من
تنصر من ملوك الروم فقال اوائل النسطورية
ان عيسى هو الله وقال اوائل اليعاقبة انه
ابن الله وقال اوائل الملكيه الملكانية ان
الاله ثلثة احدهم عيسى ثم عدل اواخرهم عن
التصريح بهذا القول المستنكر حين استكبرته
النفوس ودفعته العقول فقالوا ان الله تعالى
جوهر واحد وهو ثلثة اقانيم اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانها

واحدة في

واحدة في الجوهرية وان اقنوم الاب هو الذات
واقنوم الابن هو الكلمة واقنوم روح القدس
هو الحيوه واختلفوا في الأقانيم فقال بعضهم
هي خواص وقال بعضهم هي اشخاص وقال بعضهم
هي صفات وقالوا ان الكلمة اتحدت بعيسى
واختلفوا في الأتحاد فقال النسطورية معنى
الأتحاد ان الكلمة ظهرت حتى جعلته هيكلا
وان المسيح جوهران اقنومان احدهما الاهي
والآخر انساني فلذلك صح منه الأفعال
الألهية من اختراع الأجسام واحياء الموتى
والأفعال الأنسانية من الأكل والشرب
وقال اليعاقبة الأتحاد هو الممازجة حتى صار
منهما شيئ ثالث نزل من السماء وتجسد
من روح القدس وصار انسانا هو المسيح وهو
جوهر من جوهرين واقنوم من اقنومين جوهر
لاهوتي وجوهر ناسوتي وقال الملكانية المسيح
جوهران اقنوم واحد وليس لهذه المذاهب
شبهة تقبلها العقول وفسادها ظاهر في
المعقول اما قولهم ان الله تعالى جوهر فقد دل
الناس على حدوث الجواهر فاستحال ان يكون
القديم جوهرا واما قولهم انه ثلثة اقانيم

فان جعلوها اشخاصا قالوا بالتثليث وامتنعوا
من التوحيد وقد دللنا على ان القديم واحد
وان جعلوا الأقانيم خواصا وصفاتا لذات واحدة
فقد جعلوه ابا وابنا من جوهر ابيه فشركوا بينهما
فى الجوهر الألهى وفضلوه على الأب بالجوهر
الأنسانى فلم يكن مع اشتراكهما فى الجوهر الألهى
ان يتولد من الأب باولى ان يتولد منه الاب
مع تفضله بالجوهر الأنسانى وكيف يكون قديما
ما تولد عن قديم وانما ظهرت منه الأفعال
الألهية لأنها من قبل الله تعالى اظهار المعجزة
وليست من فعله كفلق البحر لموسى عليه
السلام وليس ذلك من الالهية موسى وقولهم
جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى فناسوت المسيح
كناسوت غيره من الأنبياء وقد زال ناسوته
فبطل لاهوته

فصل

فاذا ثبت ان الله واحد قديم فقد اختلف
فى معنى وحدانيته فقالت طائفة المراد بأنه
واحد ان جميع المحدثات منسوبة الى قدرة واحدة
احدث القادر بها جميع المحدثات وقالت طائفة
اخرى المراد به نفى القسمة عن ذاته واستحالة
التبعيض والتجزئة فى صفته وقال الجمهور وهو

المذهب

المذهب المشهور انه واحد الذات قديم الصفات
تفرد بالقدم عن شريك مماثل واختص بالقدرة
عن فاعل معادل لاشبيه لذاته ينتفي عنه الحوادث
والاعراض ولاتناله المنافع والمضار ولا ينبعث
بكل ولا بعض ولا يوصف بمكان يحل فيه او يخلو
منه لحدوث الامكنة واستحالة التجزئة ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير كما وصف
نفسه في كتابه ودلت عليه اثار صنعته واتقان
حكمته وقد سئل علي بن ابي طالب عليه
السلام عن العدل والتوحيد فقال التوحيد
ان لاتتوهمه والعدل ان لاتتهمه ففصح بما
بهر ايجازه وقهر اعجازه وقد لحظ دلايل التوحيد
من الشعراء من قال

ايا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له اية * تدل على انه واحد

شاهد دليل على انه واحد

الباب الثالث

في صحة التكليف التكليف هو الزام ما ورد
به الشرع تعبدا وهو نوعان احدهما ما تعلق
بجهته من امر بطاعة و نهي عن معصية والثاني
ما تعلق بحقوق عباده من تقدير الحقوق وتقدير
العقود ليكونوا مدبرين بشرع مسموع منقادين

لدين متبوع فلا تختلف فيه الأراء ولا تتشعب فيه
الأهوا وليعلموا به ابتداء النشأة وانتهاء الرجعة
فتصلح به سرايرهم الباطنة وتكد وتخشع له
قلوبهم القاسية وتجمع به كلمتهم المتفرقة
وتتفق عليه الأهواء المختلفة ويسقط به
تنازعهم في الحقوق المتجاذبة ويكونوا على رغب
في الثواب ببعثهم على خير ورهب من العقاب
بكفهم عن الشر وهذه امور لا يصلح الخلق الا
عليها ولا يوصل بغير الدين المشروع اليها اذ ليس
في طباع البشر ان يتفقوا على مصالحهم من
غير وازع ولا يتناصفوا في الحقوق من غير
دافع لحرصهم على اجتلاب المنافع وبهذا
يفسد ما ذهبت اليه البراهمة من الاقتصار
على قضايا العقول وابطال التعبد بشرائع
الرسل والتكليف حسن في العقول اذا توجه الى
من علمت طاعته واختلف في حسنه اذا توجه
الى من عرفت معصيته فاستحسنه المعتزلة لأن
فيه تعريضا للثواب ولم تستحسنه الأشعرية
لأنه بالمعصية معرض للعقاب والأول اشبه
بمذهب الفقها وان لم اعرف لهم فيه قولا يحكى
واختلف في التكليف هل يكون معتبرا بالأصلح

فالذي عليه

فالذى عليه اكثر الفقهاء والمتكلمين انه معتبر بالأصلح لأن المقصود به منفعة العباد وذهب فريق من الفقهاء والمتكلمين الى انه موقوف على مشيئة الله تعالى من مصلحة وغيرها لأنه مالك لجميعها فمن اعتبر الأصلح منع من تكليف مالا يطاق ومن اعتبر بالمشيئة جوز تكليف مالا يطاق وبه يصح تكليف ما لحقت فيه المشقة المحتملة واختلف فى صحة التكليف فيما لا مشقة فيه فجوزها الفقها ومنع منها بعض المتكلمين وقد ورد التعبد بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وليس فيه مشقة واذا اعتبر التكليف بالأستطاعة لم يتوجه الى ما خرج عن الأستطاعة واختلف فى المانع منه فقال فريق منع منه العقل لامتناعه فيه وقال فريق منع منه الشرع وان لم يمنع منه العقل بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها

فصل

فاذا تقرر شروط التكليف مع كونه حسنا فقد اختلف فى وجوبه فاوجبه من اعتبر الأصلح وحمله مقترنا بالعقل لأنه من حقوق حكمته ولم يوجبه من حمله على الأرادة لأن الواجب

يقتضي علو الموجب وهذا منتف عن الله تعالى
وقد اختلف من قال بهذا في تقديم العقل على
الشرع فقال فريق يجوز ان يقترن بالعقل ويجوز
ان يتأخر عنه بحسب الارادة ولا يجوز ان يتقدم
على العقل لأن العقل شرط في لزوم التكليف
وقال فريق بل يجب ان يكون التكليف واردًا
بعد كمال العقل ولا يقترن به كما لم يتقدم
عليه لقوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك
سدى وهذه صفة تتوجه اليه بعد كمال
عقله

فصل

وقد استقر بما قدمناه ان التكليف الشرعي
ما تضمنه الأوامر والنواهي في حقوق الله تعالى
وحقوق عباده والمأمور به ضربان واجب
وندب فالواجب ما وجب ان يفعل والندب
ما الأولى ان يفعل والمنهي عنه ضربان محظور
ومكروه فالمحظور ما وجب تركه والمكروه ما الأولى
ان تركه فاما المباح فما استوى فعله وتركه
فلا يجب ان يفعل ولا الأولى ان يفعل ولا يجب
ان يترك ولا الأولى ان يترك واختلف في
دخول المباح في التكليف فذهب بعض اصحاب
الشافعي الى دخوله في التكليف واختلف قايل

هذا هل

هذا هل دخل فيه بأذن او امر على وجهين
احدهما بأذن باذن ليخرج عن حكم الندب والثانى
بامر دون امر الندب كما ان امر الندب دون
امر الواجب وذهب آخرون من اصحاب
الشافعى الى خروجه من التكليف باذن او امر
لاختصاص التكليف بما تضمنه ثواب او عقاب
واتفقوا فى المباح انه لا يستحق عليه حمد ولا
ذم ويخرج عن القبيح واختلفوا فى دخوله فى
الحسن فادخله بعضهم فيه واخرجه بعضهم
منه

فصل

والأمر بالتكليف هو استدعاء الطاعة بالانقياد
للفعل واختلفوا فى اقتران الارادة به هل
يكون شرطا فى صحته فذهب الأشعرى الى
ان الارادة غير معتبرة فيه فيجوز ان يأمر بما
لا يريده ويكون امرا كالذى يريده وذهبت
المعتزلة الى انه لا يكون امرا الا بالارادة
فان لم تعلم ارادته لم يكن امرا واختلفوا
اهل يعتبر ارادة الأمر او ارادة المأمور به
فاعتبر بعضهم ارادة الأمر المنطوق به واعتبر
آخرون منهم ارادة الفعل المأمور به والذى
عليه جمهور الفقهاء أن الأمر دليل على

الأرادة وليست الأرادة شرطا فى صحة الأمر
وان كانت موجودة مع الأمر فيستدل بالأمر على
الأرادة ولا يستدل بالأرادة على الأمر

فصل

ومن صحة الأمر ان يكون بما لا يمتنع منه العقل
فان منع منه العقل لم يصح الأمر به لخروج
التكليف عن محظورات العقول واختلف
هل يعتبر صحته بحسنه فى العقل فاعتبره
فريق واسقطه فريق واذا لم تستوعب نصوص
الشرع قضايا العقول كلها جاز العمل بمقتضى
العقل فيها واختلف فى الحاقها بأحكام الشرع
فالحقها فريق بها وجعلها داخلة فيها لأن
الشرع لا يخرج عن مقتضاها واخرجها فريق
منها وان جاز العمل بها كالمشروع لأن الشرع
مسموع والعقل متبوع

فصل

والأمر يكون بالقول او ما قام مقام القول اذا عقل
منه معنى الأمر واختلف فيه متى يكون
امرا فذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين الى
انه يكون امرا وقت القول ويتقدم على الفعل وذهب
شاذ من الفقهاء والمتكلمين الى انه يكون

امرا وقت

امر اوقت الفعل وما تقدم من القول اعلام
بالأمر وليس بأمر وهذا فاسد لأن الفعل
يجب بالأمر فلو لم يكن ما تقدمه امر الاحتاج
مع الفعل الى تجديد امر

فصل

والأمر ضربان امر اعلام وامر الزام فأما امر الأعلام
فمختص الأعتقاد دون الفعل فيجب ان يتقدم
الأمر على الأعلام الأعتقاد بزمان واحد وهو
وقت العلم به واما امر الألزام فمتوجه الى
الأعتقاد والفعل فيجمع بين اعتقاد الوجوب
وايجاد الفعل ولا يجزيه الأقتصار على
احدهما فان فعله قبل اعتقاد وجوبه لم
يجزه وان اعتقد وجوبه ولم يفعله كان
ماخوذا به ولا يلزم تجديد الأعتقاد عند
فعله اذا كان على ما تقدم من اعتقاده
لأن الأعتقاد تعبد التزام والفعل تأدية
مستحق فيجب ان يتقدم الأمر على الفعل
بزمان الأعتقاد واختلف في اعتبار تقدمه
بزمان التأهب للفعل على مذهبين احدهما
وهو قول شاذ من الفقهاء يجب تقديمه على
الفعل بزمانين احدهما زمان الأعتقاد والثاني

زمان التاهب للفعل وبه قال من المتكلمين
من اعتبر القدرة على الفعل والمذهب الثاني
وهو قول جمهور الفقهاء يعتبر تقديم الأمر
على الفعل بزمان الاعتقاد وحده والتاهب
للفعل شروع فيه فلم يعتبر تقدمه عليه
وبه قال من المتكلمين من اعتبر القدرة مع الفعل

الباب الرابع

في اثبات النبوات والأنبياء هم رسل الله
تعالى الى عباده باوامره ونواهيه زيادة على
ما اقتضته العقول من واجباتها والزاما لما
جوزته من مباحاتها لما اراده الله تعالى من
اكرامه العاقل وتشريف افعاله واستقامة
احواله وانتظام مصالحه حين هياءه للحكمة
وطبعه على المعرفة وليجعله حكيما وبالعواقب
عليما لأن الناس بنظرهم لا يدركون مصالحهم
بانفسهم ولا يشعرون بعواقب امورهم
بغرايزهم ولا ينزجرون مع اختلاف هممهم
دون ان ترد عليهم آداب المرسلين واخبار
القرون الماضين فتكون آداب الله فيهم
متعملة وحدوده فيهم متبعة وأوامره فيهم
ممتثلة ووعده ووعيده فيهم زاجرا وقصص

من عبر من الأمم واعظا فان الأخبار العجيبة
اذا طرقت الأسماع والمعانى الغريبة اذا
ايقظت الأذهان استمدتها العقول فزاد
علمها وصحح فهمها فاكثر الناس سماعا اكثرهم
خواطر واكثرهم خواطرا اكثرهم تفكرا واكثرهم
تفكرا اكثرهم علما واكثرهم علما اكثرهم عملا
فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل ولا منهم
فى انتظام المصالح بدل وانكر فرق من الأمم
نبوات الرسل وهم فيها ثلثة اصناف احدها
ملحدة دهريه يقولون بقدم العالم وتدبير
الطبائع فهم بانكار المرسل احرى ان
يقولوا بانكار الرسل والصنف الثانى براهمه
موحده يقولون بحدث العالم ويجحدون بعثة
الرسل ويبطلون النبوات وهم المسئولون
الى برهم صاحب مقالتهم وشذ فريق منهم
فادعى انه آدم ابو البشر ومنهم من قال هو
ابراهيم ومن قال من هذه الفرقة الشاذة
منهم انه احد هذين اقر بنبوتهما وانكر نبوة
من سواهما وجمهورهم على خلاف هذه
المقالة فى اعترافهم الى صاحب مقالتهم وان
كان جميع النبوات عموما والصنف الثالث

فلاسفة لا يتظاهرون بانكار النبوات وهم
مبطلوها فى تحقيق قولهم لأنهم يقولون ان
العلوم الالهية بعد كمال العلوم الرياضية
من الهندسة والفلسفة ليضعها من كملت
رياضته اذا كان عليها مطبوعا واختلف من
ابطل النبوات فى علة ابطالها فذهب بعضهم
الى ان العلة فى ابطالها ان الله تعالى قد اغنى
عنها بما دلت عليه العقول من لوازم ما يأتى به
الرسل وهذا فاسد من وجهين احدهما انه
لا يمنع ما دلت عليه العقول جوازا ان يأتى
به الرسل وجوبا ولو كان العقل موجبا لما امتنع
ان يأتى به الرسل تأكيدا كما تترادف دلائل
العقول على التوحيد ولا يمنع وجود بعضها
من وجود غيرها والثانى انه لا يستغنى بقضايا
قضايا العقول عن بعثة الرسل من وجهين
احدهما ان قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت
فيه ادلتها فاكتسم ببعثة الرسل اختلافها
والثانى انه لا مدخل للعقول فيما يأتى به الرسل
من الوعد والوعيد والجنة والنار وما
يشرعونه من اوصاف التعبد الباعث على
التأله فلم يغن عن بعثة الرسل وذهب

آخرون منهم

آخرون منهم الى ان العلة فى ابطال النبوات
ان بعثة الرسل الى من يعلم من حالهم انهم
لا يقبلون منهم ما يلقوه اليهم عبث تمنع
منه حكمة الله تعالى وهذا فاسد من وجهين
احدهما انه ليس بعبث ان يكون فيهم من
لا يقبله كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من
دلائل العقول على توحيده عبثا وان كان
فيهم من لا يستدل على توحيده كذلك بعثة
الرسل والثانى ان وجود من يقبله فيهم على
هذا التعليل يوجب بعثة الرسل والثانى
ان وجود من يقبله فيهم على هذا التعليل يوجب
بعثة الرسل وهم يمنعون من ارسالهم الى
من يقبل ولا يقبل فبطل به هذا التعليل
وقال آخرون قبل العلة فيه ما جاء به الرسل
مختلف ينقض بعضه بعضا وينسخ المتأخر
ما شرعه المتقدم وقضايا العقول لا تتناقض
فلم تر تنفع بما يختلف ويتناقض وهذا فاسد
من وجهين احدهما ان ما جاء به الرسل ضربان
احدهما ما لا يجوز الا ان يكون على وجه واحد
وهو التوحيد وصفات الرب والمربوب فلم
يختلفوا فيه واقوالهم متناصرة عليه والضرب

الثانى مالا يجوز ان يكون من العبادات على وجه
ويجوز ان يكون على خلافه ويجوز ان يكون
فى وقت ولا يجوز ان يكون فى غيره وهذا
النوع هو الذى اختلف فيه الرسل لاختلاف
اوقاتهم اما بحسب الأصلح واما بحسب الامارة
وهذا فى قضايا العقول جائز والوجه الثانى
ان قضايا العقول قد يختلف فيها العقلا ولا
يمنع ذلك ان تكون العقول دليلا كذلك
ما اختلف فيه الرسل لا يمنع ان يكون حجة
وقال آخرون منهم بل العلة فى ابطال النبوات
انه لا سبيل الى العلم بصحتها لعينها وان
ظهور ما ليس فى الطباع من معجزاتهم ممتنع
بالطباع الدافعة لها وهذا فاسد من وجهين
احدهما ان المعجزات من فعل الله تعالى فيهم
فخرجت عن حكم طباعهم والثانى انهم لما
تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة تميزوا
بما يخرج عن عرف الطباع من الاعجاز وقال
آخرون منهم بل العلة فى ابطال النبوات ان
ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة يوجد
مثله فى اهل الشعبذة والمخرقة وأهل
النارنجيات وليس ذلك من دلائل صدقهم

فذكرنا

فكذلك احكام المعجزات وهذا فاسد من وجهين
احدهما ان الشعبذة تظهر لذوى العقول
وتتدلس على الغبى الجهول فخالفت المعجزة
التى تذهل لها العقول والثانى ان الشعبذة
تستفاد من بالتعليم فيتعلمها من لم يحسنها
فيصير مكافئا لمن يحسنها ويعارضه بمثلها
والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ولا
احد بمثلها كما انقلبت عصا موسى حية تسعى
تلقف ما افكه السحرة فخروا له سجدا ولئن
كان فى ابطال هذه الشبه دليل على اثباتها
فيستدل على اثبات النبوات من خمسة
اوجه وان اشتملت تلك الأجوبة على بعضها
احدها ان الله تعالى منعم على عباده بما
يرشدهم اليه من المصالح ولما كان فى بعثة
الرسل مالا تدركه العقول كان ارسالهم من
عموم المصالح التى تكفل بها والثانى ان فيما يأتى
به الرسل من الجزاء بالجنة ثوابا يبعث على
الرغبة فى فعل الخير وبالنار عقابا يبعث على
الرهبة فى الكف عن الشر صار سببا لائتلاف
الخلق وتعاطى الحق والثالث ان فى غيوب
المصالح مالا يعلم الا من جهة الرسل فاستفيد

بهم ما لم يستفده بالعقل والرابع ان التأله
لا يخلص الا بالتدين والدين لا يصلح الا بالرسل
المبلغين عن الله تعالى ما كلف والخامس ان
العقول ربما استنكرت من موافقة الأمكان
ومتابعة النظر فلم يجمعهم عليه الا طاعة
المعبود فيما اداه رسله وصارت المصالح بهم
اعم والأتفاق بهم اتم والشمل بهم اجمع والنافع
بهم امنع فيجوز اثبات التوحيد والنبوات
بدقيق الأستدلال كما يجوز بجليه فان مادق
في العقول هو ابلغ في الحكمة وقد تلوح لابن
الرومي هذا المعنى فنظمه في شعره فقال

* غموض الحق حين يدب * عنه تعلل ناصر الخصم المحق *
* يجل عن الدقيق عقول قوم * فيقضى للمجل على المدقق *

فصل

فاذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات
فهم رسل الله تعالى الى خلقه اما بخطاب
مسموع او سفارة ملك مترل ومنع قوم من
مثبتي النبوات ان تكون نبوتهم عن خطاب
او نزول ملك لانتفاء المخاطبة الجسمانية
منه لأنه ليس بجسم والملائكة من العالم
العلوي بسيط لا يهبط كما ان العالم السفلي

كثيف

كشيف لا يعلموا واختلف من قال بهذا فيما
جعلتهم به انبيا فقال بعضهم صاروا انبيا بالألهام
لا بالوحي وهذا فاسد من وجهين احدهما ان
ما بطل به الهام المعارف في التوحيد كان
ابطال المعارف به في النبوة احق والثاني ان
الألهام خفي غامض يدعيه المحق والمبطل فان
ميزوا بينهما بطلب امارة عدلوا عن الألهام
الى دليل يبطل الألهام وقال آخرون منهم
انما صاروا انبياء لأن لله تعالى في العالم
خواصا واسرارا تخالف مجرى الطبائع فمن
اظهره الله تعالى بها من خلقه استحق
بها النبوة وهذا فاسد من وجهين احدهما
خفاها فيه عن غير دليل على صدقه والثاني
انه يكون نبيا عن نفسه لا عن ربه فصار
كغيره وقال آخرون بل صاروا انبياء لان
الله تعالى خصهم من كمال العقول بما يتوصلون
به الى حقائق الأمور فلا يشتبه عليهم منها
ما يشتبه على غيرهم وصاروا انبياء عن عقولهم
لا عن ربهم وهذا فاسد من وجهين احدهما
ان هذا يقتضي فضل العلم في حقه ولا
يقتضيه في حق غيره والثاني انه ان اخبر عن

نفسه لم يكن رسولا وان اخبر عن ربه رسولا
كان كاذبا وقال آخرون انما صاروا انبياء لأن
النور فيهم صفا ونما بالنور الأعظم الالهى
الذى تخلص به الأفهام وتصح به الأوهام
حتى ينتقلوا الى الطباع الروحانية فيزول
عنهم كدر الطباع البشرية فيخرجوا عن سنخ
الكائنات بصفا نورهم وخلاصهم وهذا
قول البشوية وهو فاسد من وجهين احدهما
انهم دفعوا اسهل الأمرين من بعثة الرسل
اغلظهما من اعطاء نوره فاولى ان يدفعوا من
الأغلظ بما دفعوا به عن الأسهل والثانى
انهم اثبتوا مما زجة البارى سبحانه وتعالى
فيما اختص بذاته ومخالفة الذات تمنع من
مما زجته والجواب عما قالوه من امتناع المخاطبة
الجسمانية ممن ليس بجسم من وجهين
احدهما انه لا يمتنع ان يظهر منه كخطاب
الأجسام وان لم يكن جسما والثانى ان الله
تعالى يجوز ان يودع خطابه فى الأسماع حتى
تعيه الأذان وتفهمه القلوب بقدرته التى
اخفاها عن خلقه والجواب عما ذكروه من
ان جرم الملائكة علوى لا ينهبط من وجهين

احدهما انه

كما يظهر منه كاقوال الأجسام
وان لم يكن جسما

احدهما انه ليس بممتنع ان ينتقل جرم سماوى لطيف الى جرم ارضي كثيف اما بزيادة او بانقلاب كما يقولون فى العقل والنفس انهما جرمان علويان هبطا الى الجسم فخلافيه والثانى انهم يقولون بانقلاب الأجرام الطبيعيات فيقولون ان الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت حرارته ببرودة صار ماء باردا ورطبا وان الماء المركب من برودة ورطوبة اذا ارتفعت برودته بحرارة صار هواء وان الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت رطوبته يبوسة صار نارا فاذا جاز ذلك عندهم فى انقلاب الطبايع كان فى فعل الله تعالى اجوز وهو عليها اقدر ولا يمكن ان تدفع اقاويلهم الخارجة عن قوانين الشرع الا بمثلها وان خرج عن محاجى امثالنا لنقض قولهم بقولهم فلا يتدلس به باطل ولا يضل به جهول فما يضل عن الدين الا قادح فى اصوله ومزر على اهله

فصل

فاذا ثبت ان النبوة لا تصح الا لمن ارسله الله تعالى بوحيه اليه فصحتها فيه معتبرة بثلثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته

احدها ان يكون مدعى النبوة على صفات
يجوز ان يكون مؤهلا لها لصدق لهجته
وظهور فضله وكمال حاله وان اعتوره نقص
او ظهر منه كذب لم يجز ان يؤهل للنبوة من
عدم ألتها وفقد امانتها بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
الى بعض احياء العرب يدعوهم الى الاسلام
فقالوا يا خالد صف لنا محمدا قال بايجاز او باطناب
قالوا بايجاز قال هو رسول الله فالرسول على
قدر المرسل والشرط الثانى اظهار المعجز
يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله ليكون
مضاهية للأفعال الالهية ليعلم انها منه
فتصح دعوى رسالته لأنه لا يظهرها من
كاذب عليه ويكون المعجز دليلا على صدقه
وصدقه دليلا على صحة نبوته والشرط
الثالث ان يقترن بالمعجز دعوى النبوة فان لم
تقترن بالمعجز دعوى لم يصر بظهور المعجز نبيا
لأن المعجز يدل على صدق الدعوى وكان صفة
لها فلم يجز ان تثبت الصفة قبل وجود الموصوف
فان تقدم ظهور المعجز على دعوى النبوة كان
تاسيسا للنبوة ككلام عيسى فى المهد تأسيس

للنبوة

للنبوة واضاجع مع دعوى النبوة الى احداث معجز
يقترن بها ليدل على صدقه فيها وان تقدمت
دعوى النبوة على المعجز اكتفى بحدوث المعجز
بعدها عن اقترانه بها لأن استصحابه الدعوى
مقترن بالمعجز فان ظهر المعجز المقترن بالدعوى
لبعض الناس دون جميعهم نظر فان كان
عددا يتواتر بهم الخبر ويستفيض بهم الأثر
كان الغايب عنهم محجوجا بالمشاهد له في
لزوم الأجابة والأنقياد للطاعة كما يكون
العصر الثاني محجوجا بالعصر الأول وان كان
المشاهد بالمعجز عددا لا يستفيض بهم الخبر
ولا يتواتر بهم الأثر لأمكان تواطئهم على
الكذب او يتوجه الى مثلهم الخطاء ولذلك ٧ والدليل ع
كان المعجز حجة عليهم ولم يكن حجة على غيرهم
حتى يشاهدوا من المعجز ما يكونوا محجوجين
به وسواء كان من جنس الدول او من غير
جنسه فان قصر من شاهد الأول عن عدد
التواتر وقصر من شاهد الثاني عن عدد
التواتر لم يثبت فيهما حكم التواتر ولا في واحد
منهما لجواز الكذب على كل واحد من العددين

فصل ف

واذا كانت حجج الأنبياء على امتهم هو المعجز
الدال على صدقهم فالمعجز ما خرق عادة
البشر من خصال لا تستطاع الا بقدرة الاهية
تدل على ان الله تعالى خصه بها تصديقا
على اختصاصه برسالته فيصير دليلا على
صدقه فى ادعاء نبوته اذا وجد ذلك منه
فى زمان التكليف فاما عند قيام الساعة
اذا سقطت فيه احوال التكليف فقد يظهر
فيه من اشراطها ما يخرق العادة فلا يكون
معجزا لمدعى لنبوة وانما اعتبر فى المعجز خرق
العادة لأن المعتاد يشتمل الصادق
والكاذب فاختص غير المعتاد بالصادق دون
الكاذب فاذا تقرر ان المعجز محدود بما ذكرنا
من خرق العادة فقد ينقسم ما خرج عن
العادة على عشرة اقسام احدها ما يخرج
جنسه عن قدرة البشر كاختراع الأجسام
وقلب الأعيان واحياء الموتى فقليل هذا
وكثيره معجز لخروج قليله عن القدرة كخروج
كثيره به والقسم الثانى ما يدخل جنسه فى
قدرة البشر لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر
كطي الأرض البعيدة فى المدة القريبة فيكون

معجزا لخرق العادة واختلف المتكلمون في
المعجز منه فعند بعضهم ان ماخرج عن القدرة
منه يكون هو المعجز خاصة لاختصاصه
بالعجز وعند آخرين منهم ان جميعه يكون
معجزا لاتصاله بما لايتميز منه والقسم
الثالث ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر
كالاخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزا
بشرطين احدهما ان يكرر حتى يخرج عن حد
الاتفاق والثاني ان يتجرد عن سبب
يستدل به عليه والقسم الرابع ماخرج
نوعه عن مقدور البشر وان دخل جنسه
في مقدور البشر كالقرآن في خروج اسلوبه
عن اقسام الكلام فيكون معجزا لخروج نوعه عن
القدرة فصار جنسا خارجا عن القدرة
ويكون المعجز مع القدرة على آلته من الكلام
ابلغ في المعجزة والقسم الخامس مايدخل
في افعال البشر ويفضي الى خروجه عن مقدور
البشر كالبرء الحادث عن المرض والزرع الحادث
عن البذر فان برء المرض المزمن لوقته
واستحصد الزرع المتباقل قبل اوانه كان
بخرق العادة معجزا لخروجه عن القدرة

والقسم السادس عدم القدرة عما كان داخلا
في القدرة كانذار الناطق بعجزه عن الكلام
واخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة فيكون
ذلك معجزا يخص العاجز ولا ينفداه لانه
على يقين من عجز نفسه وليس غيره على
يقين من عجزه والقسم السابع انطاق حيوان
او حركة جماد فان كان باستدعائه او عن
اشارته كان معجزا له وان ظهر بغير استدعا
ولا اشارة لم يكن معجزا له وان خرق العادة
لانه ليس اختصاصه به باولى من اختصاصه
بغيره وكان من نذر الوقت وحوادثه
والقسم الثامن اظهار الشيء في غير زمانه
كاظهار فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة
الشتاء في الصيف فان كان استباقهما في غير
زمانهما ممكنا لم يكن معجزا وان لم يمكن استباقهما
كان معجزا سواء بداء باظهاره او طولب به
والقسم التاسع انفجار الماء المنقطع او قطع
الماء المنفجر اذا لم يظهر لحدوثه اسباب من
غيره فهو من معجزاته لخرق العادة به والقسم
العاشر اشباع العدد الكثير من الطعام
اليسير وارواؤهم من الماء القليل يكون معجزا

في حقهم

فى حقهم وغير معجز فى حق غيرهم لما قدمناه
من التفاصيل فهذه الأقسام الاربعة نظائرها
الداخلة فى حدود الاعجاز متساوية الاحكام
فى ثبوت الاعجاز وتصديق مظهرها على
ما ادعاه من النبوة وان تفاوت الاعجاز فيها
وتباين كما ان دلائل التوحيد قد تختلف فى
الخفاء والظهور وان كان فى كل منها دليلا
وما فعل ما يقدر البشر على نظاره به وان عجزوا
عن مثله فليس بمعجز لأن الجنس مقدور
عليه وانما الزيارة فضل حذق به كالصنائع
التى يختلف اهلها فيها فلا يكون لأحدهم
بها معجز يجوز ان يدعى بها النبوة فان قيل
فقد جاء زرادشت وبولص بآيات مبهرة
لا تدل على صدقهما فى دعوى النبوة قيل لأنهما
قد اكذبا انفسهما بما ادعياه فى الله تعالى
مما يدل على جهلهما به لأن بولص يقول ان
عيسى عليه السلام اله وزعم زرادشت ان
الله تعالى كان وحده ولا شيئ معه فحين
طالت وحدته فكر فتولد من فكرته اهرمن
وهو ابليس فلما مثل بين عينيه اراد قتله
فامتنع منه فلما رأى امتناعه وادعه الى مدته

وسالمه الى غايته ومن قال بهذا فى الله
تعالى ولم يعرفه لم يجز ان يكون رسولا ثم
دعوا الى القبايح والأخلاق السيئة كما شرع
زرادشت الوضوء بالبول وغشيان الأمهات
وعبادة النيران وكذلك بولص ومانى فخذلهم
الله تعالى ولو دعوا الى محاسن الأخلاق كانت
الشبهة بهم اقوى والاغترار بهم اكثر ولكن
الله تعالى عصم بالمعقول من استرشدها
وقاد الى الحق من ايقظه بها

فصل

ولا يجوز ان يظهر الله تعالى المعجز ممن يجعله
دليلا على صدقه فى غير النبوة وان كان
فيه مطيعا لأن النبوة لا يوصل الى صدقه
فيها الا بالمعجز لانه مغيب لا يعلم الا منه
فاضطر الى الاعجاز فى صدقه وغير النبوة من
اقواله وافعاله قد يعلم صدقه فيها بالعيان
والمشاهدة وتخرج عن صورة الاعجاز وان
تعذرت المشاهدة ولأن لا تشتبه معجزات
الأنبياء بغيرها فاما مدعى الربوبية اذا
اظهر آيات باهرة فقد ذهب قوم الى انها
تكون معجزة بطلت بكذبه فلم يمتنع ظهور

بطلانها

بطلانها ان توجد منه وان لم يجز ان توجد
منه اذا كان كاذبا فى ادعاء النبوة لأنه
لم يقترن بدعواه ما يبطلها كمدعى الربوبية
والذى عليه قول الجمهور أنه لا يجوز ان
يظهر المعجز على مدعى الربوبية كما لا يجوز ان
يظهر على مدعى النبوة لأن معصيته فى
ادعاء الربوبية اغلظ وافكه فيها اعظم فكان
بأن لا يظهر عليه احدر واذا استوضح ما اظهره
مدعى الربوبية من الآيات ظهر فسادها وبان
اختلافها فخرجت عن الاعجاز الى سحرا و
ستعبذة

فصل

ولما علم الله تعالى ان اكثر عباده لا يشهدون
حج رسله ولا يحضرون ايات انبيائه اما لبعد
الدار او لتعاقب الاعصار طبع كل فريق على
الاخبار بما عاين فيعلمه الغايب من الحاضر
ويعرفه المتأخر من المعاصر وقد علم مع اختلاف
الهمم ان خبر التواتر اذا انتفت عنه الريب
حق لا يعترضه شك وصدق لا يشتبه
بافك وضار وروده كالعيان فى وقوع العلم
به اضطرارا فثبت به الحجة ولزم به العمل
وقد قال الطغيل الغنوى مع اعرابية فى وقوع

العلم باستفاضة الخبر ما دلنه عليه الفطرة
وقاده اليه الطبع فقال* تاؤبني هم من الليل
منصب* وجاء من الأخبار ما لا يكذب* تظاهرن
حتى لم يكن لي ريبة* ولم يك عما اخبر واعتقب*

فصل

فأما ما يجوز لمدعي النبوة ان يدعي به النبوة
فينقسم بثلثة اقسام احدها ان يكلمه الله
تعالى بغير واسطة والثاني ان يخاطبه بواسطة
من ملائكته والثالث ان يكون عن رؤيا في
المنام فأما القسم الأول اذا كلمه الله تعالى
بغير واسطة مثل كلامه لموسى حين نودي
من الشجرة على ما قدمناه في الاختلاف
في صفته فيعلم اضطرارا انه من الله وفيما
يقع به علم الاضطرار في كلامه لأهل العلم
فيه قولان احدهما انه يضطر الى العلم به
كما يضطر خلقه الى العلم بسائر المعلومات
ففي هذا يستدل بمعرفة كلامه على معرفته
ويسقط عنه تكليف معرفته فيجوز ان
يكون كلامه من غير جنس كلام البشر للاضطرار
الى معرفته لا معرفة ما تضمنه والقول
الثاني انه يقدر بكلامه من الآيات ما ندل
على انه

على انه منه فعلى هذا لا يسقط عنه تكليف
معرفته ولا يصح ان يكلمه الا بكلام البشر
لعدم الاضطرار الى معرفته واما القسم
الثاني وهو ان يكون كلامه وخطابه بواسطة
من ملائكته الذين هم رسله الى انبيائه
فعلى الانبياء معرفة الله تعالى قبل ملائكته
في رسالته وطريق علمهم به الاستدلال
ثم يصير بعد نزول الملائكة بمعجزاتهم القاهرة
علم اضطرار وعلى الملائكة اذا نزلوا بالوحي
على الرسول اظهار معجزتهم له كما يلزم الرسول
اظهار معجزته لامته روى ان جبريل عليه
السلام لما تصدى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة في الوادي قال له قل يا محمد
للشجرة اقبلي فقال لها ذلك فاقبلت وقال
له قل لها ادبري فقال لها ذلك فادبرت فقال
له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسبي
يعني في العلم بصدقك فيما اتيتني به
عن ربي فتستدل الرسل بالمعجزات على
تصديق الملائكة بالوحي وتستدل الامم
بمعجزات الانبياء على تصديقهم بالرسالة
ويكون خطاب الملك لفظا ان كان قرانا او معانا

مقام اللفظ ان كان وحيا ولا يجوز ان يؤدى
الملك الى الرسول ما تحمله عن ربه الا بلسان
الرسول كما لا يؤدى الرسول الى قومه الا
بلسانهم ويكون الملك واسطة بين الرسول
وبين ربه والرسول واسطة بين الملك وبين
قومه وما يؤديه الملك الى الرسول ليؤديه
الرسول الى قومه ضربان قرآن ووحي فاما
القرآن فيلزم الملك ان يؤديه الى الرسول
بصيغة لفظه وليس للملك ولا للرسول
ان يعدل بلفظه الى غيره ويكون ما تضمنه
من الخطاب المنزل متوجها الى الرسول والى
امته واما الوحي اذا تضمن تكليفا بامر او نهي
فضربان احدهما ان يكون نصا غير محتمل وصريحا
غير متاول فهذا يعلمه الرسول من الملك
بنفس الخطاب ويعلمه الامة من الرسول
بالبلاغ من غير نظر ولا استدلال وليس
للملك ولا للرسول ان يعدل بالنص الى اجمال
او لاحتمال والضرب الثاني ان يكون من المجمل
او المحتمل لمعان مختلفة فهذا يعلم المراد به
من دليل يقترن بالخطاب ودليله ضربان
احدهما عقل المستمع والثاني توفيف المبلغ

فاما ما يعقل

ويلزم الرسول ان يؤديه الى امته بصيغة لفظه

فاما ما يعقل دليله ببديهة العقل فمحمول
على مقتضى العقل ويكفى فيه تبليغ الخطاب
واما ما دليله التوقيف الذى لا يدخل فيه
لبداية العقل كالعبادات فمحمول على التوقيف
من الله تعالى الى ملائكته ومن الملائكة الى
الرسول ومن الرسول الى امته فاما معرفة
الملك منه به فهو غير مشاهد لذاته واختلف
اهل العلم فى معرفته به على مذهبين كالرسول
ان يكلم احدهما بأن يفطره الى العلم به والثانى
بسماع الخطاب المقترن بالآيات واما معرفة
الرسول من الملك ومعرفة الأمة من الرسول
فالرسول مشاهد لذات الملك والأمة
مشاهدة لذات الرسول ومشاهدة الذوات
تأثر فى العلم بمراد الخطاب فيشرع ببيان
توقيفه فيما اريد بالخطاب انواعا فيكون
بعضه باللفظ الصريح وبعضه بالرمز الخفى
وبعضه بالعقل الظاهر وبعضه بالاشارة
الباطنة وبعضه بالامارات التى تضطر
المشاهد الى العلم بما اريد بها وليس لها نعت
موصوف ولا حد مقدر وانما يعلمه المشاهد
بمفهوم اسبابه فيصير البيان باختلاف

النواعه توقيفا من الملك الى الرسول ومن الرسول
الى الأمة فيجوز ان يختلف نوع بيانهما اذا
عرف واما القسم الثالث ان يكون عن
رؤيا منام فان لم يكن ممن تصدق رؤياه لكثرة
اخلاله لم يجز ان يدعى بها به النبوة وان كان
ممن يتصدق رؤياه فقد روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اصدقكم رويا اصدقكم
حديثا لم يجز ان يدعى النبوة بأول رويا لجواز
ان تكون من حديث النفس وان الرؤيا قد
تصح تارة وتبطل اخرى وان تكررت رؤياه
مرارا حتى قطع بصحتها ولم يخالجه شك فيها
جاز ان يدعى النبوة بها فيما كان حفظا لما
تقدمها من شرع ويبعث على العمل بها من
بعد ولم يجز ان يعتد بها في نسخ شرع
واستئناف تعبد فيجوز ان يعمل على رؤيا
نفسه فيما يلزمه من استئناف شرع ولا
يجوز ان يعمل عليها في نسخ ما لزمه من شرع
ليكون بها ملتزما ولا يكون بها مسقطا

فصل

واما خطاب الرسول لأمته فيما يلغهم من رسالة
ربه بعد ظهور معجزته والاخبار بنبوته

فلزومه

فلزومه الأمة معتبر بخمسة شروط احدها
العلم بانتفاء الكذب عنه فيما ينقله عن
الله تعالى من خبر يؤديه من تكليف كما انتفى
عنه الكذب في ادعاء الرسالة ويكون المعجز
دليلا على صدقه في جميع ما تضمنته الرسالة
والثاني ان لم يعلم من حاله انه لا يجوز أن
يكتم ما امر بأدائه لأن كتمانه يمنع من التزام
رسالته لجواز ان يكتم اسقاط ما اوجب وان
جاز ان يكتم ببيانه قبل وقت الحاجة اليه ولا
يكون بكتمانا والثالث ان ينتفي عنه ما يقتضي
التغيير من قبول قوله لأن الله تعالى حماه من
الغلظة لأن لا ينفر من متابعته فكان
اولى ان لا يتنفر عن قبول خطابه والرابع ان
يقترن بخطابه ما يدل على المراد به لينتفي عنه
الالغاز والتعمية في احكام الرسالة حتى
يعلم حقوق التكليف وان جاز تعمية خطابه
فيما لم يتضمنه التكليف قد اعترض رجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اطراف بدر وقال
له ممن انت فقال من ماء فوري عن نسبه بما
استبهم على سائله لخروجه مما يؤديه شرعا
الى امته والخامس العلم بوجوب طاعته

لبعلم بها وجوب اوامره واختلف فى طاعته
هل وجبت عقلا وسمعا بحسب اختلافهم
فى بعثه الرسل هل هو من موجبات العقل اولا

فصل

واذا تكاملت شروط الالتزام لم يخل خطابه
من ان يكون مفهوما او مبهما والمفهوم اربعة
النص ومحوى الكلام ولحن القول ومفهوم
اللفظ فمحوى الكلام ما دل على ما هو اقوى
من نطقه ولحن القول ما دل على مثل نطقه
ومفهوم اللفظ ما اخوذ من معنى نطقه فهذه
الاربعة مفهومة المعانى بالفاظها مستقلة
بذواتها معلومة المراد بظواهرها فلا يحتاج
بعد البلاغ الى بيان واما المبهم فثلثة المجمل
والمحتمل والمشتبه فاما المجمل فما اخذ بيانه
من غيره ولا مدخل للعقل فى تفسيره فلا يعلم
الا بسمع فتوقيف واما المحتمل فهو ما يتردد
بين معان مختلفة فان امكن الجمع بين جميعها
حملا على جميع ما تضمنه واستغنى عن بيان
الا ان يرد بالاقتصار على بعضها بيان وان
لم يمكن حمله على الجميع لتنافيها فكان المقصود
احد معانيها فان امكن الاستدلال عليه بمجرى
الخطاب

الخطاب او بمشاهدة الحال كان فيه بيان
وان تعذر بيانه من هذا الوجه حمل على
عرف الشرع وان تعذر حمله على عرف
الاستعمال حمل على عرف اللغة وان تعذر
حمله على عرف اللغة فبيانه موقوف على
التوقيف واما المشتبه فما استكل لفظه واستبهم
معناه روى ان عمر قال يا رسول الله انك تاتينا
بكلام لا نعرفه ونحن العرب حقا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ربي علمني
فتعلمت وادبني فتاديبت فان تلوح في الشبه
اشارة الى معناه جاز ان يكون استنباطه
موقوفا على الاجتهاد وان تجرد عن اشارة
كان موقوفا على التوقيف وعلى الرسول
تبليغ بيانه كما كان عليه تبليغ اصله وعلى
من سمعه من الرسول ان يبلغه من لم
يسمعه حتى ينقل الى عصر بعد عصر على
الابد فيعلمه القرن الثاني من الاول والثالث
من الثاني كذلك ابدا لتدوم الحجة بهم الى
قيام الساعة وكذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ليبلغ الشاهد الغائب

فصل

واما الفرق بين الأنبياء والرسل فقد جاء بهما
القرآن جميعا ومفصلا لقول الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته فاختلف
اهل العلم في الأنبياء والرسل على قولين احدهما
ان الأنبياء والرسل واحد فالنبي رسول
والرسول نبي مأخوذ من تحمل الرسالة والنبي
مأخوذ من النباء وهو الخبر ان همز لأنه يخبر
به عن الله تعالى ومأخوذ من النبوة ان لم
يهمز وهو الموضع المرتفع وهذا اشبه لأن
محمدا صلى الله عليه وسلم قد كان يخاطب
بهما والقول الثاني انهما مختلفان لأن اختلاف
الأسماء يدل على اختلاف المسمى والرسول
اعلى منزلة من النبي ولذلك سميت الملائكة
رسلا ولم يسموا انبياء واختلف من قال
بهذا في الفرق بينهما على ثلثة اقاويل
احدها ان الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة
بالوحي والنبي هو الذي يوحى اليه في نومه
والقول الثاني ان الرسول هو المبعوث الى
امة والنبي هو المحدث الذي لا يبعث الى امة

قاله قتادة

قاله قطرب والقول الثالث ان الرسول هو
~~المتبوع~~ المبتدى بوضع الشرائع والأحكام
والنبي هو الذى يحفظ شريعة غيره قاله الجاحظ

فصل

واذا نزل الوحي على الرسول وعين له على
زمان الأبلاغ لم يكن له تقديمه عليه ولا
تاخيره عنه وان لم يعين له على زمانه فعليه
تبليغه فى اول اوقات امكانه فان خاف
من تبليغ ما امر به شدة الأذى وعظم
الضرر لزمه البلاغ ولم يكن الأذى عذرا له فى
الترك والتأخير لأن الأنبياء يكلفون
من احتمال المشاق مالا يكلفه غيرهم لعظم
منزلتهم وما امدوا به من القوة على تحمل مشاقهم
وان خاف منه القتل فقد اختلف المتكلمون
فى وجوب البلاغ فذهب بعضهم الى اعتبار
امره بالبلاغ فان أمر به مع خوف القتل لزمه
ان يبلغ وان امر به مع الأمن لم يلزمه البلاغ
اذا خاف القتل وذهب آخرون منهم الى
اعتبار حاله فان لم يبق عليه من البلاغ
مرتبا لزمه ان يقدم بلاغ ما يامن منه القتل
ثم يبلغ ما يخاف منه القتل وان قتل فان

سوى ما يخاف منه القتل فان لم يكن الا ما يخاف منه القتل فان لم يبلغ

كان الآمر بالبلاغ مرتبا بابتداء ما يخاف
منه القتل فان الله يعصمه من القتل
حتى يبلغ جميع ما أمر به لما تكفل به من
الكمال دينه والله اعلم

الباب الخامس

في مدة العالم وعدة الرسل مدة
الدنيا من ابتداء خلق العالم الى انقضائه
وفنائه سبعة الف سنة على ما جاءت
به التوراة المنزلة على موسى وذكره انبياء
بني اسرائيل وقد وافق عليه من قال
بتسيير الكواكب وانها مسير الكواكب السبعة
مسير كل كوكب منها الف سنة وقد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال الدنيا سبعة الف سنة انا في اخرها
الفا وقال بعثت والساعة كهاتين وجمع بين
اصبعيه الوسطى والسبابة يعني ان الباقي
منها كزيادة الوسطى على السبابة وروى
سلمة بن عبد الله الجهني عن ابي رحاب
الجهني انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
رايتك على منبر فيه سبع درج وانت على
اعلاها فقال الدنيا سبعة الاف سنة انا

في آخرها

فى اخرها الفا وروى ابو نضرة عن ابى سعيد
الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد صلاة العصر يقول ايها
الناس ان الدنيا خضرة حلوة وان الله تعالى
مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون واخذ
فى خطبته الى ان قال لا اعرفن رجلا منعته مهابة
الناس ان يتكلم بحق اذا راه و شهده ثم قال
و قد ازف غروب الشمس ان مثل ما بقى من
الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما
مضى منه يوفى بكم سبعون امة قد توفى
منها تسع وستون وانتم آخرها فصارت
هذه المدة المقدرة فى عمر الدنيا سبع الف
سنة متفقا عليها فيما تضمنته الكتب الالهية
ووردت به الأنباء النبوية معما علل به
الموافق من تسيير الكواكب السبعة وان
كان المعول فى المغيب على الأنباء الصادقة
الصادرة عن علام الغيوب الذى لم يشرك
فى غيبه الا من اطلعه عليه من رسله فخلق
العالم فى ستة ايام ابتداوها يوم الأحد
وانقضاؤها يوم الجمعة واختلف اهل
الكتب السالفة واهل العلم فى شرعنا فيما

ابتداء بخلقه على ثلثة اقاويل أحدها
وهو قول طائفة انه بداء بخلق الأرض فى
يوم الأحد والأثنين لقول الله تعالى
أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين
وخلق الجبال فى يوم الثلاثا وخلق الماء والشجر
فى يوم الأربعا وخلق السما فى يوم الخميس
وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة
وآدم فى يوم الجمعة قال الشعبى ولذلك
سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق كل
شئ والثانى وهو قول فريق انه بداء
بخلق السموات قبل الأرض فى يوم الأحد
والأثنين لقول الله تعالى فقضاهن سبع
سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها
فيه ثلثة اوجه احدها اسكن فى كل سما
ملائكتها والثانى خلق فى كل سما ما أودعه
فيها من شمس وقمر ونجوم والثالث اوحى
الى اهل كل سما من الملائكة ما امرهم به من
العبادة ثم خلق الأرض والجبال فى يوم الثلاثا
والأربعا وخلق ما سواهما من العالم فى يوم
الخميس والجمعة والثالث وهو قول آخرين
انه خلق السماء دخانا قبل الأرض ثم فتقها

سبع

سبع سموات بعد الأرض لقول الله تعالى
ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض
ائتيا طوعا اوكرها فيه ثلثة تاويلات
احدها اي اعطيا الطاعة في السير المقدر
لكما باختيار او اجبار قاله سعيد بن جبير
رضي الله عنه والثاني اخرجا ما فيكما طوعا
اوكرها والثالث كونا كما اردت من شدة
ولين وحزن وسهل وممتنع وممكن قالتا اتينا
طائعين اي كما اردت ان تكون وفي قولهما
ذلك وجهان احدهما ان ظهور الطاعة منهما
قام مقام قولهما والثاني انه خلق فيهما كلاما
نطقتا بذلك قال ابو نصر السكسكي فنطق
من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء
ما يحبا لها فوضع الله تعالى فيها حرمه

فصل

فاما آدم عليه السلام فهو آخر ما خلق الله
الله تعالى في يوم الجمعة خلقه من تراب
الأرض ونفخ في انفه من نسمة الحيوة
وهو انفس من كل ذي حيوة روى ابو زهير
عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلق آدم من قبضة قبضها

من جميع الأرض فجاء بنوا آدم على قدر الأرض
منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين
ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب
وبين ذلك وفي تسميته بآدم قولان احدهما
انه اسم عبراني نقل الى العربية والقول
الثاني انه اسم عربي وفيه قولان احدهما
انه سمي بذلك لأنه خلق من أديم الأرض
واديمها وجهها والثاني انه سمي بذلك
لاشتقاقه من الأدمة وهي السمرة فلما
تكامل خلق آدم استوحش فخلق حواء واختلف
فيما خلقت منه على قولين احدهما انه خلقها
من مثل ما خلق منه آدم وهذا قول
تفرد به ابن حجر بحر والقول الثاني وهو
ما عليه الجمهور انه خلقها من ضلع آدم عليه السلام
الأيسر بعد ان القى عليه النوم حتى لم
يجد لها مسا قال بن عباس فلذلك تواصلا
ولذلك سميت امرأة لأنها خلقت من
المرء وفي تسميتها حوا قولان احدهما لأنها
خلقت من حي والثاني لأنها ام كل حي فقال
آدم لما خلقت منه حواء هذا الشخص عظمه
من عظمي ولحمه من لحمي فلذلك صار الرجل

والمرأة

والمراءة لجسد واحد من شدة الميل وفصل
الخنو قال الله تعالى يا ايها الناس اتقوا
ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم
وخلق منها زوجها يعنى حواء وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الرجل
من التراب فهمه بالتراب وخلقت المراءة من
الرجل فهمها بالرجل واختلف فى الوقت
الذى خلقت فيه حواء على قولين احدهما انها
خلقت منه فى الجنة بعد ان استوحش
من وحدته وهذا قول بن عباس وابن
مسعود والقول الثانى انها خلقت من
ضلعه قبل دخوله الجنة ثم ادخلا معا اليها
وهو اشبه بقول الله تعالى فقلنا يا أدم
اسكن انت وزوجتك الجنة وكلا منها
رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين قال بن عباس خلق أدم
يوم الجمعة واخرج منها يوم الجمعة وفيها
تقوم الساعة واختلف فى الجنة التى اسكناها
على قولين احدهما انها جنة الخلد والقول
الثانى انها جنة اعدها الله تعالى لهما
دار ابتلاء وليست جنة الخلد التى

الله دار جزاء وفيها على هذا قولان
احدهما انها في الأرض لأنه امتحنهما فيها
بالأمر والنهي واختلف في الشجرة التي
نهيا عن اكلها انها شجرة الخلد وقيل انها
شجرة العلم وفي هذا قولان احدهما علم
الخير والشر والثاني علم ما لم يعلم وقيل
في الشجرة غير ذلك من الأقاويل فلما اكلا
منها بدت لهما سوآتهما بالمعصية وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة قال الله
تعالى فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما
مما كانا فيه وفيه قولان احدهما عما كانا
فيه من الطاعة الى ما صارا اليه من
النكد والمعصية والثاني عما كانا فيه من
النعيم في الجنة الى ما صارا اليه من النكد
في الأرض فحزن آدم حين اهبط من الجنة
الى الأرض وبقي في حزن مائة سنة لا يقرب
فيه صواحبه ثم غشيها فولدت له بعد المائة
قابيل ثم غشيها فولدت له هابيل فقتل
قابيل هابيل فحزن آدم لذلك حزنا شديدا
وقيل انه جعل حزنه جزاء على معصيته في
الأكل وقد يصاب الآباء في اولادهم من اجل

معاصيهم

٧ انها في السماء لأنه اهبطهما منها والقول الثاني

٨ ناديين

معاصيهم ثم خف حزنه فغشى حواء فولدت
له شيثا وعلم آدم الأسماء كلها كما ذكره
الله تعالى فى قوله فى كتابه وفيما علمه من
الأسماء قولان احدهما علم النجوم قاله حميد
والثانى انها اسماء المسميات وفيه ثلثة
أقاويل احدها اسماء الملائكة قاله الربيع ابن
انس والثانى اسماء جميع ذريته قاله
عبد الرحمن بن زيد والثالث اسماء جميع
الأشياء وفيها فيه على هذا قولان احدهما
ان تعليمه كان مقصورا على الأسماء دون
معانيها والثانى انه علمه الأسماء ومعانيها
لأنه لا فائدة فى علم الأسماء بلا معانيها
لأن المعانى هى المقصودة والأسماء دلائل عليها

فصل

ولما هبط آدم عليه السلام الى الأرض قيل
انه اهبط الى شرقى ارض هند وحواء بجده
وابليس على ساحل بحر أيله والحية فى البرية
وكانت نبوة آدم عليه السلام مقصورة عليه وما نزل
عليه من الوحى متوجها اليه فكان من المصطفين
دون المرسلين واختلف فيه اهل الكتاب
هل خلق فى ابتدائه قابلا للموت ام جعل

الموت عقوبة له على المعصية فقال بعضهم
خلق آدم فى ابتداء انشائه على الطبيعة
الباقية والطبيعة الميتة ليكون ان مال
الى الشهوات الجسمانية واثرها وقع فى
التغاير الجسمانية وناله الموت وان اثر
فضائل النفس بالخير نال البقا الذى سعدت
به الملائكة فلما عصى بأكل الشجرة
عدل الى التغاير فناله الموت واستشهدوا
عليه من التوراة بما ذكره فيها انك ان اكلت
من الشجرة يوم تاكل منها فتموتا بموتى فلم
يجز ان يتوعده بالموت عند معاقبته وهو
يموت لو لم يعاقب وقال آخرون منهم وهو
اشبه بمقتضى العقل انه خلق فى ابتداء
انشائه قابلا للموت فى الدنيا وان لم يقض
لأنه احوجه الى الغذا كذريته وليس
بشئ من الجواهر التى لا بد لها الموت محتاجة
الى الغذا ولم يجعل الموت عقوبة على المعصية
ولذلك لم يمت من عصا الله من الملائكة
وان فى التوراة مكتوبا ان مد يده فى الجنة
الى شجرة الحيوة فاكل منها حتى الدهر كله
فدل على انه مطبوع على قبول الموت ولما

خلق الله

خلق الله تعالى آدم ابتداء ولم يخلقه بتوسط
طبيعه كما خلق نسله كان على افضل ما
اعتدال واكمل عقل فصار قلبه معدنا للحكمة
الانسانية وجسده مهيأ للأفعال
البشرية فلم يمتنع عليه شيئ منها حتى
احاط علما وقدرة بجميعها ولذلك علم الأسما
كلها والهم الحكمة باسرها واطلع على اسرار
النجوم وعرف منافع الحيوان والنبات ومضارهما
ولولا ذلك لما فرق بين الغذا والدوا ولا
بين السموم القاتلة والشفا ولا اهتدى
بالنجوم فى أولا بحر وكان هو المدبر لأولاده فى
مدة حياته حتى مات بعد تسع مايه
وستين سنه من عمره ثم قام بالأمر بعده
شيث بن آدم فبرع بالحكمة وفاق فى العلم
علم النجوم بما اخذه عن ابيه آدم وبما استفاده
بالتجربة ومرور الزمان واختلف اهل الكتاب
فى نبوة شيث فادعاها بعضهم وانكرها
آخرون منهم وولد بعد مايتين وثلثين
سنة من عمر ابيه آدم ومات وله تسع مايه
واثنا عشر سنة فكان قيامه بالأمر بعد
موت ابيه آدم مايتان واثنا عشر سنه

واتفق اهل الكتاب انه لم يكن بين شيث
وادريس بني غير ادريس ثم قام بالأمر بعد
شيث ولده انوشن بن شيث وكان مولده
بعد مايتين وخمسين سنة من عمر شيث ومات
انوشن وله تسع مائة وخمسون سنة فكان
قيامه بالأمر بعد شيث مايتين وثمانية
وثمانين سنة ثم قام بالأمر بعد انوش ولده
قنيان ولد بعد مائة وتسعين سنة من عمر
انوش ومات قنيان وله تسعمائة وعشرين
فكان قيامه بالأمر بعد انوش مائة وتسعين
سنة ثم قام بالأمر بعد قنيان ولده مهلابيل
بن قنيان وولد بعد مائة وخمسة وسبعين
سنة من عمر قنيان ومات مهلابيل وله
ثمنمائة وخمس وسبعون سنة فكان قيامه
بالأمر بعد قنيان مائة وعشرين سنة ثم
قام بالأمر بعد مهلابيل ولده يارد بن مهلابيل
ومات يارد وله تسع مائة واثنان وستون
سنة فكان قيامه بالأمر بعد مهلابيل
مايتين واثنين وخمسين سنة ثم قام بالأمر
بعد يارد ولده خنوخ بن يارد وهو ادريس
وولد بعد مائة واثنين وستين سنة من عمر

نارد وهو نبي في قول جميع اهل الملل واختلف
اهل الكتاب هل هو اول الأنبيا او ثاني نبيهم
فقال من زعم ان شيثا نبيا هو ثاني الانبيا
وقال من زعم ان شيثا ليس بنبي ان
ادريس اول الأنبياء وهو اول من شرع
الأحكام واول من اتخذ السلاح وجاهد في
سبيل الله تعالى وسبا وقتل بني قابيل
ولبس الثياب وكانوا يلبسون الجلود واول
من كتب الخط في قول الأكثرين واول من وضع
الأوزان والكيال والكيول ثم رفعه الله
تعالى اليه حيا بعد سبع مائة وخمس
وثمانين سنة من عمره فقام فيها داعيا
وابوه حيا على ما يقتضيه تاريخ هذه المواليد
والأعمار المأخوذة من التوراة المنزلة قال
ابن قتيبة وسمي ادريس لكثرة ما كان
يدرس من كتب الله تعالى وسنن الاسلام

فصل

ثم كثر الناس فافترقوا بعد ادريس وزادوا
الى زمان نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ
وهو آخر نبي بعث قبل الطوفان ونزل
الطوفان بعد ستمائة سنة من عمره

والذي به قومه فكذبوه وضع السفينه
فسخروا منه وامر الله تعالى ان يصنعها
في طول ثلثمائة ذراعا وعرض خمسين ذراعا
وعلو ثلثين ذراعا وتكون ثلث طبقات
ليركب فيها وهو واهله ويأخذ من كل جنس
من الحيوانات زوجا ذكرا وانثى ليكونوا اصولا
لنسلهم فحيا بهم العالم ثم وعده ان يمطره
بعد سبعة ايام اربعين يوما واربعين
ليلة فلم يبق في الارض ذو روح الا وركبها
وغاض الطوفان بعد مائة وخمسين يوما
فاستوت على الجودي وهو جبل بارض الجزيرة
شهرا وسمي الماء طوفان لانه طفا فوق
كل شيء واختلف فيما عاش نوح بعد
الطوفان فقال الاكثرون ثلثمائة وخمسون
سنة وهو ظاهر ما نزل به القرآن وقال
آخرون ستمائة وخمسون سنة لانه لبث
تسعمائة وخمسين سنة داعيا لقومه وكان
له قبل دعائه ثلثمائة سنة واختلف
فيما بين هبوط آدم من الجنة الى مجيء الطوفان
فقال اثنان وسبعون حبرا من بني اسرائيل
نقلوا التوراة الى اليونانية بينهما الفان

ومائتان

وماتان واثنان واربعون سنة ثم تبلبلت
الألسن بعد الطوفان بستماية وسبعين
سنة فافرقت اثنان وسبعون لسانا فى
فى اثنين وسبعين امة قال وهب بن منبه
فى ولد سام بن نوح سبعة عشر لسانا وفى
ولد حام سبع عشرة لسانا وفى ولد يافث
ستة وثلثون ومن تبلبل الألسن الى
مولد ابراهيم عليه السلام اربع ماية واحد
عشر سنة ومن مولد ابراهيم عليه السلام
الى مولد موسى اربع ماية وخمس وعشرون
سنة واخرج بنى اسرائيل من مصر بعد
ثمانين سنة ودبر امرهم اربعين سنة
ومات وله ماية وعشرون سنة فصار
من هبوط آدم الى وفاة موسى ثلثة الاف
وثمانماية وثمانية وستون سنة وقال
آخرون من بنى اسرائيل المقيمين على التوراة
العبرانية التى يتداولها جمهور اليهود فى
وقتنا ان من هبوط آدم من الجنة الى مجيئ
الطوفان الف وستماية وست وخمسون
سنة ومن انقضاء الطوفان الى تبلبل الألسن
ماية واحدى وثلثون سنة ومن تبلبل الألسن

الى مولد ابراهيم عليه السلام مائة واحدى
وستون سنة ومن مولد ابراهيم الى وفاة
موسى عليه السلام خمسمائة وخمسة واربعون
سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى
عليه السلام الفان وثمان مائة وتسع واربعون
سنه واول بني بعد نوح ابراهيم وهو اول
من قص شاربه واستحد واختتن وقلم
الأظفاره وتمضمض واستاك واستنشق
واستنجا بالماء واول من اضاف الضيف واطعم
المساكين وتزد الثريد وكان داعيا الى عبادة
الله وتوحيده ثم ولده اسحق بن ابراهيم
ولد له عيصو ويعقوب توأمين في بطن واحد
فخرج عيصو ثم خرج بعده يعقوب ويده عالقة
على عقبه فسمي يعقوب فعيصو ابو الروم
وكان اصفر فكذلك سميت الروم بني الأصفر
ويعقوب هو اسرائيل ابو الأسباط وايوب
بن موص كان ابوه ممن آمن بابراهيم يوم
احرق وكان في زمن يعقوب وكان صهره
زوجه يعقوب بنته ليا وهي التي ضربها بالضفث
واول بني من بني اسرائيل موسى وآخرهم
عيسى وكانت نبوة يعقوب عليه السلام بن اسحق

ابن ابراهيم

بن ابراهيم ومن بعده من ولده مقصورة
على انفسهم حتى دعا موسى الى نبوته
بني اسرائيل ومن وفاة موسى الى ابتداء
ملك الأسكندر الف واربع مائة وثلث
عشرة سنة وولد عيسى ليلة الأربعا الخامس
والعشرين من كانون الأول لسبع مائة
وتسع وثلاثين سنة من ملك بختنصر
ولثلث مائة واربع وستين من ملك الاسكندر
ومن ملك بختنصر الى ابتداء الهجرة الف
وثلثمائة وتسعة وستون سنة ومن
ملك الأسكندر ~~ومن ملك الأسكندر~~ الى
ابتداء الهجرة الفان وثلثمائة وسبع
واربعون سنة ومولد عيسى عليه السلام
بعد الف وسبعمائة وسبعة عشر سنة
من موت موسى وقبل ستمائة وثلثون سنة
من ابتداء الهجرة

ملك بختنصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة والى ص ٧

فصل

فاذا تقرر ماذكرناه من مدة الدنيا أنها
مقدرة في الكتب الألهية لسبعة ألاف
سنة كان الماضي منها الى ابتداء الهجرة
محمولا على ماقدمناه من اختلاف اهل التوراة

فيكون على القول الأول المأخوذ عن الأحبار
الناقلين لها الى اليونانية ستة آلاف
ومائتين وستة عشر سنة والباقي من
عمر الدنيا على قولهم بعد الهجرة سبع مائة
واربع وثمانون سنة وهو موافق لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سبعة
آلاف سنة بعثت في آخرها الفا ويكون
الماضي منها على القول الثاني المأخوذ عن
التوراة العبرانية اربعة آلاف سنة وثمان
مائة واحدى واربعين سنة والباقي من عمر
الدنيا على هذا القول بعد الهجرة الفان
ومائة وتسع وخمسون سنة وقيل انهم
قالوا ذلك ليكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم في خامسها الفا فيدفعوه بنقصان
التاريخ عن صفته في التوراة انه مبعوث في
آخر الزمان ويكون الماضي منها على القول
الثالث في توراة السامرة خمسة آلاف ومائة
وثلاثين سنة والباقي من عمر الدنيا على هذا
القول بعد الهجرة الف وثمان مائة وثلث
وثلاثون سنة ليكون الرسول في سادسها
الفا لما قبل من سببه والسامرة قوم نا قله

من بلاد

من بلاد المشرق سموا بذلك لأن تفسيره
بالعربية الحفظة وهم لا يقبلون من كتب
الأنبيا الا التوراة وحدها والأول لأجل قول
الرسول كالأشبه وان كان فيهم الساعة
وانقراض مدة الدنيا وفناء العالم على هذا
التاريخ الذى اثبتوه والتقدير الذى حققوه
مدفوعا عندنا بقول الله تعالى ان الله عنده
علم الساعة وفيه ثلث تاويلات احدها
ان قيامها يختص بعلمه فامتنع ان يشاركه
فى علمه احد من خلقه والثانى ان قيامها
موقوف على ارادته فامتنع ان يوقف على
غير ارادته وقال تعالى هل ينظرون إلا
الساعة ان تأتيهم بغتة يعنى مجاءة
والبغتة غير معلومة وامتنع ان تكون
عندهم معلومة ثم قال فقد جاء اشراطها
فيه وجهان احدهما النبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وهذا يدل على انه مبعوث فى
آخرها الفا والثانى ان اشراطها الأيات
المنذرة بها كما قال وما نرسل بالأيات الا
تخويفا فلا تقوم الساعة الا بعد ان ينذر
الله تعالى بأيا تها روى سفيان بن عيينه

عن مراد عن ابى الطفيل عن حذيفة بن اسيد
الغفارى قال اشرف علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم من علية ونحن نتذاكر امر
الساعة فقال ما كنتم تتذاكرون قلنا قيام
الساعة قال ان الساعة لن تقوم حتى تكون
قبلها عشر ايات فلا ندرى بأيهن يبدا طلوع
الشمس من مغربها والدجال والدخان
والدابة ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج
ومأجوج وثلث خسوف خسف بالمشرق
وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
وآخر ذلك نار تخرج من قبل اليمن او من عدن
تطرد الناس الى محشرهم وروى برد عن مكحول
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج الدجال فى الثمانين فان لم يخرج ففى
ثمانين ومايتين فان لم يخرج ففى ثلثمائة
وثمانين فان لم يخرج ففى اربع مائة وثمانين
وروى معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه
وسلم ذكر الدجال فقال تقوم فيكم اربعين
سنة اول كل سنة كالشهر ثم الثانية كالجمعة
كالجمعة ثم الثالثة كاليوم وسائر سنيه
كالساعة حتى ينزل عيسى بن مريم فوحده

الحربه

الحربة فيذوب كما يذوب الرصاص وفي هذا
دليل على تقدم خروج الدجال واخرها الذي
يقوم بالساعة ظهور الناس والله اعلم
بما استأثر بغيبه ثم من اطلعه عليه من رسله

فصل

وبين موسى وعيسى عليهما السلام من الأنبيا
شعيا وهو الذي بشر بني اسرائيل بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ووصفه بعد ان بشر
بعيسى فقبله بنو اسرائيل ثم حزقيل وهو
الذي اصاب قومه الطاعون فخرجوا من ديارهم
حذر الموت فاماتهم الله تعالى ثم احياهم
ومنهم دانيال سباه بختنصر مع عزير ونزل
من بختنصر اعظم افضل منزل لرؤيا عبرها
له وقبره بناحية السوس وجده ابو موسى
الأشعري فاخرجه ولفنه وصلى عليه ودفنه
ومنهم الياس بعث الى اهل بعلبك وكانوا
يعبدون صنما يقال له بعل وكان ملكهم
اسمه اجب وامرأته اربيل وكان يستخلفها
على ملكه وهي بنت ملك سبا عمرت عمرا طويلا
وتزوجها سبعة من ملوك بني اسرائيل وهي
قد قتلت يحيى بن زكريا ثم رفع الله تعالى

اليه الياس اليه ثم اليسع كان تلميذ الياس
فدعاه الياس فنباه الله بعده ثم يونس
بن متى ثم زكريا قبله بنو اسرائيل في الشجرة
ثم عيسى ويحيى ابن زكريا فاما يحيى فان
احب قتله بحيلة امراته اربيل واما عيسى
فان امه هربت به من اجيه الملك الى مصر
ثم عاد به الى يوسف النجار مع امه الى قرية
تدعى ناصرة فلذلك قيل لأصحابه نصارى
لأنهم سكنوه عيسى الناصري واصحاب الكهف
هم فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح
عليه السلام وضرب الله على اذانهم فيه فلما بعث
المسيح اخبرهم ثم بعثهم الله تعالى بعد
المسيح في الفترة بينه وبين النبي صلى الله
عليه وسلم وجرجيس من اهل فلسطين ادرك
بعض الحواريين وبعث الى ملك الموصل ولقمان
كان عبدا حبشيا لرجل من بني اسرائيل وكان
في زمان داود عليه السلام واسم ابيه ثاران
واختلف في نبوته فزعم الأكثرون انه لم يكن
نبيا قال سعيد بن المسيب كان نبيا وكان
خياطا وذو الكفل من بني اسرائيل بعث الى
ملك كان فيهم يقال له كعنان دعاه الى

الايمان وكفل له بالجنة وكتب له كتابا فسمى
ذا الكفل بالكفالة وذكر وهب بن منبه ان
الأنبياء كلهم مائة الف نبي واربعة وعشرون
الف نبي الرسل منهم ثلثمائة نبي وخمسة
عشر نبيا منهم خمسة عبرانيون ادم وشيث
وادريس ونوح وابراهيم وخمسة من العرب
هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد وروى
ابو صالح عن ابن عباس قال بعث الله الى اهل
الرس والرس بئر نبيا منهم يقال له حنظلة
ابن صفوان فكذبوه وقتلوه فاوحى الله تعالى
الى نبي كان مع بختنصر يقال له ارميا بن
برخيا مر بختنصر يغزوا العرب الذين لا اعلان
لنبوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم وخالد بن
سنان روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ذاك نبي اضاعه قومه وذلك انه قال
لقومه ادفنوني فاذا جاءت الطبا بعد ثلث
فاخرجوني فانبئكم بما امرت فجاءت الطبا الى
قبره بعد ثلث فلم يخرجوه وقالوا يتحدث
العرب عنا انا نبشنا موتانا واتت بنته رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقراء قل هو
الله احد فقالت قد كان ابي يقراء هذا ولد

يضبط ذكر من سلف من الأنبياء مع كثرتهم
وقول الله تعالى لنبيه منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك والله اعلم

الباب السادس

في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الكلام في
اثبات نبوته يتقرر مع المعترفين ببعثة الرسل
لأن منكر بها يعمون الجميع بها ويدفعون كل
مدع لها والكلام معهم قد قدمناه في اثبات
النبوات على العموم فاما نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فقد اختلف فيه مخالفوه من
مثبتي النبوات على اقوال شتى فمنعت اليهود
من نبوته لامتناعهم من نسخ الشرع واختلفوا
في المانع من نسخه فمنع منه بعضهم بالعقل
لأن نهي الله تعالى عما امر به وامره بما نهى
عنه انما يكون لخفاء المصلحة عليه في الأبتدا
وظهورها له في الأنتها والله تعالى عالم بها
في الحالين لتباين الضدين ومنع بعضهم منه
بالشرع وان جوزوه في العقل بما نقلوه عن
موسى عليه السلام ذكروه في التوراة انه قال
تمسكوا بالسبت ابدا سنة الدهر وكلا الوجهين
فاسد من وجهين احدهما ان العقل لا يمنع من

الأمر بالشيء

الأمر بالشيء في زمان والنهي عنه في غيره
بحسب المصلحة في قول من اعتبرها او بالارادة
في قول من اعتمدها ولا يكون مستقبحا من
فعل حكيم كما يفتى من افقر ويفقر من اغنى
اما للمصلحة او بالارادة ولا يكون ذلك
لاستبهام المصلحة واستكمال الارادة والثاني
ان موسى نسخ شرع من تقدمه لان آدم ما
زوج بنيه ببناته وجوز يعقوب الجمع بين
الاختين ونكح ابراهيم بنت اخيه وكل هذا عند
موسى منسوخ لشرعه فجاز ان ينسخ شرعه
بشرع غيره وقال آخرون محمد نبي مبعوث
الى قومه من العرب وليس بنبي لغيرهم وهذا
فاسد من وجهين احدهما انه تخصيص بغير دليل
والثاني ان نبوت نبوته في قومه موجب
لصدقه وقد قال انه بعث الى كافة الخلق
وأنه خاتم الأنبياء فلم يجز رد قوله مع ثبوت
صدقه وقال آخرون هو نبي مبعوث الى من
لم يتمسك لشرع من عبدة الأوثان وليس
بمبعوث الى من تمسك بشرع من اليهود والنصارى
وهذا فاسد من وجهين مع الوجهين المتقدمين
احدهما أنه يدفع به عن نسخ الشرع وقد

دليلا على جوازه والثاني ان من اعترف
بالنبوات كانت الزم له ممن جحدها وقال
آخرون ليس بنبي لأنه لم يأت بمعجزة قاهرة
تضطر الى صدقه كمعجزة موسى وعيسى
وان جاز نسخ الشرائع بمثلها من الشرائع
وفي هذا يتعين اقامة الدليل على اثبات
نبوته وهو معتبر بثلثة شروط احدها
وصف المستدل والثاني حكم المدلول عليه
والثالث صفة الدليل فأما الشرط الأول
في صفة المستدل فقد اختلف فيه فذكر
الجاحظ انه العقل لأنه المميز للحق وقال
الأكثرون المستدل هو العاقل والعقل آلة
استدلاله ليتوصل به الى صحة مدلوله واما
الشرط الثاني ففي حكم المدلول عليه فعند
فريق انه اثبات نبوته ليعلم بها صدق قوله
وعند الأكثرين انه اثبات صدقه ليعلم
بقوله صحة نبوته واما الشرط الثالث وهو
الدليل فمحتاج يتنوع انواعا لأن المستدل واحد
والمدلول عليه واحد والدليل يشتمل على اعداد
متنوعة وشواهد مختلفة فرق الله بينها
لتكون الحجج متغايرة والبراهين متناصرة بحسب

ما عليه كله

ما عليه علمه من المصلحة ورآه من اسباب
الاجابة كما قال تعالى وكذلك نصرف الآيات
اي نخالف بينها في المعجزات فكان بعضها
حجة قاطعة وبعضها امارة لا يحة تجري
عليها احكام ما قاربها فتقوى بعد الضعف
وتحج بعد الكشف وان لم يكن الانذار بانفرادها
من قواطع الحجج المغنية عن دليل يحج وهكذا
القول في نبوة غيره فلا يلزم تطابق حجهم
كما لم يلزم اتفاق شرايعهم وقد قدمنا ٧ احداهن
اقسام المعجزات فاذا ظهرت اعجازهن حجت
ودلت على صحة النبوة وقد ظهر في نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم اكثرها مع ما نقد مها
من انذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من
اخبار فصارت اعم النبوات اعجازا واوضحها
طريقا وامتيازا واكثرها تابيدا الاهيا وتعبدا
شرعيا تقهر شواهدها من نافر وعاند
وتحج دلائلها من ناكر وجاحد لان المهياء لامر
مطبوع على آلته ومنقاد الى غايته حتى
يتدرج اليه بغير تكلف وتستقر فيه بغير
تصنع ولا تشبه من تعاطاه بمن طبع له ففضح
التطبع شيمة المطبوع ولم تنزل امارات النبوة

لابجة في رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تدرج اليها وهو بما قبل عنها وغير متضع
لها فنهض باعبائها حين انته وقام بحقوقها
حين لزمته غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها الى
ان تكامل به الشرع فتمز قتم على اصل مستقر
وقياس مستمر لا يدفعه عقل ولا يأباه قلب
ولا تنفر منه نفس هذا وهو امي لم يقرأ
كتابا ولا اكتسب علما فأوضح كل ملتبس وبين
كل مشتبه حتى رجع كثير من الملك الى شريعته
في علم ما قصروا عنه من حقوق وعقود استوعب
اقسامها وبين احكامها وما ذاك الا بعون
الاهي وتأييد لاهوتي وحسبك بهذا شاهدا
لو اقتصرنا عليه وحجاجا لو اكتفينا به ولكن سنذكر
من معجزاته القاهرة وبراهينه الواضحة ما يرد
كل جاحد ويصد كل معاند من انواع متغايرة
واخبار متواترة وآثار متظاهرة يصدق بعضها
بعضا ليكون تغايرها حجاجا معا لكل برهان وتظاهرها
رافعا لكل بهتان فمنها ما تقدمه من نذير وبشير
ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها
ما قارنه به من اقوال وافعال صدرت منه واليه
فلم يبق من الآيات ما اخل به ولا من الاعلام

ما فهر به

ما قصر فيه وسنذكرها ابوابا مفصلة وانواعا
متميزة لتكون اصح بيانا واوضح برهانا
واخفها بالسابقة والتقديم اعجاز القرآن
لأنه اصل شرعه ومستودع رسالته ثم يتلوه
بما يقتضيه وان كان لو ذكرنا اول مباديه
على سياق ينتهي الى غايته لكان نظاما
ولكن هذا باب محتاج لرسالته ارسالها وليس
بشرح لسيرته فوجب ابتداؤه باخصها ثم
ذكر سيرته على ترتيبها

الباب السابع

فيما تضمنه القرآن من انواع اعجازه

والقرآن اول معجز عا به محمد صلى الله عليه
وسلم الى نبوته وصدع فيه برسالته
وخص باعجازه من جميع رسله وان كان كلاما
ملفوظا وقولا محفوظا لثلاثة اسباب
صار بها أخص اعجازه واظهر ايانه احدها
ان معجز كل رسول موافق للأغلب من احوال
عصره والشائع المنتشر في ناس دهره لأن
موسى عليه السلام حين بعث في عصر
السحرة ما خص من فلق البحر يبسا وقلب
العصا حية ما أبهر كل ساحر وأذل كل كافر

وبعث عيسى عليه السلام فى عصر الطب
فخص من آبرا الزمنى واحياء الموتى بما ادهش
كل طبيب واذهل كل لبيب وبعث محمد صلى
الله عليه وسلم فى عصر الفصاحة والبلاغة
فخص بالقران فى ايجازه واعجازه بما عجز عنه
الفصحاء واذعن له البلغاء وتبلد فيه الشعراء
ليكون العجز عنه اقهر والتقصير فيه اظهر
فصارت معجزاتهم وان اختلفت متشاكلة المعانى
متفقة العلل والثانى ان المعجز فى كل قوم بحسب
افهامهم على قدر عقولهم واذهانهم فكان
فى بنى اسرائيل من قوم موسى وعيسى
بلادة وغباوة لأنه لم ينقل عنهم ما يدون
من كلام مستحسن او يستفاد من معنى
مبتكر وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون
على اصنام لهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة
فخصوا من الاعجاز بما يصلون اليه ببداية
حواسهم والعرب اصح الناس افهاما
واحدهم اذهانا قد ابتكروا من الفصاحة
أبلغها ومن المعانى اغربها ومن الآداب
احسنها فخصوا من معجز القران بما تجول
فيه افهامهم وتصل اليه اذهانهم فيدركوه
بالفطنة

بالفطنة دون البهدية وبالروية دون
البادرة لتكون كل امة مخصوصة بما يشاكل
طبعها ويوافق فهمها والثالث ان معجزة
القران ابقى على الاعصار وانشر فى الاقطار
من معجز يختص بحاضره ويندرس بانقراض
عصره ومادام اعجازه فهو اوجح وبالاختصاص
احق

فصل

واعجاز القران فى خروجه عن كلام البشر
واضافته الى الله تعالى يكون من عشرين
وجها احدها فصاحته وبيانه وذلك
معتبر بثلثة شروط احدها بلاغة الفاظه
والثانى استيفاء معانيه والثالث حسن
نظمه فاما بلاغة الفاظه فيكون من وجهين
احدهما جزالتها حتى لا تلين والثانى انطباعها
حتى لا تجفو واما استيفاء معانيها فيكون
من وجهين احدهما ان يكون المعنى لايجافى
مبادى الفاظه غير مفتقر الى مقاطعه والثانى
ان المعنى مطابق للفاظه فلا يزيد عليها
ولا يقصر عنها فان زاد كان الاختلاف فى
اللفظ وان نقص كان الاختلاف فى المعنى
واما حسن نظمه فيكون من وجهين احدهما

ان يكون الكلام متناسبا لا يتنافر والثاني
ان يكون الوزن معتدلا لا يتباين فان قيل
قد يجتمع في كلام البشر ما يستكمل هذه
الشروط فيبطل به الاعجاز فالجواب عنه من
وجهين احدهما ان اسلوب نظمه على هذه
الشروط معدوم في غيره فافترقا والثاني
ان النظم الفاظه بهجة لا توجد في غيره
فاختلفا لأنك لأنك اذا جمعت بين قول
الله تعالى ولكم في القصاص حيوة وبين
قولهم القتل انفى للقتل وجدت بينهما فروقا
في اللفظ والمعنى

فصل

والوجه الثاني من اعجازه ايجازه عن هذا
الاكثار واستيفاء معانيه في قليل الكلام كقوله
تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت
على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
فان قيل ليس جمعه وجيزا مختصرا وفيه
المبسوط والمكرر وبعضه افصح من بعض
ولو كان من عند الله لتماثل ولم يتفاضل
لان التفاضل في كلام من يكل خاطره فتضعف
قريحته فعنه جوابان احدهما ان اختلافه

في البسط

فى البسط والايجاز ليس للعجز عن تمام شكله
ولكن لاختلاف الناس فى تصوره وفهمه،
وتفاضله فى الفصاحة بحسب تفاضل
معانيه لا للعجز عن تساوية والثانى انه
خالف بين مبسوطه ومختصره وبين افصحه
واسهله ليكون العجز عن اسهله وابسطه
ابلغ فى الاعجاز من العجز عن افصحه واخصر
ولذلك فاضل بين خلقه ليعرف به فرق
ما بين الفاضل والمفضول وقد حكى ابو
عبيدة ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصغى
بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا
الكلام فاما تكرار قصصه وتكرار وعده
ووعيده فلأسباب مستفادة منها أنها
فى التكرار اوكد وفى المبالغة ازيد ومنها
انها تتغاير الفاظها فتكون الى القبول
اسرع وفى الاعجاز ابلغ ومنها أنها أن
اخل بالوقوف عليها فى موضع ادركها فى
غيره فلم يخل من رهب ورهب فصل
والوجه الثالث من اعجازه ان نظم اسلوبه
ووصف اعتداله يخرج عن منظوم الكلام،
ومنثوره ولا يدخل فى شعر ولا رجز ولا

سجعة ولا خطبة حتى تجاوز محصور اقسامه
وباين سايرانواعه باسلوب لا يشاكل
ونظم لا يماثل فصار وان كان من حروف
الكلام خارجا عن اقسام الكلام فقال أنيس
الغفاري وهو اخو ابي ذر الغفاري وكان من
الموصوفين قبل بالتقدم في البلاغة والفصاحة
عرضت القران على السجع والشعر والنظم
والنثر فلم يوافق شيئا من طرق كلام العرب
وحكي عن الوليد بن المغيره المخزومي وكان
سيد عشيرته وافصح قومه انه جاء الى
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على كفره فقال اقرؤا علي شيئا من
القرآن فقرؤا عليه فقال ليس هذا من
كلام البشر وليس بشعر فمضى اليه ابو
لهب وقال افسدت قريشا بهذا القول
فارجع عنه فقال اقول انه سحر وقد
تعاطاه من الشعراء ما خرج عن اسلوبه الى
طريقة شعره فقال في قصة الفيل

الا من مهلك الفيل ، ومن سارع الفيل *
بطير صبه الله ، عليهم من ابابيل *
رمتهم بحجارة ، من طين سجيل *

فانفى

فأضحى القوم فى القاع * كعصف غير مأكول

فلم يساعده الطبع عليه مع اخذ معانيه
واستعمال الفاظه حتى عاد الى مطبوع شعره
وضمن آخر من الشعراء شيئا منه فى شعره
فخرج عن اسلوبه حيث يقول

وقراء معلنا ليصدع قلبى * والهوى ليصدع الفؤاد السقيما
أرايت الذى يكذب بالدين * فذاك الذى يدع اليتيما

فان قيل لو كان لنظم القرآن اسلوب معجز
لما طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند
جمع القرآن من يأتيه بالآية والآيتين
شهودا انه سمعه من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا اكتفى باسلوب نظمه
عن بينة تشهد به ولكان لا يشتبه على
ابن مسعود فى المعوذتين حتى احرجهما من
القرآن ولا على ابى ابن كعب فى القنوت
حتى ادخله فى القرآن ولا على امراة بن رواحة
فى شعره حتى توهمته من القرآن فعنه
جوابان اما احدهما ان عمر التمس الشهادة
فى الآية والآيتين مما لا يكون بانفراده
معجزا لان الاعجاز مختصا بما وقع به التحدى
واقل ما يقع به التحدى كاقصر سورة فى

القران ايات وحروف وهي سورة الكوثر وما
قصر عنه لاعجاز فيه فكان طلبه للشهادة
متوجها اليه والثاني انه طلب الشهادة على
محلها من اي سورة هي وفي اي موضع منها
توضع وان كان معلوم الاسلوب بالمباينة
لان الله تعالى كان يامر بوضع ما انزله فيما
يراه من السور لقوله ان علينا جمعه وقرآنه
فاما ابن مسعود فلم يشكل عليه اسلوب
المعوذتين انهما من القرآن وانما حكهما من
مصحفه لانه ظن ان تلاوتهما قد نسخت
واما ابي ابن كعب فظن ان تلاوة القنوت
باقية ولم يعلم انها قد نسخت واما امراه
ابن رواحه فلم يكن من ذوى الفصاحة والبلاغة
فتفرق بين الشعر واسلوب القرآن
فلم يكن لوهمها تاثير

فصل

والوجه الرابع من الاعجاز كثرة معانيه التي
لا يجمعها كلام البشر وذلك من وجهين
احدهما ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعاني
كقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا
تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين

فجمع فى ايه واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
واشارتين والثانى ان الفاظه تحتمل معان
متفاوتة تحار فيها العقول وتذهل فيها الخواطر
وتكل فيها العرايج ثم لا تبلغ اقصاه ولا تدرك
منتهاه حتى اختلفت فيه الوجوه وتقابلت
فيه النظاير فان قيل فهذا الغاز ورمز
هو بالذم منه اولى بالحمد فعنه جوابان
احدهما ان الالغاز وان ذم فالرمز ليس
بمذموم وليس فيه لغز وان كان فيه رمز
والثانى ان ماختلفت معانيه يخرج عن اللغز
والرمز لان اللغز ما اريد به غير معناه
والرمز ماخفى معناه

فصل

والوجه الخامس من اعجازه ماجمعه القران
من علوم لا يحيط بها بشر ولا تجتمع فى مخلوق
فلم يكن الا من عند الله المحيط بكل شئ
علما حتى علمه مالم يكن يعلم به عالما فان
قيل فضل العلم لا يكون اعجازا فى النبوة لان
العلما قد يتفاضلون ولا يكون للافضل
اعجاز على المفضول فعنه جوابان احدهما
ان التفاضل فى العلم موجود والاحاطة فى
بجميع العلوم مفقود والثانى ان ظهور العلم

فمن يتعاطاه ليس بمعجز لظهوره من جهته وظهور العلم فيمن لم يتعاطاه معجز الظهوره من غير جهته وقد كان اميا من امة امية لم يقرأ كتابا ولم يتعاط علما فصار ما اظهر معجزا

فصل

والوجه السادس من اعجازه ما تضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد والرجعة وعلى الدهرية والثنوية حتى قطع بحجاجه كل محتج وخصم بجدله كل خصم فان قيل فدلائل التوحيد مستفادة بالعقول فلم يكن فيها اعجاز من وجهين احدهما وجودها من ذاته والثاني مشاركته فيها لغيره والجواب عنه من وجهين احدهما انه لم يكن من اهل الجدل فيقطع كل مجادل والثاني انه احتج للرجعة بما زاد على قضايا العقول فخصم كل عاقل

فصل

والوجه السابع من اعجازه ما تضمنه من اخبار القرون الخالية وقصص الأمم السالفة وما تحداه به اهل الكتاب من قصة أهل الكهف وشان موسى والخضر وحديث ذي القرنين فكان على ما ذكره انبياهم وتضمنته

كتبهم

كتبهم فان قيل فالاخبار بما كان ليس بمعجز
لان علم غير الانبياء به ممكن فعنه جوابان
احدهما انه ممكن فيمن علمها وممتنع فيمن
لم يعلمها ولم يكن من اهلها فيعلمها فصار
معجزا ممتنعا والثانى انهم اقترحوا نحديه
بما لم يكن مبتديا ولا كان له متأهبا من
غوامض اسرار وغرائب اخبار جعلوها
محاجا لهم له وعليه ففصح بالجواب عن سرايرها
وصدع بنعت غوامضها فخرج عن العرف الى
ما ليس بعرف فصار معجزا

فصل

والوجه الثامن من اعجازه ما تضمنه من علم
الغيب باخبار تكون فكانت كقوله لليهود
قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ثم قال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم فما تمناه احد منهم وكقوله لقريش
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلون
فلم يفعلوا وكقوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر فكان ذلك فى يوم بدر وكقوله فى
هجرته عن مكة الى المدينة ان الذى فرض
عليك القرآن لرادك الى معاد فاعاده الله

تعالى الى مكة عام الفتح الى غير ذلك من
نظائره فان قيل فقد يكون ذلك حدسا
بشواهد الأحوال وفراسه بفضل الأدلعية
وقوة الفطنة فعنه جوابان احدهما أن
الحدس والفراسة وان اصاب بهما تارة فقد
يخطئ بهما اخرى وهذا اصابه فى الجميع فخرجت
عن الحدس والفراسة الى علم من لا تخفى
عليه الغيوب والثانى ان الحدس والفراسة
توهم غير مقطوع بهما قبل الوجود وهذه
اخبار بانه مقطوع بها قبل الوجود فافترقا

فصل

والوجه التاسع من اعجازها فيه من الأخبار
بضمائر القلوب التى لا يصل اليها الا علام الغيوب
كقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا من
غير ان يظهر منهم قول او يوجد منهم فشل
وكقوله اذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها
لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون
لكم فكان كقوله وان لم يتكلموا به الى غير
ذلك من نظائره فان قيل فالجمع الكثير
تختلف ضمائرهم فى العرف فان وجد ذلك فى
بعضهم لم يوجد فى جميعهم فان لم يحل ان يعقد

بعضهم خلا منه بعضهم فتقابل القولان
فيهم وبطل اعجازه معهم وعنه جوابان
احدهما انهم وجهوا بهذا الخبر على العموم
فلم ينكروه فزال هذا التفضيل فصار معجزا
والثانى انه جعله ذنبا لهم فلم يتصلوا
منه فدل على وجوده من جميعهم فصل
والوجه العاشر من اعجازه ان الفاظ القرآن
قد تشتمل على الجزل المستقرب والسهل
المستقرب فلا يتوعر جزله ولا يسترذل
سهله ويكونان اذا اجتمعا مطبوعين غير
متنافرين ولا نجد ذلك فى غيره من كلام
البشر لأن جزله يتوعر وسهله يسترذل
والجمع بينهما بتنافر فصار من هذا الوجه
مباينا وفى الأعجاز داخلا فان قيل انما كان
القرآن كذلك لأنه قد توطأ بكثرة التلاوة
فاستلذته الأسماع واستحلته الألسن
ولولاه لتباين واختلف فعنه جوابان احدهما
ان صفته عند اول سماعه ولو كان لما ذكر
من العلة لاختلف فى مباديه وغايته والثانى
ان غيره من الكلام المختلف لا يتوطأ بكثرة
ذكره فبطلت العلة فصل

والوجه الحادى عشر من اعجازه ان تلاوته
تختص بخصة بواعث عليه لا توجد فى غيره
احدها هشاشة مخرجه والثانى بهجة رونقه
والثالث سلاسة نظمه والرابع حسن قبوله
والخامس ان قارئه لا يكل وسامعه لا يمل
وهذا فى غيره من الكلام معدوم فان قيل انما
وقع فى النفوس هذا الموقع للتدين بالتزامه
والتخصص باعظامه فعنه جوابان احدهما
ان هذا موجود فى غيره من كتب الله تعالى
كالتوراة والانجيل والزبور وليس يوجد ذلك
فيها مع وجود هذا التعليل ولذلك ما استعان
اهلها على استحلاء تلاوتها بما وصفوه لها
من الالحان واستعذبوه لها من الاصوات
والقرآن مستغن عن هذا بصيغة لفظه
فلذلك مازاع وهيج الطباع والثانى التدين
لا يسلب العقول تمييزها ولا يفسد عليها
تصورها وهو بان يزيدها بصيرة اولى ان
ينقصها ولو كان لهذه العلة لجحده من
كفر كما اعترف به من آمن وقول الجميع فيه سواء

فصل

والوجه الثانى عشر من اعجازه انه منقول
بالفاظ

بالفاظ منزلة ومعان مستودعة وبلغه الملك
بلفظه وعلى نظمه واداه الرسول الى
الأمة بمثله فلم يخرم فيه لفظ ولا اختل
فيه معنى ولا تغير له ترتيب حتى صار من
الزلل مضبوطا ومن التبديل محفوظا تستمر
به الأعصار على سلامة كلمته وتداوله الألسن
مع اختلاف اللغات على نظمه وصفته ٭
لا يختلف بتعاقب الأزمنة ولا يختل بتباعد
الأمكنة ولا يتغير باختلاف الألسنة وغيره
من الكتب مقصورة على حفظ معانيها وان
غيرت الفاظها فان التوراة التي الله تعالى
معانيها الى موسى عليه السلام فذكرها
بلفظه وعبر عنها بكلامه والأنجيل فهو
ما اخبر به عيسى عليه السلام عن ربه وعن
نفسه فجمعه تلامذته بالفاظهم وجعلوه
كتابا متلوا والزبور فادعية وتحاميد
وتسابيح تنسب الى داود عن لفظه ولئن كانت
معاني هذه الكتب مضافة الى الله تعالى
فليست بصيغة لفظه على نظم كلامه كما نزل
القرآن جامعا للألفاظه ومعانيه وترتيبه
فصار مباينا لجميع كتبه وهذا الا بمعونة

ألاهيه حفظ الله بها اعجازه وامد بها رسوله
كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فان قيل فحفظ الكلام على صيغة لفظه
واستعمال معانيه لايكون معجزا كاشعار
الجاهلية القدماء وامثال من سلف من الحكماء
فعنه جوابان احدهما ان في هذا متحولا
ومتروكا فلم ينحفظ والثاني انه لايعلم حاله
فلم ينضبط والقران مخالفا لهما في حفظه
وضبطه

فصل

والوجه الثالث عشر من اعجازه اقتران معانيه
المتغايرة واقتران نظايرها في السور المختلفة
فيخرج في السورة من وعد الى وعيد ومن
ترغيب الى ترهيب ومن ماض الى مستقبل
ومن قصص الى مثل ومن حكم الى جدل فلا
يتنبوا ولا يتنافر وهي في غيره من الكلام
متنافرة فتتجانس معانيها وكذلك هي
في غيره من الكتب المنزلة مفصلة لكل نوع
سفرا فان التوراة مقسومة على خمسة
اسفار وكل سفر منها مفرد بمعنى واحد من
المعاني المستودعة فيها فالسفر الأول لذكر
بدو الخلق والسفر الثاني لخروج بني اسرائيل

من مصر والسفر الثالث لأمر القرابين والسفر
الرابع لاحصا موسى بنى اسرائيل وما دبرهم
به والسفر الخامس لتكرير النواميس وجمل
اختلاف معانيها موجبا لتفاضلها فكان افضل
ما فى التوراة عند اليهود العشر الكلمات
المشتملة على الوصايا التى خاطب الله
تعالى بها موسى وبها يتحلفون دون
غيرها وافضل ما فى الأنجيل الصحف
الأربعة المنوبة الى تلامذة المسيح
الأربعة وهى المخصوصة بالقراءة فى الصلوة
والأعياد وافضل ما فى الزبور ما اتفقوا
عليه اهل الكتابين على اختياره وما اشتمل عليه القرآن
من تغايرها اولى من وجهين احدهما أن
لا يختص قارئه باحدها فيعدل عن غيره
والثانى ان يستوعب اذا اراد جميعها قراءة
جميعه فيستكمل فوائده ويتجزل ثوابه
فان قيل فالتفصيل ابلغ فى البيان من الاجمال
فالجواب عنه ما ذكرناه من الوجهين

فصل

والوجه الرابع عشر من اعجازه ان اختلاف
آياته فى الطول والقصر لا يخرج عن اسلوبه

ولا يزول عن اعتداله وغيره من نظم
الكلام ونثره اذا تفاضلت اجزاؤه زال
عن وزن منظومه واعتدال منثوره "
فصار ذلك من اعجازه فان قيل زيادة "
طوله هدر ونقصان قصره حصر فكيف
يكون معجزا اذا تردد بين هدر وحصر
فعنه جوابان احدهما ان الزيادة تكون
هدرا اذا لم تفد والنقصان يكون حصرا
اذا لم يقنع والزيادة من طوله مفيدة "
والنقصان من قصره مقنع فخرج عن الهدر
والحصر والثاني ان الطويل لو انفرد لم يكن
هدرا والقصير لو انفرد لم يكن حصرا فلم يكن
اجتماعهما موجبا لهدر وحصر كاختلاف
السور في الطول والقصر فان اقصر السور
سورة الكوثر وتشتمل مع قصرها على اربعة
معان اخبار بنعمة وامر بعبادة وبشرى
بعدو واسلوب هو معجزة فلم تخرج اذا قرنت
بما هو اطول ان تكون معجزة

فصل

والوجه الخامس عشر من اعجازه ان مكثر
تلاوته لا يزداد به فصاحة وان ازداد
بغيره من فصيح الكلام لخروجه عن طباع

البشر

البشر فلم يمازجها ودخول غيره في طباع
البشر فمازجها فصار اسلوبه معجزا في
الحالين وعلى كلا الوجهين فان قيل مالا
يؤثر في الطباع ناقص عن الكمال فكيف
يوصف بالكمال فعنه جوابان احدهما
ان كماله فيه فلم يلزم تعديه والثاني ان
كماله يوجب المنع من تناوله **فصل**
والوجه السادس عشر من اعجازه تيسيره
على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي
الأبكم ودار به اللسان العفطي الألكن
ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجرى
به السنة البكم كجريها به وما ذاك
الا بخصائص الالهية فضله بها على سائر
كتبه فان قيل فقد يحفظ الشعر كحفظه
والعلة فيه اعتدال وزنه الذي يحفظ بعضه
بعضا فلم يكن ذلك معجزا فعنه جوابان
احدهما ان ما اندرس من الشعر اكثر مما حفظ
وهذا محفوظ لم يندرس فاختلفا والثاني
ما لم تستعذ به الأ~~لفاظ~~ فواه متروك والقرآن
مستعذب غير متروك فافترقا **فصل**
والوجه السابع عشر من اعجازه ان الكلام

يترتب ثلاث مراتب منشور يدخل في قدرة
الخلق وشعر هو أعلى منه يقدر عليه
فريق ويعجز عنه فريق وقرآن هو اعلى من
جميعها وافضل من سائرها تجاوز رتبة
النوعين فخرج عن قدرة الفريقين فإن
قيل لو كان القرآن برهانا معجزا لخرج كثيره
وقليله عن القدرة وقليله مقدور عليه
وهو ان يجمع بين ثلث كلمات منه او اربع
فكذلك كثيره لأن الشيء اذا دخلت اوائله
في جنس الممكن خرجت اواخره في جنس
الممتنع فعنه جوابان احدهما ان قليله
وكثيره خارج عن القدرة اذا انتظم اعجازه
وهو كأقصر سورة منه فبطل هذا الاعتراض
والثاني انه ليس القدرة على الكلمة
والكلمتين منه قدرة على استكمال مانفع
من التحدي كالمقحم في الشعر لا تكون قدرته
على الكلمة والكلمتين من بيت من الشعر
قدرة على نظم بيت كامل من الشعر

فصل

والوجه الثامن عشر من اعجازه ان الزيادة
فيه ممتازة وتغيير الفاظه منه مفتضحة

ولو كان

ولو كان في القدرة لالتبس ولو امكن لاشتبه
فان قيل فقد زيد فيه فالتبس واشتبه
وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انزلت
عليه سورة النجم بمكة قراءها في المسجد الحرام
حتى بلغ الى قوله افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان
على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ثم ختم السورة وسجد فسجد معه
المسلمون وفرح المشركون فسجدوا معه ورضيت
كفار قريش به وسمع به من هاجر الى
ارض الحبشة فعادوا الى ان انكر عليه جبريل
فشق عليه ونزل فيه قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته قالوا ومعلوم
ان هذه الزيادة هي في مثل اسلوب
السورة وليست من الله تعالى وقد اشتبهت
فلم لا كان ما سواها بمثابتها فعنه جوابان
احدهما ان هذه الزيادة لا تبلغ قدر النحدي
فخرجت عن حكمه والثاني انه انزل فيها الذي
عندهم ان الغرانيق العلى وان شفاعتهن

لترتجي فاشتبه على قريش وحذفوا منه
قولهم التي عندهم فنسخ الله تعالى لهذا
الاشتباه تلاوة هذه الآية فصل
والوجه التاسع عشر من اعجازه عجز الامم
عن معارضته وقد تحداهم ان يأتوا بسورة
مثله فلم تحركهم انفة التحدي وصبروا
على بعض العجز مع شدة حميتهم وقوة انفتهم
وقد سفه احلامهم وسب اصنامهم ولو
وجدوا الى المعارضة سبيلا وكان في مقدورهم
واخلا وقد جعله حجة لهم في رد رسالته
ليعارضوه ولما عدلوا عنه الى بذل نفوسهم
في قتاله وسفك دمائهم في محاربته فأن
قيل فليس ان يمتنع ان يكونوا قد عارضوه
بمثله فكتم كما كتم ما هجي به من الاشعار
وقرف به من المعارّ فعنه جوابان احدهما
انهم لو عارضوه لظهر ولو ظهر لانتشر لأن
دواعي الاستفاضة لا يستطاع لما في الطباع
من الاذاعة وفي نفثات الصدور من
الاشاعة ولقيل لقد عورض فكتم كما قيل
هجي فكتم ولو جاز هذا في معارضة القرآن
لجاز مثله في معجزة كل نبي ان يقال قد عورض

معجزه

معجزه فكتم فيفضى الى ابطال كل معجز وهذا
مدفوع من معارضة غير القران فكان
مدفوعا بالاولى معارضة القران والثانى
انه قد جعل معارضته حجة لهم فى رد رسالته
فلو عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة ولما
احتاجوا معه الى القتال والمحاربة مع بذل
النفوس واستهلاك الأموال ولدفعوه بالأهون
دون الأصعب وقد قالوا قل ما عورض به
فظهر فيه العجز وبان فيه النقص حتى
فضحته ركاكة لفظه وسخافة نظمه
فحكى ابن قتيبة عن مسيلمة انه قال فى
معارضته للقرآن يا ضفدع نقى كم تنقين
لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع
هذا ابو بكر قال ان هذا الكلام لم يخرج
عن ال وحكى عن غيره واحسبه العتبى انه
قال الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج
من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف
وحشا وحكى عن آخر الفيل وما الفيل له
ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من
خلق ربنا لقليل وحكى الحكم عن عكرمة ان
النضر بن الحرث وكان من فصحاء قريش

عارض القرآن فقال والزارعات زرعا والحاصدات
حصدا والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا
فالخابزات خبزا فاللاقمات لقما وقال آخر
قد افلح من هيم في صلاته واطعم المسكين
من مخلاته واخرج الواجب من زكاته وقال
آخر في معارضة سورة النجم والنجم اذا
سجى والبحر اذا طمى ما زاغ صاحبكم وما طغى
وما كذب بها وغوى فيما نطق به وروى
فانزل الله تعالى في ذلك ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شئ فهذه المعارضة وقد اهتدوا
فيها مثالا عدلوا بها عن طويل السور الى
قصارها فأتوا بسقيم الكلام دون سليمه
وبسخيفه دون جميله فكيف يقابل به غايته
القصوى وتوارى به طبقته العليا وهل
ذلك الا كمن عارض فصاحة سحبان بعي
بأقل او تخليط مجنون بحزم عاقل او قياس الشذر
بالمدر وشاكل بين الصفو والكدر من تعاطى
ما ليس في طبعه افتضح فخر صريعا وهوى
سريعا

فصل

والوجه العشرون من اعجازه الصرفة عن

معارضته واختلف من قال بها هل صرفوا عن
القدرة على معارضته او صرفوا عن معارضته
مع دخوله فى مقدورهم على قولين احدهما انهم
صرفوا عن القدرة ولو قدروا لعارضوا والقول
الثانى انهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله
فى مقدورهم والصرفة امجاز على القولين
معا فى قول من نفاها واثبتها لخرقها العادة
فيما دخل فى القدرة فان قيل فان عجزوا عن
معارضته بمثله لم يعجزوا عن معارضته بما
يقاربه وان نقص عن رتبته والمعجز
مالم يمكن مقاربته كما لم يمكن مماثلته فعنه
جوابان احدهما ان مقاربته يكون بما فى
مثل اسلوبه اذا قصر عن كماله والأسلوب
ممتنع فبطلت المقاربة وثبت الأمجاز والثانى
ان المقاربة تمنع من المماثلة والتحدى انما كان
بالمثل دون المقاربة

فصل

فاذا ثبت امجاز القرآن من هذه الوجوه
كلها صح ان يكون كل واحد منهما معجزا فاذا
جمع القرآن سائرها كان امجازه اقهر وحجاجه
اظهر وصار كفلق البحر لموسى واحياء الموتى
لعيسى لأن مدار الحجة فى المعجزة ايجاد ما لا

يستطيع الخلق مثله سواء كان جسما مخترعا
او جرما مبتدعا او عرضا متوهما فان قيل
افتعتبرون عجز العرب العاربة عنه دون
المولدين او عجز الجميع قيل فيه خلاف بين
اهل العلم على وجهين احدهما ان المعتبر
فيه عجز الجميع ليكون اعم والوجه الثاني
يعتبر فيه عجز العرب العاربة دون المولدين
ليكون معتبرا بمن يلجأ الى طبعه ولا يصول
على تكلفه وتعلمه واختلفوا اهل يعتبر فيه
عجز اهل عصره او في جميع دهره على هذين
الوجهين احدهما انه يعتبر فيه عجز اهل عصره
لأنهم حجة على اهل كل عصر والثاني انه
يعتبر فيه عجز اهل كل عصر لعموم التحدي
فيه لأهل كل عصر فان قيل فليس عجز
كل الألسن عن مثله موجبا لأضافته الى
الله تعالى لجواز ان تكون الشياطين اعانت
عليه حتى خرج عن مقدور الأنس كما اعانت
سليمان على ما عجز عنه الأنس فعنه
ثلثة اجوبة احدها ان هذا يتوجه على
موسى عليه السلام في فلق البحر وعلى عيسى في
احياء الموتى ويقدح في جميع النبوات فلم يجز
لمن اثبتها

لمن اشتبها ان يخص بعض المعجزات والجواب
الثانى ان الشياطين لم يعرفوا الا من الرسل
ولولادهم لما علم الناس فى الدنيا شيطانا ولا
جنيا ولا جانا وقد جهروا بلعنتهم ودعوا
الى معصيتهم ولو كانوا اعوانا لدعوا الى طاعتهم
وموالاتهم لان معونة من الجميع وولى احق
من معونة من عصى وعودى والجواب
الثالث ان الشياطين لا يقدرون على ذلك
الا بمعونة الله تعالى لهم وهو لا يعين كاذبا
عليه فان كان عن امره كان معجزا لأنه من
فضله وعلى هذا كان يسخر سليمان
عليه السلام الجن والله تعالى عفى عن الشياطين
ان يكونوا سفرا الى رسوله واعوانا لأنبيائه
وهم ينهون عن طاعته ويدعون الى معصية
هذا القرآن وقد تحداه الجن كما تحدى به
الأنس لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحكى
عنهم عجزهم بقوله انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدى الى الرشد فآمنا به **فصل**
فاذا تقررت هذه الجملة فى اعجاز القرآن

فبا عجازه يعلم انه من غير كلام البشر ولا
يعلم انه من عند الله تعالى الا بقول الرسول
فلو اراد الرسول ان يقول مثله لم يقدر عليه
لأنه من البشر الا ان يمده الله تعالى
بعون منه فيصير قادرا عليه ومعجزا له
ولم يضف القرآن الى الله تعالى فاما مع اضافته
اليه فلا يكون معجزا له ويكون مصروفا عنه
لأن ما اضيف الى الله تعالى يمتنع ان يكون
من غيره لدخوله في جملة الكذب ثم يصير
القرآن اصلا للشرع ومعجزا للرسول فيجب
على الأمة التزام احكامه وطاعة الرسول
واختلف في لزوم طاعته هل وجبت بعد
ثبوت رسالته بالعقل او بالشرع على وجهين
احدهما بالعقل لأن طاعة الرسول طاعة
المرسل والوجه الثاني بالشرع لقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الأمر منكم لأن الرسول مبلغ
فاذا كان القرآن اصلا للشرع فقد اختلف
العلماء في حد الأصل والفرع على وجهين
احدهما ان حد الأصل ما دل على غيره وحد
الفرع ما دل عليه غيره فعلى هذا يكون

القرآن فرعا

القرآن فرعا لعلم الحسن لأنه الدال على
صحته والوجه الثاني ان الأصل ما تفرع
عنه غيره فعلى هذا يمتنع ان يكون القرآن
فرعا لعلم الحسن لأن الله تعالى تولاه
وجعله اصلا دل العقل عليه واختلف العلما
في ابلاغ الرسول هل يكون امرا ام اعلاما
فقال بعضهم يكون امرا لا يلزم الأمة
احكامه ولو عرفوه قبل ابلاغه والوجه الثاني
يكون اعلاما ويلزمهم احكامه لو عرفوه قبل
ابلاغه فيجوز ان يعلم جميع الأحكام الشرعية
من القرآن ولا يجوز ان يعلم جميعها من
الأجماع ولا من القياس لانهما ينعقدان
عن اصل مسموع واختلف في جواز العلم
بجميعها من سنة الرسول فجوزه بعضهم
لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وامتنع منه بعضهم لقوله
تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى والله سبحانه وتعالى اعلم

الباب الثامن

في معجزات عصمته اظهر الله تعالى لرسوله
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من اعلام نبوته

بعد ثبوتها بمعجز القرآن واستغنائه عما
سواه من البرهان ما جعله زيادة استبصار
يحج بها من قلت فطنته ويذعن لها من
ضعفت بصيرته ليكون اعجاز القرآن مدركا
بالخواطر الثاقبة تفكرا واستدلالا واعجازه
العيان معلوما ببداية الحواس احتياطا
واستظهارا فيكون البليد مقهورا بوهمه
وعيانه واللبيب محجوجا بفهمه وبيانه لأن
لكل فريق من الناس طريقا هي عليهم اقرب
ولهم اجذب فكان ما جمع انقياد الفرق
اوضح سبيلا واعم دليلا فمن معجزات عصمته
من عداته وهم الجم الغفير والعدد الكثير
وهم على امم شتى عليه واشد طلبا لنفسه
وهو بينهم مترسل قاهر لهم مخالط
ومكاثر ترمقه ابصارهم شذرا وتزدد
عنه ايديهم ذعرا وقد هاجر عنه اصحابه
عنه حذرا حتى استكمل مدته فيهم ثلثة
عشر سنة ثم خرج عنهم سليما لم يكلم في
نفسه ولا جسد وما كان ذاك الا بعصمة
الاهية وعده الله تعالى بها فحققها حيث
يقول والله يعصمك من الناس فعصمه منهم

فصل

فصل

وان قريشا اجتمعت فى دار الندوة وكان فيهم النضر بن الحرث بن كنانة وكان زعيم القوم وساعده عبد الله بن الزبعرى وكان شاعر القوم فحضهم على قتل محمد صلى الله عليه وسلم وقال لهم الموت خير لكم من الحيوة فقال بعضهم كيف نصنع فقال ابو جهل هل محمد الا رجل واحد وهل بنو هاشم الا قبيلة واحدة من قبايل قريش فليس فيكم من يزهد فى الحيوة فيقتل محمدا ويريح قومه واطرق مليا فقالوا من فعل هذا سار فقال ابو جهل ما محمد بأقوى من بطل منا وانى اقوم اليه فاشدخ رأسه بحجر فان قتلت ارحت قومى وان بقيت فذاك الذى اوتر فخرجوا على ذلك فلما اجتمعوا فى الحطيم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد جاء فقدم من الركن فقام يصلى فنظروا اليه يطيل الركوع والسجود فقال ابو جهل فانى اقوم فأريحكم منه فأخذ مهرا شاغطيما ودنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد لا يلتفت ولا

بها به وهو براه فلما دنا منه ارتعد وارسل
الحجر على رجله فرجع وقد شدخت اصابعه
وهو يرتعد وقد روحت اوداجه ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ساجد فقال ابو
جهل لأصحابه خذوني اليكم فالتزموه وقد
غشي عليه ساعة فلما افاق قال له اصحابه
ما الذي أصابك قال لما دنوت منه اقبل على
من رأسه فحل فاغر فاه فحمل على فصك
اسنانه فلم اتمالك واني ارى محمدا محبوبا
فقال له بعض اصحابه يا ابا الحكم رعيت
واحيت الحبوة فكفا فرجعت فقال ما نفروني
عن نفسي قال النضر بن الحرث فان رجع
غدا فاتاله قالوا له يا ابا سهم لئن فعلت
هذا لتودن فلما كان من الغد اجتمعوا
في الحطيم منتظرين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما اشرف عليهم قاموا باجمعهم
فواثبوه فأخذ حفنة من تراب وقال شاهت
الوجوه وقال حمزة لا يبصرون فتفرقوا عنه
وهذا دفع الاهي وثق به من الله تعالى
فصبر عليه حتى وقاه الله تعالى وكان من
اقوى شاهد على صدقه ومن اعلامه

ان

ان معمر بن يزيد وكان اشجع قومه استغاثت
به قريش وشكوا اليه امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانت بنى كنانة تصدر
عن رائه وتطيع امره فلما شكوا اليه قال لهم
انى قادم الى ثلث وار يكم منه وعندى
عشرون الف مدجج فلا ارى هذا الحي من
بنى هاشم يقدر على حربى وان سألونى
الدية اعطيتهم عشر ديات ففى مالى
سعة وكان يتقلد بسيف طوله سبعة
اشبار فى عرض شبر وقصته فى العرب
مشهورة بالشجاعة والباس فلبس يوما
وعده قريشا سلاحه وظاهر بين ذرعين
فوافقهم بالحطيم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الحجر يصلى وقد عرف ذلك فما
التفت ولا تزعزع ولا قصر فى صلوة فقيل
له هذا محمد ساجدا هوى اليه وقد سل
سيفه واقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه
وعدا فلما صار الى باب الصفا عثر فى درعه
فسقط فقام وقد ادمى وجهه بالحجارة
يعدو اكاشد العدو حتى بلغ البطحاء ما
ما يلتفت الى خلفه فاجتمعوا وعلوا عن

وجهه الدم وقالوا ماذا اصابك قال ويحكم
المغرور من غررتموه قالوا ما شأنك قال
ما رأيت كاليوم دعوني ترجع الى نفسي فتركوه
ساعة وقالوا ما اصابك يا ابا ليث قال اني
لما دنوت منه من محمد فأردت ان أهوي
بسيفي اليه اهوى الي من عند رأسه
شجاعان اقرعان ينفخان بالنيران
وتلمع من ابصارهما فعدوت فما كنت لأعود
في شيء من مساءة محمد ومن اعلامه
ان كلدة ابن اسيد ابو الأشد وكان من
القوة بمكان خاطر قريبا يوما في ان يقتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعظموا له
الخطر ان هو كافاهم فرأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الطريق يريد المسجد ما بين
دار عقيل وعقال فجاءه كلدة ومعه مزراق
فأهوى نحوه ومعه المزراق فرجع المزراق
في صدره فرجع قرنعا فقالت له قريش مالك
يا ابا الأسد فقال ويحكم ما تروني افعل
خلعني قالوا ما نرى شيئا قال ويحكم فأني اراه
فلم ينزل بعدوا حتى بلغ الطائف فاستهزأت
به ثقيف فقال انا اعدركم لو رأيتم ما رأيت
قريش

لهلكتم

لهلكتم ومن اعلامه ان ابا لهب
جزع يوما وقد اجتمعت قريش فقالوا له،
يا اباعتبه انك سيدنا وانت اولى بمحمد منا
وان اباطالب هو الحايل بيننا وبينه ولو
قتلته لم يبكر ابو طالب ولا حمزه منك شيء
وأنت بري من دمه ونؤدى نحن الدية
وتسود قومك فقال فأنى اكفيكم ففرحوا
بذلك ومدحته خطباؤهم فلما كان في
تلك الليلة وكان مشرفا عليه نزل ابولهب
وهو يصلى ونسلقت امرأته ام جميل الحائط
حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ساجد وصاح به ابولهب فلم
يلتفت اليه وهما كانا لا ينقلان قدما ولا
يقدران على شيئ حتى ينفجر الصبح وفرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو
لهب يا محمد اطلق عنا فقال ما كنت لأطلق
عنكما او تضمنا لى انكما لا تؤذيانى قالا قد
فعلنا فدعا ربه فرجعا ومن اعلامه م
ان قريشا اجتمعت فى الحطيم فخطبهم عتبة
ابن ربيعة فقال هذا بن عبد المطلب
قد نغص علينا عيشنا وفرق جماعتنا

وبدد شملنا وعاب ديننا وسفه احلامنا
وضلل اباءنا وكان فى القوم الوليد بن المغيرة
وابو جهل بن هشام وشيبة بن ربيعة
والنضر بن الحارث ومنبه وبنيه ابناء
الحجاج وامية وابى ابناء خلف فى جماعة
من صناديد قريش وقالوا له قل ما شئت
فانا نطيعك قال سأقوم فأكلمه فان هو
رجع عن كلامه وعما يدعوا اليه والا رأينا
فيه رأينا فقالوا له شأنك يا ابا عبد
شمس فقام فقدم الى النبى صلى الله
عليه وسلم وهو جالس وحده فقال انعم
صباحا يا محمد قال يا عبد شمس ان الله
قد ابدلنا بهذا السلام تحية اهل الجنة
قال يا ابن اخى انى جئتك من عند صناديد
قريش لأعرض عليك امورهم ان انت قبلتها
فلك الحظ فيها ولنا فيها الفسحة ثم قال
يا ابن عبد المطلب انا زعيم قريش فيما
قالت قال قل قال يا ابن عبد المطلب
انك دعوت العرب الى أمر ما يعرفونه فاقبل
منى ما أقول لك قال قل قال ان كان ما تدعوا
اليه تطلب به ملكا فانا نملكك علينا من غير

تعب

نعب ونتوجك فارجع عن ذلك فسكت
ثم قال له وان كان ماتدعوا اليه امرا تريد
به امراءة حسناء فنحن نزوجك فقال لاقوة
الا بالله ثم قال له وان كان ماتتكلم به
تريد مالا اعطيناك من الأموال حتى تكون
اغنى رجل في قريش فان ذلك اهون علينا
من تشتيت كلمتنا وتفريق جماعتنا وان
كان ماتدعوا اليه جنونا داويناك كما تداوى
به قيس بن ثعلبه مجنونهم فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ماتقول
وبما ارجع الى قريش فقال النبي صلى الله
عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت اياته قرانا عربيا
لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم
فهم لايسمعون حتى بلغ الى قوله فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود قال عتبة فلما تكلم بهذا الكلام
كانت كعبه مالت حتى خفت ان تمس
راسي من امجازها وقام فزعا يجر رداءه
فرجع الى قريش وهو ينتفض انتفاض
العصفور وقام النبي صلى الله عليه وسلم

يصلي فقالت قريش لقد ذهبت من
عندنا نشبطها ورجعت فرعا مرعوبا فما
ورآءك فقال ويحكم دعوني انه كلمني بكلام
لا ادري منه شيئا ولقد وقعت على الرعدة
حتى خفت على نفسي وقلت الصاعقة
فداخذتني فندموا على ذلك فقال ابن عرفة
الصاعقة اسم للعذاب على اي حال كان
وانما اهلكت عادا بالريح وثمود بالرجفة
فسما الله تعالى جده ذلك صاعقة قال
الازهري الصاعقة صوت الرعد الشديد
الذي يصعق منه الانسان اي يغشا عليه

ومن اعلامه انه لما اراد الهجرة
خرج من مكة ومعه ابو بكر فدخل غارا
في جبل ثور ليستخفي من قريش وقد
طلبته وبذلت لمن جاء به مائة ناقة
حمراء فاعمانه الله تعالى باخفاء اثره وانبت
على باب الغار ثمامة وهي شجرة صغيرة
والهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار
نسج سنين في طرفة عين ولسع ابو بكر هذه
الليلة عير لسعه فخرق ثيابه وجعله في
الشقوق وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول

الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم واقاما فيه ثلاثة
ايام ثم خرجا منه فلقيه سراقة بن مالك
بن جعشم وهو من جملة من توجه لطلبه فقال
له ابو بكر هذا سراقة قد قرب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا سراقة
فأخذت الأرض فوائم فرسه الى ابطها فقال
سراقة يا محمد ادع الله ان يطلقني ولك
علي ان ارد من جاء بطلبك ولا اعين عليك
ابدا فقال اللهم ان كان صادقا فاطلق عن
فرسه فأطلق الله عنه ثم اسلم
سراقة وحسن اسلامه ومن اعلامه م
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انفرد
في غزوة ذي امر عن اصحابه واضطجع وحده
فوقف عليه ذو عشور فسل سيفه وقال
يا محمد من يمنعك مني فقال الله فسقط
السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال له من يمنعك مني قال
لا أحد اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وعاد الى قومه يدعوهم
الى الاسلام وفيه نزل قوله تعالى يا ايها
الذين اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم

ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم
ومن اعلامه ان الناس لما انهزموا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واله
وسلم يوم حنين وهو معتزل عنهم رآه شيبة
ابن عثمان بن ابي طلحة فقال اليوم ادرك
ثاري واقتل محمدا لأن اباه قتل يوم احد
في جماعة اخوته واعمامه قال شيبة فلما
اردت قتله اقبل شيئ تغشى فوادي فلم اطق
ذلك علمت انه ممنوع **ومن اعلامه**
ان عامر بن الطفيل واربد بن قيس وهو أخو
لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه وفدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومهما
من بني عامر فقال عامر لأربد اذا قد منا
على محمد فأني شاغل عنك وجهه فاعله
انت بالسيف حتى نقتله قال اربد افعل
ثم اقبل عامر يمشي وكان رجلا جميلا حتى قام
على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد مالي ان اسلمت فقال لك ما للأسلام
وعليك ما على الأسلام قال الا تجعلني الوالي
من بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك
ولكن لك اعنة الخيل تغزو بها قال اولست
لي اليوم

لى اليوم ولكن اجعل لى الوبر ولك المدر،
قال ليس ذلك لك فقال فثم يا محمد الى
هاهنا فقام اليه فوضع عامر يده بين
منكبيه ثم اوما الى اربد ان اضرب فسل
اربد سيفه قريبا من ذراع ثم امسك
الله يده فلم يستطع ان يسله ولا يغمده
فالتفت رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اربد فرآه على ما هو عليه فقال
اللهم اكفيهما بما شئت اللهم اهد بنى
عامر واغن الدين عن عامر فانطلقا وعامر
يقول والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا
وورد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأبى الله ذلك وابناء قيلة يعنى
الأنصار ثم قال عامر لأربد ويلك لم
امسكت عنه فقال والله ما هممت به
مرة الا رأيتك ولا اراى عنك فأضربك بالسيف
وسارا فأما عامر فطرح الله عليه الطاعون
فى عنقه فقتله فى بيت امراة من بنى
سلول فجعل يقول اغدة كغدة البكر فى
بيت امراة من بنى سلول وركب فرسه
فركضه حتى مات واما اربد فقدم على

قومه فقالوا ما وراءك يا اربد فقال والله
لقد دعانا الى عبادة شيئ لو ددت انه
عندى الآن فارميه بنبلى هذا حتى اقتله
ثم مرض بعد مقالته بيوم او يومين ومعه
جمال له تتبعه فأرسل الله عليه وعلى
جماعته صاعقة احرقتهم وقيل نزلت فى
صاعقته قول الله تعالى وهو الذى يريكم
البرق خوفا وطمعا يعنى خوفا من الصواعق
وطمعا فى المطر وفيه يقول لبيد بن ربيعة
وهو اخو اربد لأم

* اخشى على اربد الحتوف * ولا أرهب نوء السماك والأسد
* فجعنى الرعد والصواعق * بالفارس يوم الكريهة النجد
* كل بنى حرة مصيرهم قل * وان اكثرت من العدد
* ان يغبطوا يهبطوا وان امروا * يوما يصيروا للهلك والنكد

فان قيل فهذه اخبار آحاد لا يقطع بمثلها
قبل العداوة ظاهرة والطلب معلوم والسلامة
موجودة فلم يدفع جملة الاخبار ولم يصح
فى جميعها توهم الكذب وان جاز فى آحادها
توهم الكذب كالمحكى من سخاء حاتم وشجاعة عنتر

الباب التاسع

فيما شوهد من معجزات افعاله

الله

ان الله تعالى قدر لعباده افعالا كما قدر
لهم اجساما واجالا انتهى الى غاية اعجزهم عن
تجاوزها لتكون افعالهم مقصورة على عرف
مألوف وحد معروف يتوصلون بها الى
مصالحهم فيعلموا ان ما تجاوزها وخرج عن
عرفها انه من افعاله ل الله تعالى فيهم لا من
افعالهم فأن اظهر صافى احدهم دل على اختصاصه
بالله تعالى دونهم فكان بها ممتازا واليه
تعالى مختارا ليختص بطاعة الاهية كما اختص
بافعال لاهوتية فلذلك صارت الأفعال
المعجزة شاهدة على صحة النبوة ومن اعلامه
ما رواه البخاري عن عبد الواحد بن ايمن عن
ابيه قال قلت لجابر بن عبد الله حدثني
بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعته منه اروبه عنك فقال جابر كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
نحفر فلبثنا ثلثة ايام لم نطعم طعاما ولا نقدر
عليه فعرضت في الخندق كدية قطعة غليظة
لا يعمل فيها الفاس كثيبا رملا سائلا فجئت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذه
كدية قد عرضت في الخندق ورشتنا عليها

صلى الرحمن

الماء فقام و بطنه معصب بالحجر فأخذ المعول
والمسحاة ثم سمائلا ثا ثم ضرب ضربا فعادت
كثيبا فلما رأيت ذلك منه قلت يا رسول الله
أئذن لى فأذن لى فجئت الى امرأتى فقلت تكلتك
امك انى رأيت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا لا صبر لى عليه فما عندك قالت
عندى صاع من شعير وعناق قال فطحنا
الشعير وذبحنا العناق وطبخناها وجعلناها فى
البرمة وعجنا العجين ثم رجعت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلبثت ساعة ثم
استأذنت ثانية فأذن لى فجئت فاذا بالعجين
قد امكن فأمرتها بالخبز وجعلت الفدر على
الأثافى ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشاورته وقلت عندنا طعيم لنا
فأن رأيت ان نقوم معى انت ورجل او رجلان
معك فقلت فقال ما هو وكم هو قلت صاع
من شعير وعناق فقال ارجع الى اهلك فقل
لها لا تنزع البرمة من الأثافى ولا تخرج الخبز
من التنور حتى آتى ثم قال للناس قوموا الى
بيت جابر فاسجيت حييا لا يعلمه الا الله
تعالى فقلت لامرأتى قد جاء رسول الله صلى

الله عليه

الله عليه وسلم باصحابه اجمعين فقالت
اكان سألك كم الطعام قلت نعم قالت الله
ورسوله اعلم قد اخبرته بما كان عندنا
فذهب عني بعض ما اجده وقلت لها صدقت
وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
ثم قال لأصحابه لا تضاغطوا ثم برّك على التنور
والبرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ
من البرمة اللحم فنثرد ونغرف ونقرب اليهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجلس
على الصحفة سبعة او ثمانية فلما اكلوا كشفنا
التنور والبرمة فاذا هما قد عادا الى ملأهما
كما كانا عليه حتى شبع المسلمون كلهم وبقيت
طائفة من الطعام فقال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الناس قد اصابهم مخمصة
فكلوا واطعموا فلم نزل يومنا نأكل ونطعم قال
فأخبرني انهم كانوا ثمان مائة او قال مبين اقل
من الثمان مائة وهذا نظير معجزة عيسى
عليه السلام في المائدة ومن اعلامه
ما رواه مالك بن انس عن اسحق بن عبد الله
بن ابي طلحة انه سمع انس بن مالك يقول
قال ابو طلحة لأم سليم لقد سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف
فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت نعم
فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا
لها فلفت الخبز ببعضه ثم ارسلتني الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته في
المسجد معه الناس فقمت عليهم فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك
ابو طلحة قلت نعم قال للطعام قلت نعم فقال
لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم
حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة
يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم
فقالت الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة
حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل
معه حتى دخلا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ام سليم هلمي ما عندك فجاءت
بذلك الخبز فامر به ففت وعصرت ام سليم
عكة لها فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وآله وسلم ما شاء الله ان يقول
ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا
ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم
فاكلوا حتى

فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن
لعشرة حتى اكل القوم وشبعوا وخرجوا والقوم
سبعون او ثمانون رجلا والمعجز فيه مع طعام
العدد الكثير من الطعام اليسير ما اخبر به
انس بن مالك مما جاء فيه ومن اعلامه
ما رواه انس بن ابي يحيى عن اسحق ابن
سالم عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ادع لي
اصحابك يعني اصحاب الصفه قال فجعلت
ابعثهم رجلا رجلا او قطعهم حتى جمعتهم
فجئنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستاذنا فاذن لنا ووضعت بين ايدينا
صحفة اظن فيها صنيعا قدر مد من الشعير
فوضع يده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فقال خذوا بسم الله فاكلنا ما شئنا
ثم رفعنا ايدينا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين وضعت الصحفة والذي
نفس محمد بيده ما امسى في آل محمد
طعام غير شيء تروونه فقيل لابي هريرة
قدركم كانت حين فرغتم قال مثلها حين
وضعت الا ان فيها اثر الاصابع ومن اعلامه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل
بالحديبية وهي جافه قال للناس انزلوا
فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل
عليه فاخرج سهما فدفعه الى البراء بن عازب
وقال اغرز هذا السهم في بعض قلب الحديبية
وهي جافة ففعل فجاش الماء ونادى الناس
بعضهم بعضا من اراد الماء فقال ابو سفيان قد
ظهر بالحديبية قليب فيه ماء قال لسهيل
ابن عمرو قم بنا الى ما فعل محمد فانشرفا
على القليب والعيون تنبع تحت السهم فقالا
ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد
قليل فلما امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالرحيل فقال للناس خذوا حاجتكم
من الماء ثم قال للبراء اذهب فزد السهم فلما فرغوا
وارتحلوا اخذ البراء السهم فجف الماء كانه لم
يكن هناك ماء وهذا نظير ما اعطى موسى
من الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عينا
ومثله ما روي انه في غزوة بني المصطلق
دعا بركوة جافة ثم تفل فيها ثم قلبها فتفجرت
من بين اصابعه عيون حتى شرب الخيل والابل
وملئ كل سقاء ومن اعلامه

الذئب

ان قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم
ملوحة مائهم فقام باصحابه حتى اشرف
على بيرهم فتفل فيها ثم انصرف فانفجرت بالماء
الزلال وكانت غايرة وانها على حالها الى
اليوم ويتوارثها اهلها بعدونها من اعظم
مفاخرتهم ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة سألوه
مثلها فتفل فيها فصار ماؤها اجاجا كبول
الحمار وهي عليه الى اليوم على حالها وجاءته صلى
الله عليه وآله امراءة بصبي لها قد تمعط
شعره فمسح رأسه بيده فاستوى شعره
فبلغ ذلك قوم مسيلمة فأتوه بصبي مثله
فمسح رأسه فصلع وبقي نسله صلعا
الى وقتنا هذا ومن اعلامه
ما رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال لما غزونا خيبر ومعنا من يهود فدك
جماعة فلما اشرفنا على القاع اذا نحن بالوادي
والماء يقلع الأشجار هذه الجبال فقدرنا
الماء فاذا هو اربع عشرة قامة فقال بعض
الناس يا رسول الله العدو من ورائنا والوادي
قدامنا فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسجد ركعتين ثم قال سيروا على اسم

الله ففرت الخيل والابل والرجال فكان
الفتح والغلبة له وهذا نظير فلق البحر
لموسى عليه السلام نوع آخر ومن اعلامه
روى الحسن ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال انى قدمت من سفر لى
فبينا بنت خماسية تدرج حولى فى وصيفها
وحلاوحليها اخذت بيدها فانطلقت بها
الى وادى فلان فطرحتها فيه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انطلق معى فأرنى
الوادى فانطلق معه الى الوادى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لأبيها ما كان اسمها
فقال فلانة فقال النبي صلى الله وسلم
يافلانه اجيبى باذن الله فخرجت الصبية
وهي تقول لبيك يارسول الله وسعديك
فقال لها ان ابويك فداآسا فان احببت ان
ان اردك عليهما فقالت لاحاجة لى فيهما
وجدت الله خيرا لى منهما وهذا نظير
ما فعله عيسى عليه السلام من احياء الموتى ومن اعلامه
ان طفيل العامرى جاء اليه صلى الله عليه وسلم
فشكا اليه الجذام فدعا بركوة ثم تفل فيها
وامره ان يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحا
وأتاه

واتاه حسان بن عمرو الخزاعي فحذوما فدعا
له بماء فتفل فيه ثم امره فصبه على نفسه
فخرج من علته كان لم تكن قط فرجع ودعا
قومه الى الاسلام فاسلموا عن آخرهم واتاه
قيس اللخمي وهو من سادات قومه وبه
برص فتفل عليه فما بقي عليه الا مقدار
الحبة وهذا نظير ما كان من عيسى عليه
ابن مريم عليه السلام في ابراء الاكمه والابرص
ومن اعلامه ما رواه سعيد بن ابي
سعيد عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم انصرف ليلة من العشاء
فاضات له برقة فنظر الى قتادة بن النعمان
فعرفه فقال يا نبي الله كانت ليلة مطيرة
فاحببت ان اصلي معك فاعطاه عرجونا
وقال خذ هذا يستضيء لك ليلتك فاذا
اتيت بيتك فان الشيطان قد خلفك
فانظر في الزاوية على يسارك. فدخلت
فنظرت حيث قال فاذا انا بسواد فضربته حتى
سبقني وفي هذا الخبر معجزات من فعل
وقول ومن اعلامه
ان ابا قتادة بن ربعي جاءه يوم احد وقد

انقطعت احدى عينيه وتعلقت على وجهه
فقال يا رسول الله صلى الله عليك ان
لى امراءة واخشى ان ينقصنى هذا عندها
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى موضعها فكانت احسن عينيه ومثله
ما رواه عروة بن الزبير ان زبيرة اسلمت
فاصيب بصرها فقالوا لها اصابك اللات
والعزى فرد الله عليها بصرها فقال عظماء
قريش لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا
اليه زبيرة فانزل الله تعالى وقال الذين
كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه

ومن اعلامه

ان جرهدا اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين يديه طبق فاخذ بيده الشمال
لياكل وكانت اليمنى مصابة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل باليمنى فقال
يا رسول الله انها مصابة فنفث عليها
فما اشتكاها بعد الى ساعته وابصر رجل
ياكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال لا استطعت فما وصلت الى فيه بعد
كلما رفع اللقمة الى فيه ذهبت فى شق

آخر

شاة أم معبد الخزاعية وكانت مجهودة،
عجفاء وهزلى فمسح رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضرعها فدرت لبنا وامتلأت سمنا
وبقيت على حالها الى ان وافاها اجلها
واهدت له ام شريك عكة فيها سمن
فأخذ منه شيئا ورد العكة عليها فلم تزل
العكة تصب سمنا مدة طويلة الى امثال
هذا فنظائره فان قيل لا يثبت اعجاز
النبوات بمثل هذا من اخبار الآحاد فعنه
جوابان احدهما ان رواة الآحاد قد اضافوه
اليه في جميع كثير قد شاهدوه وسمعوا
راويه فصدقوه ولم يكذبوه وفي الممتنع
امساك العدد الكثير عن رد الكذب كما يمتنع
افتعالهم للكذب ولان جاز اتفاقهم على
الصدق مع الكثرة والافتراق وامتنع اتفاقهم
على الكذب خاصة متناثرة ولذلك
فلأن دواعي الصدق عامة متناصرة ودواعي
الكذب خاصة متناثرة ولذلك كان
صدقهم في اكذب الناس اكثر من كذبه
لأنه لا يجد من الصدق بدا ويجد من

الكذب بدا والثانى انها اخبار وردت من
طرق شتى وامور متغايرة فامتنع ان
يكون جميعها كذبا وان كان فى احادها فجوزا
فصار مجموعها من التواتر ومفترقها من
الأحاد فصار متواتر مجموعها حجة وان
قصر مفترق احادها عن الحجة والله اعلم

الباب العاشر

فيما سمع من معجزات اقواله

والمعجزات من القول هو الاخبار عن غائب
لا يعلم به غير مخبره فيكون على صدقه
دليلا لأن الخبر محتمل الصدق والكذب
وحقيقة الخبر ما كان عن ماض فاما المستقبل
الى فعل المخبر كان وعدا يصح من نبي وغير
نبي وان اضيف الى فعل غيره كان من
الغيوب المجردة المعجزة لا يصح الا من نبي
مبعوث وعن وحي منزل اذا تكرر عاريا عن
الأسباب المندرة ولئن ظهر خبر من غير
نبي فهو بالاتفاق عن حدس ان صح فى خبر
لم يصح فى كل خبر ويصح من النبي صلى الله
عليه وسلم فى كل خبر لأنه من الله تعالى
المحيط بعلم الغيوب كما قال لنبيه قل لا اقول
لكم عندى

لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا
اقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الي وفى
خزائن الله هاهنا تأويلان احدهما خزائن
الرزق فاغنى واقفر والثانى خزائن العذاب
فاعجل واوخر وفى قوله ولا اعلم الغيب
تأويلان احدهما علم الخزائن على ما مضى
من التاويلين والثانى علم ما غاب عن ماض
ومستقبل الآن المستقبل لا يعلمه الا الله
تعالى ومن اطلعه عليه من انبيائه واما
الماضى فقد يعلمه المخلوقون من احد
وجهين اما من مخلوق معاين او من خالق
مخبر فكانت الأخبار المستقبلة من ايات
الله تعالى المعجزة فأما الماضية فأن علم
بها غير المخبر لم تكن معجزة وان لم يعلم بها
احد كانت ايته معجزة وفى قوله ولا اقول آية لعه
لكم انى ملك تأويلان احدهما انه لا يقدر
على ما يعجز عنه العباد وان قدرت عليه
الملائكة والثانى انه من البشر وليس
بملك لينفى عن نفسه غلو النصارى فى
المسيح وفى نفيه ان يكون ملكا تأويلان
احدهما انه دفع عن نفسه منزلة الملائكة

تفضيلا لهم على الأنبياء والثاني انى لست
ملكا فى السماء فأعلم غيب السما الذى
تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر وان
كان الأنبياء افضل من الملائكة مع عينهم
عما يشهده الملائكة وفى قوله ان اتبع ما يوحى
الي تا ويلان احدهما العالم والجاهل والثانى
المؤمن والكافر فثبت بما قررناه ان فى
الأقوال معجزة كالأفعال فكانت من اعلام
النبوة وايات الرسل ونحن نذكر منها ما اختص
بقول الرسول دون ما تضمنه القران لأن
القرآن معجز فى الخبر وغير الخبر

فصل

ومجيئ الأخبار ينقسم على اربعة اقسام
اخبار استفاضة واخبار تواتر واخبار احاد
بقرائن واخبار احاد مجردة فاما اخبار
الأستفاضة والتواتر فقد اطلق أهل
العلم ذكرهما ولم يفرقوا بينهما وهما عندى
مفترقان لأن اختلاف الأسما موضوع
لاختلاف المسمى فكان حملها على حقيقة
الأختلاف اولى من حملها على مجاز الأئتلاف
فاخبار الأستفاضة ما بدأت منتشرة عن كل

مخبر من بر وفاجر عن قصد وغير قصد
ويتحققها كل سامع من عالم وجاهل فلا
يختلف فيها مخبر ولا يتشكك فيها سامع
ويستوى طرفاها ووسطها فتكون اوايلها
كاواخرها وتناهيها وهو اقوى الأخبار
وردوا وابلغها ثبوتا واما اخبار التواتر فهو
ما اخبر به الواحد بعد الواحد حتى كثروا
وبلغوا عددا ينتفى عن مثلهم المواطاة على
الكذب والأتفاق على الغلط ولا يعرض فى خبرهم
شك ولا توهم فيكون من اوله من اخبار
الأحاد وفى آخره من اخبار التواتر فيصير
مخالفا لأخبار الأستفاضة فى اوله وموافقا
لها فى آخره ويكون الفرق بين خبر الأستفاضة
وخبر التواتر من ثلثة اوجه احدها ماذكرناه
من اختلافها فى الأبتدا والأنتها والثانى
ان اخبار الأستفاضة قد تكون عن غير
قصد واخبار التواتر لا تكون الا عن قصد
والثالث ان اخبار الأستفاضة لا يعتبر فيها
عدالة المخبرين ويعتبر فى اخبار التواتر
عدالة المخبرين ثم يستوى الخبران فى انتفا
الشك عنهما ووقوع العلم بهما وبمثال

ومثال الاستفاضة في احكام الشرع اعداد
الصلوات ومثال التواتر في احكام الشرع نصب
الزكواة واختلف في وقوع العلم بهما هل
هو علم اضطرار او علم اكتساب على وجهين
احدهما انه علم اكتساب وقع عن الاستدلال
وهو قول بعض اصحاب الشافعي وبعض
المتكلمين لأن العلم بخبرهم يقترن بصفات
تختص بهم فصار طلب الصفات استدلالا لا
يوصل الى العلم بخبرهم واختلف القائلون
بهذا هل اكتسب العلم به من الخبر او
المخبر على وجهين احدهما من الخبر لانه
المقصود والثاني من المخبر لأنه المبلغ فهذا
قول من جعله علم استدلال والوجه الثاني
وهو قول الأكثرين من الفقهاء والمتكلمين
انه علم اضطرار ادرك ببداية العقول
لأن العلم به قد يسبق الى اليقين من
غير نظر ويستقر في القلوب من غير انتقال
واختلف القائلون بهذا في علمه بالاضطرار
هل هو من فعل المخبر لوصوله اليه بنفسه
وهو قول اكثر الفقهاء والوجه الثاني أنه
من فعل الله تعالى لأنه الملجئ اليه وهو
قول اكثر

قول اكثر المتكلمين واختلف من قال بهذا
منهم على وجهتين احدهما انه من فعل
الله تعالى في الخبر والثاني انه من فعله
في المخبر والذي اراه اولى ان اخبار الاستفاضة
توجب علم الاضطرار واخبار التواتر توجب
علم الاستدلال لاستغناء الافاضة عن
نظر واحتياج التواتر الى نظر مع وقوع العلم
بهما وزعمت الامامية انه لا يقع العلم
باخبار الاستفاضة والتواتر الا ان يكون
المخبرين امام معصوم او يصدقهم عليه امام
معصوم وحكى عن ضرار بن عمرو ان حجة
الاستفاضة والتواتر لا تقوم بعد الرسل
بنقل اقواله وافعاله الا بأجماع الامة
على صدقهم وصحة نقلهم وكلا القولين
مدفوع بقضايا العقول لانها تضطر الى العلم
بها كعلم الاضطرار بالمشاهدات ومدركات
الحواس لان الاخبار بالبلدان فيها مكة
والصين يعلم باضطرار كما نعلم بالمشاهدة
وكما يعلم الانسان ان تحته ارضا
وسما فوقه لوجود انفسنا عالمة بها على
سواء ولما في غرائز الفطر من ذلك قال

طفيل الغنوى وهو اعرابي بطبع سليم من
التكلف وبديهة خلقت من التعمق
والتعسف ما يدل على وقوع العلم باخبار
الاستفاضة والتواتر بقول

* ناؤبنى هم من الليل منصب * وجاء من الاخبار ما لا يكذب
* تظاهرن حتى لم تكن لى ريبة * ولم يك فيما اخبر وا متعقب

فصل

واما اخبار الآحاد فضربان احدهما ان يقترن
بها ما يوجب العلم بمضمونها وقد يكون
من خمسة اوجه احدها ان يصدقه عليه
من يقطع بصدقه كالرسول او من اخبر الرسول
بصدقه فيعلم به صدق المخبر وصحة الخبر
والثانى ان يجمع الأمة على صدقه فيعلم
باجماعهم انه صادق فى خبره والثالث أن
يجمعوا على قبوله والعمل به فيكون دليلا
على صدق خبره والرابع ان تكون الخبر
مضافا الى حال قد شاهدها عدد كثير
وسمعوا رواية الخبر فلم ينكروه على المخبر
فدل على صحة الخبر وصدق المخبر والخامس
ان يقترن بالخبر دلائل العقول فان كان مضافا
اليها كان صدقا لازما لأن ما وافقها لا يكون

الاخبار

الاحقا وان كان مضافا الى غيرها لم تدل
موافقتها على صدق الخبر وان اوجب صحة
ما تضمنه الخبر والضرب الثالث ان ينفرد
خبر الواحد عن قرينة تدل على صدقه
فهو امارة توجب غلبة الظن ولا يقتضى
العلم يقوى اذا تطاول به الزمان فلم يعارض
برد ولا مخالفة وان تكرر في معناها ما يوافقها
صار جميعها متواترا وان كان افرادها احادا
واذا استقر هذا الأصل في الأخبار لم
يخرج المروى من اعلام الرسول عنها وقد
ذكرنا ما روى من افعاله وسنذكر ما روى
من اقواله فمنها ما روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال زويت لى الأرض
فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتى ما زوى لى منها فصدق الله خبره ما
وحقق ما ذكره وملك امته اقطار الأرض
حتى دان له بشرعه من في المغرب المشرق
والمغرب وقال عليه الصلاة والسلام لعدى
ابن حاتم لا يمنعك من هذا الدين ما ترى
من جهد اهله وضعف اصحابه فلكانهم
ببيضاء المدائن قد فتحت عليهم ولكانهم

بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتي مكة بغير
خفارة لا تخاف الا الله فانصر عدي
ذلك كله وهذا لا يكون الا من اطلاع الله
تعالى له على غيبه وتحقيقه لوعده في قوله
ليظهره على الدين كله ومن اعلامه
ما رواه البراء بن عازب قال امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق فعرضت
لنا صخرة عظيمة لا يأخذ فيها المعول فأخذ
المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر
ثلثيها وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام
ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر وقال الله
اكبر اعطيت مفاتيح فارس ثم ضرب الثالثة
فقطع بقية الحجر وقال الله اكبر اعطيت
مفاتيح اليمن فصدق الله قوله واعطاه
ما فتح له وروى كعب بن مالك قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا فتحت مصرا ستوصوا بالقبط فان لهم
رحما وذمة يعني ان ام اسمعيل بن
ابراهيم كانت منهم ومن اعلامه
انه كتب الى كسرى كتابا يدعوه الى الاسلام
وبدا باسمه قبل اسمه فلما قراءه انف

لنفسه

لنفسه من ابتدائه باسمه فمزق كتابه
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال مزق ملكه ثم كتب الى كسرى
في الوقت الى عامله باليمن باذان ويكنا
ابا مهران ان احمل الى هذا الذى يذكر انه
نبي وبدا باسمه قبل اسمى ودعانى
الى غير دينى فبعث اليه فيروز بن الديلمى
مع جماعة من اصحابه وكتب معهم كتابا
يذكر فيه ما كتب به كسرى فاتاه فيروز بمن
معه وقال له ان ربى يعنى كسرى امرنى
ان احملك اليه فاستنظره ليلة فلما كان
من الغد حضر فيروز مسرعا فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى
ربى انه قتل ربك البارحة سلط عليه
ابنه شيرويه على سبع ساعات من
الليل فامسك ريثما ياتيك من الخبر
فراع ذلك فيروز وهاله وعاد فيروز الى
باذان فاخبره فقال له باذان كيف وجدت
نفسك حين دخلت اليه فقال والله
ما هبت احدا قط كهيبة هذا الرجل فقال
باذان ان كان ما قاله حقا فهو نبي فلم

يرعه الاوزرد الخبر عليه بقتله في تلك
الليلة من تلك الساعة فاسلم باذان
وفيروز ومن معهم من الأبناء وظهر
العنسي بما افتراه من الكذب فارسل الى
فيروز ان اقتله فقتله الله ففتله وفي هذا
الخبر من ايات الغيوب مالا يعلمه الا الله أو
من اطلعه عليه **ومن اعلامه**
انه رأى ذراعي سراقة بن مالك بن جعشم
وقيقين اشعرين فقال كيف بك اذا
لبست بعدي سواري كسرى فلما فتحت فارس
دعاه عمر والبسه سواري كسرى وقال الحمد
لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز والبسهما
سراقة بن جعشم **ومن اعلامه**
ما رواه جابر بن عبد الله قال صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان
النجاشي اصبحه قد توفي هذه الساعة
فاخرجوا بنا الى المصلى فصلى عليه فصلى
عليه وكبر اربعا فقال المنافقون انظروا الى
هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط فانزل
الله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم الآية
ثم جاء

ثم جاء الخبر بموت النجاشي في تلك الساعة
وما علم هرقل بموت النجاشي الا من تجار
وردوا من المدينة ومثله ما روى ان ريحا
هبت بتبوك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا لموت منافق عظيم النفاق
فقدموا المدينة فوجدوا منافقا عظيما
النفاق قد مات في ذلك الوقت

ومن اعلامه

انه قال لأصحابه اليوم نصرت العرب على
العجم وبي نصروا فجاء خبر الوقعة بذي قار
وما ادال الله تعالى فيه العرب من العجم
حين قتلت فيه بنو شيبان وبكر بن
وايل من الفرس من قتلوا وكان اول يوم
انتصف فيه العرب من العجم وجاءهم الخبر
انه كان في الساعة من اليوم الذي اخبر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن اعلامه

ان كشف الله تعالى له ما غاب عنه في جيش
موته فقال لأصحابه اخذ الراية زيد بن
حارثة وتقدم فقتل ومضى شهيدا ثم
اخذ الراية بعده جعفر بن ابي طالب وتقدم

فقتل ومضى شهيدا ووقف وقفه ثم قال
واخذ الرايه بعده عبد الله بن رواحه
وتقدم فقتل ومضى شهيدا لأن عبد الله
بن رواحه توقف عن اخذ الرواية بعد
قتل جعفر زمانا ثم اخذها قال ثم ارتضى
المسلمون خالد بن الوليد فكشف العدو
عنهم حتى خلصوا ثم قال الى بيت جعفر
ابن ابى طالب فاستخرج ولده ودمعت عيناه
وتقى جعفرا الى اهله وجائت الأخبار بأنهم
قتلوا فى ذلك اليوم على ما وصفه ومن اعلامه
قوله فى ليلة الأسراء حين اصبح مررت بعير بنى
فلان فوجدت القوم نياما واذا انا آفيه
ما وقد غطوا عليه فكشفت غطاءه وشربت
ما فيه ورددت الغطا كما كان واية ذلك
ان عيرهم الأن يقبل من موضع كذا يقدمها
جمل اورق عليه غرارتان احدهما سودا
والأخرى ورقا فابتدر القوم الشنية فوجدوا
ما وصف وسألوهم عن الأناء فوجدوا
الأمر كما قال ومن اعلامه
انه راى عليا عليه السلام فى غزاة العشيرة
على التراب ومعه عمار فقال لهما الا أخبركما باشقى

الناس

الناس قال لا بلى قال اشقى الناس احمر ثمود
عاقر الناقة والذى يخضب يا علي هذه
من هذه واشار الى لحيته من رأسه
وقال لعمار تقتلك الفئة الباغية وآخر
زادك من الدنيا صاع من لبن فكان من
من قتل ابن ملجم لعنه الله لعلي عليه
السلام ما كان وقتل عمار يوم صفين فلما
ذكر الخبر لمعوية لم ينكره ودفعه عن نفسه
بان قال انما قتله من جاء به ومثله ما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر زيد
ابن صوحان فقال زيد وما زيد يسبقه
عضو منه الى الجنة فقطعه يده يوم
تهاوند في سبيل الله وقال الخلافة
بعدى ثلثون وما بعد ذلك ملك

نوع آخر من اعلامه

نوع آخر منهم

انه نزل بجيشه في غزوة تبوك على عبر مآدهم
نحو من ثلثين الفا فعطشوا وشكوا ذلك
اليه فبعث ابا قتادة وابا طلحة وسماك
ابن حربه وسعد بن عبادة يلتمسون
الماء فغابوا الى قايم الظهيرة ثم رجعوا ولم
يجدوا شيئا وبلغ العطش من الناس والخيل

والدواب فصلى باصحابه متيمما فلما فرغ شكوا
اليه العطش فبعث اسد بن حضير واسامة
بن تمسان المازني الأعراب فقال المنافقون
ان محمدا يخبرنا باخبار السماء وهو لا يدري
الطريق الى الماء فاتاه جبريل فاخبره بقولهم
وسماهم له فشكا ذلك الى سعد بن عبادة
فقال سعد ان شئت ضربت اعناقهم فقال
لا يا سعد لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
ولكن نحسن صحبتهم ما اقاموا معنا ثم قال لأبي
الهيثم ابن التيهان وابي قتادة وسهيل
ابن البيضاء يستعرضون الطريق وتأخذون
على الكثيب لتقف ساعة فان بحجوزا من
الأعراب تمر بكم على ناقة لها معها سقاء
من ماء فاطعموها واسقوها بما عز وهان
وصبوا بها مع الماء فمضوا حتى بلغوا الموضع
الذي وصف لهم فاذا بالمرأة قالوا تبيعينا هذا
الماء قالت انا واهلي احوج الى الماء منكم
فطلبوا اليها ان تأتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع الماء فاتت وقالت ان هذا السامر
وخير الأشياء ان لا اراه فشدوها وثاقا
حتى جاؤا بها مع الماء فلما وقعت بين يدي

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلوا
عنها وقال لها بتبعين هذا الماء قالت
ان اهلى اوجع اليه منكم قال قال فاذنى لنا
فيه ولبضربن كما جيت به قالت شانكم فقال
لأبى قتادة هات المبضأة فعربت اليه محل
السقا وتفل فيه وصب فى المبضأة ما قليلا
ظننا انه نصف المبضاه فوضع يده فيه ثم
قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يزيدوا الناس
ياخذون حتى ما يبقى معهم شيئا الا
ملاؤه ورواهم وخيلهم وابلهم والمبضأة
ملاى ثم رد رسول الله صلى الله عليه وسلم
السقا حتى ملاه ويقى فى المبضاه ثلثاه
ثم توضوا كلهم حين اصبحوا وهو يزيد ولا
ينقص

ومن اعلامه

ان ناقة له ضلت فى توجهه لتبوك فتفرق
الناس فى طلبها وكان عنده عمارة بن حزم
وفى رحل عمارة زيد بن اللصيت وكان يهوديا
قد اسلم ونافق فقال زيد فى رحل عمارة
ابن عمر محمدا نبى يوحى اليه يخبركم خبر السما
وهو لا يدرى اين ناقته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان منافقا يقول

اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم بخبر السماء
ولا يدري اين ناقته والله لا اعلم الا
ما علمني ربي وقد علمني انها في الوادي
في شعب كذا حبسها سمرة بزمامها فبادر
الناس فوجدوها كذلك فاتوه بها فرجع
عمارة بن حزم الى رحله وقال لقد عجبت مما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رجل كان في رحله مع زيد بن اللصيت ان
زيدا قال هذا قبل ان تطلع علينا فوجأ عمارة
زيدا في عنقه وقال الله لداهية في رحلي
اخرج يا عدو الله منه ولأجل ما لصقه في
غزاة تبوك من الجهد قال لأصحابه الا ابشركم
قالوا بلى يا رسول الله صلى قال ان الله
اعطاني الليلة الكنزين فارس والروم وامدني
بالملوك ملوك حمير يجاهدون في سبيل الله
ويأكلون في الله فكان ذلك ومن اعلامه
انه بعث خالد بن الوليد من تبوك في اربع
مائة وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك
ودومه الجندل من كنده فقال خالد يا رسول
الله كيف لي به وسط بلاد كلب وانما انا
في عدد يسير فقال ستجده يصيد البقر
فتأخذه

فتاخذه فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه
بمنظر العين في ليلة قمرية صافية يفيه
وهو على سطح له من شدة الحر مع امرأته
فاقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن
فقال اكيدر والله ما رايت بقرا حا سالبلد
غير هذه الليلة لقد كنت اضربها الخيل اذا
اردتها شهرا او اكثر ثم نزل فركب بالرجال
والآلة فلما فصلوا من الحصن وخيل خالد
تنظر اليهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك
فساعة فصل اخذته الخيل فاستأسر
اكيدر

ومن اعلامه

انه قاضى سهيل بن عمرو بالحديبية حتى
صدته قريش عن العمرة وكتب بينه
وبينه القضية قال لعلى عليه السلام اكتب
هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل
ابن عمرو فقال سهيل لو اعلم انك رسول
الله ما صددتك ولكن اقدمك لشرفك
اكتب محمد بن عبد الله فقال يا على امح رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
لا استطيع ان امحو اسمك من النبوة فمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى الموضع

فمحاه وقال لعلي سلم مثلها فتجيب
فقيل له مثلها يوم الحكمين حين ذكر في كتاب
التحكيم هذا ما تحاكم عليه علي امير المومنين
فقال له عمرو لو سلمنا انك امير المؤمنين ما نازعناك
فما امير المومنين ولما قال سهيل ذلك قال
عمر يا رسول الله دعني انزع ثنيتي سهيل
ليدلع لسانه فلا يقوم علينا خطيبا ابدا
وكان سهيل اعلم الشفة السفلى وكان
خطيبا بينا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعه يا عمر فعسى ان يقوم لك
مقاما تحمده فكان من حسن قيامه بمكة حين
هاج اهلها بموت رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستخفا عتاب بن اسيد ما احمد
أمره

ومن اعلامه

ما حكى السدي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لأصحابه يدخل اليوم عليكم رجل
من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فاتاه
الخطيم بن هند البكري وحده وخلف خيله
خارجة عن المدينة فدعاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال الى ما تدعوا فاخبره،
فقال انظرني فلما من اشاوره فخرج من عنده فقال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر فمر
بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق
مرتجزا يقول

قد لفها الليل بسواق حطم * ليس براعى ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم اقبل عام قابل حاجا فقد قلد الهدى فاراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث
اليه فنزل عليه لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر
الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين
البيت الحرام فقال له ناس من اصحابه هذا
صاحبنا خل بيننا وبينه فقال انه قد قلد

نوع آخر من اعلامه

ما روى عاصم بن عمرو بن قتادة قال لما رجع
المشركون الى مكة من بدر قال عمير بن وهب
الجمحي قبح الله العيش بعد قتلى بدر
ووالله لولا دين علي لا احد له فضا وعيال
لا ادع لهم سيبا لدخلت الى محمد حتى اقتله
ان ملأت عيني منه قتلته فانه بلغني انه
يطوف في الاسواق فقال له صفوان

دينك علي وعيالك اسوة عيالي فاعمد
لشانك فجهزه وحمله على بعير فشحذ
عمير سيفه وسمه وسار الى المدينة
فدخلها متقلدا سيفه فبصر به عمر فوثب
اليه ووضع حمائل سيفه في عنقه وادخله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هذا عدو الله عمير بن وهب فقال تأخر عنه
يا عمر وقال له ما اقدمك قال لفداء اسيري
عندكم فقال فما بال السيف فقال قبحها
الله وهل اغنت عني شيئا وانما سنيته
حين نزلت وهو في رقبتي فقال وما شرطت
لصفوان بن امية في الحجر ففزع عمير وقال
ما ذا شرطت له قال تحملت له بقتلي على
ان يقضي دينك ويعول عيالك والله حائل
بينك وبين ذلك فقال عمير اشهد انك
لرسول الله وانك صادق واشهد ان لا اله
الا الله كنا نكذبك بالوحي من السماء
وهذا الحديث كان سرا بيني وبين صفوان
كما قلت لم يطلع عليه احد غيري وغيره فقال
عمر والله لخنزير كان احب الي منه حين طلع
وهو الساعة احب الي من بعض ولدي فقال

لرسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا &
اخاكم القرآن واطلقوا له اسيره فقال عمير
انى كنت جاهدا فى اطفاء نور الله وقد
هدانى الله فله الحمد فاذن لى فألحق
قريشا فأدعوهم الى الاسلام فأذن له
فلحق بمكة ودعاهم فاسلم معه بشر كثير
وحلف صفوان ان لا اكلمه ابدا ومن اعلامه
ما حكاه شيبة بن عثمان بن ابى طلحة قال
ما كان احد ابغض الى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكيف لا يكون كذلك
وقد قتل منا ثمنية كل منهم يحمل اللواء فلما
فتح الله مكة اتيت مما كنت اتمناه من
قبله وقلت فى نفسى قد دخلت العرب
فى دينه فمتى ادرك ثارى منه فلما اجتمعت
هوازن بحنين قصدتهم لاجد منهم منه
غرة فافتله فلما انهزم الناس عنه وبقي
من ثبت معه حثت من ورائه فرفعت
السيف حتى اذا كدت اطعنه عشى فوأدى
فرفع لى شواظ من نار فلم اطق ذلك وعلمت
انه ممنوع فالتفت الي وقال لى ادن ما شئت
فقاتل ووضع يده فى صدرى فصار احب الناس

الي وتقدمت فقابلت بين يديه ولو عرض
لى ابى لقتلته فى نصرته فلما انقضى
القتال دخلت عليه فقال لى الذى اراد الله
بك خير مما اردته لنفسك وحدثنى بجميع
ما دورته فى نفسك نفسى فقلت ما اطلع
على هذا احد الا الله فاسلمت ومن اعلامه
ما رواه ابراهيم عن محمد بن شرحبيل عن ابيه
قال كان النضر بن الحارث ابن كلدة يصف
عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لقتله لأخيه نضر بن الحرث صبرا قال وكنت
شهدت بدرا فرأيت قلة المسلمين وكثرة
قريش فلما نشب القتال رأيت المسلمين
اضعاف قريش وانهزمت قريش ورأيت
يومئذ رجالا على خيل بلق بين السماء
والأرض معلمين يأسرون ويقتلون فهربت
مذعورا ثم خرجت معه يوم الفتح الى هوازن
لأصيب منه غرة فلما انهزم المسلمون حمدت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
فى وجه العدو واقف على بغلة شهبا
حوله رجال بيض الوجوه فاقبلت عامدا اليه
فصاحوا بى اليك اليك فرعب فنوادى وارتفد

جوارى

جوارحي فقلت هذا مثل يوم بدر وان
الرجل لعلى حق وانه معصوم فادخل الله
في قلبي الاسلام ثم التفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من
الطايف حين رآني فقلت قال النصير قلت
لبيك قال هذا خير لك مما اردت يوم حنين
مما حال الله بينك وبينه ومن اعلامه
انه قال لعمه العباس وقد اسر يوم بدر
افد نفسك وابن اخيك عقيلا ونوفلا
وحليفك فانك ذو مال فقال يا رسول الله
اني كنت مسلما واخرجت مكرها فقال الله
اعلم باسلامك فاين المال الذي وضعته
بمكة عند ام الفضل حين خرجت وليس
معكما احد وقلت اني اصبت في سفري فللفضل
كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا فقال والذي
بعثك بالحق ما علم بهذا احد غيري وغيرها
واني لاعلم انك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففد انفسه واتى اخيه وحليفه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله سيعوضك خيرا ان كان ما قتلته من

اسلامك حقا فعوضه الله مالا جما

ومن اعلامه

ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد الذهاب الى امر فروة الأنصارية قال لأصحابه انطلقوا بنا الى الشهيدة، نزورها وامرأة يوذن لها ويقام وان [illegible] لأهل دارها فى الفرائض فقتلها فى ايام عمر غلام وجارية كانا لها فصلبها عمر فكانا اول من صلب فى الأسلام فقال عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انطلقو نزور الشهيدة

ومن اعلامه

ما رواه عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحجم فلما فرغ قال ياعبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك احد فلما برز عنه عمدا الى الدم فحساه فلما رجع قال ياعبد الله ماصنعت قال جعلته فى اخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس فقال لعل شربت الدم قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس الى امثال ذلك من نظائره التى

يطول الكتاب

يطول الكتاب بذكرها حتى كان المنافقون
لا يخوضون في شيء من امره الا اطلعه الله
عليه فكان يخبرهم به حتى كان بعضهم
يقول لصاحبه اسكت وكف فوالله لولم يكن
عنده الا الحجارة لاخبرته بما هو آت فان
قيل فليس في ذكر ما كان ويكون اعجاز
بنوة تقهر ولا آية رسالة تظهر لان
المنجمين يخبرون بذلك ولا يكون من اعجاز
الأنبياء وايات الرسل فعنه ثلثة اجوبة
احدها ان المنجم يعمل على حساب ويرجع
الى استدلال ولا يبتكر قولا الا بعدهما
واخبار الرسل عن بديهة تخلوا من سبب
وتعرى عن استدلال والثاني ان من خلا
من علم النجوم لم يصح منه الاخبار عنها
ولم يتعاط محمد علم النجوم ولا خالط اهلها
فيكون مخبرا عنها فبطل ان يخبر بها الا عن
علام الغيوب المطلع على ضمائر القلوب
والثالث ان المنجم يصيب في الاقل ويخطي
في الاكثر ويستحسن منه الصواب ولا يستقبح
منه الخطا واخبار الرسل كلها صدق ولا
يتخلله كذب وصواب لا يعتوره زلل

الباب الحادى عشر

فيما اكرم به من اجابة ادعيته

ان الله تعالى لما فضل الأنبياء على جميع خلقه بما فوض اليهم من القيام بحقه تميزوا لطلب المصلحة فخصوا باجابة الأدعية ليكون عونا على ما كلفهم وآية على من انكرهم فدخل بهذا الأمتياز فى اقسام الأعجاز

ومن اعلامه

ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا والنجم اذا هوى قال صلى عتبة بن ابى لهب كفرت برب النجم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك يعنى الأسد فخرج عتبة مع اصحابه فى عير الى الشام حتى اذا كانوا فى طريقهم راء الأسد فجعلت فرائص عتبة ترعد فقال له اصحابه من اى شيء ترعد فوالله ما نحن وانت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي وما ترد له دعوة ولا اصدق منه لهجة فوضعوا المتاع فلم يدخل يده فيه وحاط القوم انفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم ونا موا فجاء الأسد يتشمى رؤسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فهشمه هشمة كانت

اياها فقال

اياها فقال وهو بآخر رمق الم اقل لكم ان
محمدا اصدق الناس لهجة ومن اعلامه
ان المستهزئين به من قريش سبعة الوليد
ابن المغيرة والعاص بن وايل السهمي والأسود
ابن عبد يغوث الزهري وفكيهة بن عامر
الفهري والحرث بن الطلاطلة والأسود بن
الحرث وابن عيطلة كانوا يكثرون منه الاستهزا
ويواصلون عليه الأذا وكان لا يقراء الاستهزا
ولا يدعوا الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا اي لا تجهر بها فيوذون
ولا تخافت بها عن اصحابك فلا يسمعون
وابتغ بين الجهر والاسرار سبيلا فاذن
لأصحابه حين اشتد بهم الأذى في الهجرة
الى ارض الحبشة لأن ملكها كان منصفا
ورهب الى الله تعالى ان يكفيه امرهم فنزل
عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض
عن المشركين فاصدع اي شق جماعتهم
بالتوحيد والصدع الصبح في كلامهم انا
كفيناك المستهزئين وفي قوله فاصدع بما
تؤمر تاويلان احدهما امض لما تؤمر به من

الضال الشرك والثاني اظهر ما تؤمر به من
الحق وفي قوله واعرض عن المشركين تأويلان
احدهما استهزاؤهم والثاني لا تهتم
باستهزائهم انا كفيناك المستهزئين يعني
بما عجله من هلاكهم اما الوليد بن المغيرة
فانه ارتدى فعلق بردائه شوك فذهب
يجلس عليه فقطع اكحله فنزف فمات لوقته
واما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فتساقط
لحمه من عظامه فمات من يومه واما الأسود
ابن عبد يغوث فقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا عليه بالعمى وثكل ولده
فاتى بغصن شوك فاصاب عينيه فسالت
حدقته على وجهه وقتل ولده زمعه يوم
بدر فاعمى الله بصره واثكله ولده واما
فكيهة بن عامر فخرج يريد الطائف ففقد
فلم يوجد واما الحرث بن الطلاطلة فانه
خرج لبعض حوايجه فضربه السموم في
الطريق فاسود وجهه ومات واما الأسود
ابن الحرث فاكل حوتا مملوحا فاصابه عطش
فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق بطنه
ومات واما عيطلة فاستسقى فمات ومثله

ما رواه ابن مسعود قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم نصلي في ظل الكعبة وناس
من قريش وابو جهل قد نحروا جزورا فقال
ليشاة اللحم جزرة وللبعير جزور في ناحية
مكة فبعثوا فجاوا ببلدها فطرحوه بين
كتفيه فجاءت فاطمة فطرحته عنه فلما
انصرف قال اللهم عليك بقريش اللهم
عليك بابي جهل وعتبة وشيبة ووليد
ابن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن
ابي معيط قال عبد الله بن مسعود فلقد
رايتهم قتلا في قليب بدر ومن اعلامه
ان حباب بن الارت اتاه حين اشتد الاذى
من قريش فقال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادع لنا ربك يستنصر لنا على
مضر فقال انكم تعجلون لقد كان الرجل ممن
قبلكم يمشط بامشاط الحديد حتى يخلص
الى ما دون عظمه من لحم او عصب ويشق
بالمنشار ولا يرده ذلك عن دينه وانكم
لتعجلون والله ليمضين هذا الامر حتى يسير
الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا
الله تعالى والذيب على غنمه ثم دعا عليهم

فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعل
عليهم سنين كسنى يوسف فقطع الله
عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر
واجدبت الأرض ومانت المواشى واشتووا
القد واكلوا الميتة فلما انتهت بهم الموعظة
استعطفوه فعطف ورغب الى الله تعالى
فمطروا ومن اعلامه
ما رواه ابن عباس قال قيل لعمر حدثنا عن شان
جيش العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى قيظ شديد
فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد
حتى خشينا ان ننقطع رقابنا فكان الرجل
يذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان
رقبته ستقطع حتى كان الرجل ينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على
صدره فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله
قد عودك فى الدعا خيرا فادع الله لنا قال
اتحب ذلك قال نعم فرفع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده الى السماء فلم يرجعها
حتى قالت السحاب فاظلت وامطرت ثم مطرت
فملوا ما معهم فذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت

جاوزت العسكر ومن اعلامه
ما رواه مسلم المالكي عن انس بن مالك
قال اتى اعرابي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد اتيناك
ومالنا بعير يئط ولا صبي يصطبح ثم انشد
اتينا لا والعذرا تدمى لبانها * وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
والقى بكفيه الصبي استكانة * من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى
ولا شيئ مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامي والفشل
وليس لنا الا اليك فرارنا * واين فرار الناس الا الى الرسل
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر
رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه
ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا سحا طبقا
غدقا رائثا يبتدر به الزرع وتملا به الضرع
ويحيى به الارض بعد موتها وكذلك
تخرجون فما استتم الدعا حتى القت السما
بارواقها فجاء اهل البطانة يضجون يا رسول
الله الغرق فقال حوالينا ولا علينا فانجاب
السحاب عن المدينة كالاكليل فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه وقال لله در ابي طالب لو كان حيا
لقرت عيناه من الذي ينشدنا شعره فقام

علي بن ابي طالب عليه السلام فقال
يا رسول الله كانك اردت قوله
وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يبزى محمد * ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل
* فقام رجل من كنانة وانشد *
لك الحمد والحمد ممن شكر * سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة * واشخص منه اليه البصر
فلم يك الا كالقأ الردا * وأسرع حتى رأينا الدرر
دفاق العزالى جم البعاق * اغاث به الله علينا مضر
وكان كما قاله عمه ابو طالب * ابيض ذا غرر
يه الله سقى صوب الغمام * وهذا العيان لذاك الخبر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يك شاعرا يحسن فقد أحسنت

ومن اعلامه

ما اظهره الله تعالى من كرامته في عمه العباس
حين استسقى به عمر توسلا اليه بعمه العباس
فخرج يستسقي به وقد اجدب الناس فقال
اللهم انا نتقرب اليك بعم النبي نبيك وبقية
اباءه وكبير رجاله فاحفظ اللهم نبيك في عمه

فقد لونا

فقد دلونا اليك به متسقفين اليك
متغفرين فقال العباس وعيناه تنضحان
اللهم انت الراعي لا تهمل اتصاله فقد صرع
الصغير ورق الكبير وارتفعت البلوى وانت
تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم غياثك من
قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من
روحك الا القوم الكافرون فنشأت السحاب
وأهطلت السماء فطفق الناس بالعباس رضي
يمسحون اردانه ويقولون هنيئا لك ساقي
الحرمين فقال حسان بن ثابت

سال الأمام وقد تتابع جدبنا * فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي * ورث النبي بذاك دون الناس
احيا الاله به البلاد فأصبحت * مخضرة الأجناب بعد الياس

فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي
لهب يفتخر بذلك

بعمي سقا الله الحجاز واهلها * عشية يستسقى بشيبة عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا * فما كوصى جاد بالديمة المطر

ومن اعلامه

ما روى ان اسماء بنت عميس قالت
لفاطمة عليها السلام ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله

عليه وسلم وقد اوحى اليه فجلله بثوبه فلم
يزل كذلك حتى ادبرت الشمس او كادت
تغيب ثم انه سري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اصليت يا علي قال
لا فقال اللهم رد على علي الشمس فرجعت
الشمس حتى بلغت نصف المسجد

ومن اعلامه

ما روي عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني وانا حدث
السن لا علم لي بالقضا قال انطلق فان الله
يهدي قلبك ويثبت لسانك قال علي
عليه السلام فما شككت في قضاء بين اثنين
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقضاكم علي ومثله قوله لابن عباس رضي
الله عنه وهو يومئذ غلام اللهم فقهه في
الدين وعلمه التاويل فخرج افقه الناس في
الدين واعلمهم بالتاويل حتى سمي البحر
لسعة علمه

ومن اعلامه

ما رواه ابو العالية عن ابي هريرة قال أتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرات

فقلت ادع

فقلت ادع لى بالبركة فيهن فصففهن على يدى
ثم دعا بالبركة فيهن ثم قال احملهن فى المزود
فاذا اردت شيئا فادخل يدك فيه ولا تنثره
قال ابو هريرة فلقد حملت من ذلك التمر
كذا وكذا وسقا فى سبيل الله وكنا نأكل منه
ونطعم وكان لا يفارق حقوى فلما كان يوم قتل
عثمان انقطع فذهب ومن اعلامه
ما رواه جميل الاشجعى قال غزوت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته
فقال سر يا صاحب الفرس فقلت يا رسول
الله هى عجفاء ضعيفة فرفع مخفقة فى يده
فضربها وقال اللهم بارك له فيها فلقد رايتنى
ما املك راسها ان تقدم الناس ولقد
بعت من بطنها مائتى عشر الفا الف ومن اعلامه
ما روت عايشة قالت قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة وهى اوبى ارض
فيه فيقال اللهم حبب الينا المدينة كما
حببت الينا مكة وصححها لنا وبارك
لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها الى
الجحفة فصارت كذلك ومن اعلامه
انه اخذ يوم بدر كفا من حصا وتراب ورمى

به فی وجوه القوم وقال شاهت الوجوه
فتفرق الحصی فی المشرکین ولم یصب ذلک
الحصی والتراب احدًا الا قتل او اسر وفیه
نزل قوله تعالی فلم تقتلوهم ولکن الله قتلهم
وما رمیت اذ رمیت ولکن الله رمی

ومن اعلامه ۳

ان الطفیل بن عمرو الدوسی قدم مکة وکان
شاعرا لبیبا فقالت قریش له احذر محمدا
فإن قوله کالسحر یفرق بین المرء وزوجه
فأتاه فی بیته فقال یا محمد اعرض امرک
فعرض علیه الاسلام وتلا علیه القرآن
فاسلم وقال یا رسول الله انی امرء مطاع فی
قومی وانی راجع الیهم وداعیهم الی الاسلام
فادع الله ان یجعل لی ایة تکون عونا علیهم
فقال اللهم اجعل له ایة فخرجت حتی اذا کنت
بالثنیة وقع نور بین عینی مثل المصباح
فقلت اللهم فی غیر وجهی اخشی ان یظنوا
انی انها مثله فتحول فوقع فی راس سوطی فجعل
الحاضرون یرون ذلک النور فی سوطی کالقندیل
کالقندیل المعلق وانا اهبط من الثنیة ثم
دعوت روساء قومی الی الاسلام فابطوا

فجئت

فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة فقلت يارسول الله انهم قد غلبوني
على دوس فادع الله عليهم فقال اللهم اهد
دوسا ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق
بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض دوس
ادعوهم حتى اسلموا ومن اعلامه م
مارواه ابو نهيك الاسدى عن عمرو بن احطب
قال استسقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتيته بأناء فيه ماء وفيه شعرة،
فرفعتها فناولته ثم قال اللهم جملهُ قال فرأيته
بعد ثلث وثمانين ما في راسه ولحيته
شعرة بيضا ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينقى الرجل شعره في
الصلوة فراى رجلا ينقى شعره في الصلوة
فقال قبح الله شعرك فصلح مكانه فان
قيل فاجابة الأدعية لاتكون معجزة للنبوة
لأنه قد يجاب دعوة غير الأنبيا قيل ادعية
الأنبيا مجابة على العموم في جميعها وادعية
غيرهم ان اجيبت فهي على الخصوص في
بعضها لأن الأنبياء منطقون بالحق
وغيرهم منطقون بالحق ولغيره فان اجيبت

ادعيتهم فهي تفضل تقف على مشيئة الله
تعالى

الباب الثاني عشر

في انذاره بما يحدث بعده

روى فضاله بن ابي فضاله الانصاري
قال خرجت مع ابي الى ينبع عائدا لعلي بن
ابي طالب عليه السلام وكان بها مريضا
فقال له ابي يا ابا الحسن ما يقيمك بهذا
البلد لامن ان يصيبك اجلك ولا يكن احد
يليك الاعراب جهينة فلو احتملت الى
المدينة فان اصابك اجلك وليك اصحابك
وصلوا عليك فقال يا فضاله اخبرني حبيبي
وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لا اموت حتى اومر ولا اموت حتى اقتل الفئة
الباغية ولا اموت حتى تخضب هذه من هذه
الدم وضرب على لحيته وهامته قضاء
مقضيا وعهدا معهودا وقد خاب من افترى

ومن انذاره

ما رواه ابو سلمة عن ابي هريرة قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية
في بيت حفصة بنت عمر فوجد نها معه
تضاحكه فقالت يا رسول الله في بيتي،

من دون بيوت نسائك قال فانها علي
حرام ان امسها ثم قال لها يا حفصة الا ابشرك
قالت بلى بابى انت وامى قال بلى هذا الامر
من بعدى ابو بكر ثم يليه من بعد ابى بكر
ابوك اكتمى هذا على فخرجت حتى دخلت على
عائشة فقالت لها الا ابشرك يا ابنة
ابى بكر فقالت بماذا فذكرت ذلك لها وقالت
قد استكتمتنى فاكتميه فانزل الله تعالى
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الايات

ومن انذاره

ما رواه معاذ بن جبل قال بعثنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اليمن فخرج معى
يوصينى فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى
ان لا تلقانى بعد هذا ولعلك تمر بمسجدى
ومنبرى فبكا معاذ ثم التفت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاقبل بوجهه نحو المدينة
وقال ان اهل بيتى هاؤلا يرون انفسهم
اولى الناس بى وليس كذلك ان اولى الناس
بى المتقون من كانوا وحيث كانوا اللهم انى
لا احل لهم فسادما اصلحت

ومن انذاره

ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال

كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اقبل عثمان فلما دنا منه قال
يا عثمان تقتل وانت تقراء سورة البقرة تقع
قطرة من دمك على فنسيكفيكهم الله يغبطك
اهل المشرق والمغرب وتبعث يوم القيمة
امير اعلى كل مخذول **ومن انذاره** ٤
ما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احب ان
ينظر الى شهيد يمشى على وجه الأرض
فلينظر الى طلحة بن عبيد الله **ومن انذاره** من
ما روى انه قال لفاطمة عليها السلام
انك اول اهل بيتى لحاقا بى ونعم السلف
انا لك فكانت اول من مات بعده من
اهل بيته **ومن انذاره** من
ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنسائه ليت شعرى ايتكن راكبة الجمل
الأدنب تخرج فينبحها كلاب الحوب يقتل عن
يمينها وبسارها قتلى كثير وتنجوا بعد ما كاد
تقتل فقيل ان عايشه وصلت الى مياه
بنى عامر ليلا فنبحتها الكلاب فقالت

ما هذا قالوا

للاخبار بقتل عثمان رضي الله عنه

ما هذا قالوا الحوب قالت ما اظنني الا راجعة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لنا ذات يوم كيف باحداكن اذا نبح عليها
كلاب الحوب ومن انذاره من
ما رواه ثابت عن الحسن البصري قال كان
الحسن بن علي عليهما السلام يجيئ ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ساجد فيجلس
على عنقه فاذا اراد ان يرفع راسه اخذه
فوضعه في حجره ثم قال ان ابني هذا سيد
وان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين ومن انذاره من
ما رواه عروة عن عايشة قالت دخل الحسن
ابن علي عليهما السلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يوحى اليه فبرك
على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره فقال
جبريل يا محمد ان امتك ستفتن بعدك
ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده
فاتاه بتربة بيضا فقال في هذه الارض
يقتل ابنك هذا اسمها الطف فلما ذهب
جبريل خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اصحابه والتربة في يده وقهم

ابو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وابو
ذر رضي الله عنهم وهو يبكي فقالوا ما
يبكيك يا رسول الله صلى الله عليك
فقال اخبرني جبريل ان ابني الحسين يقتل
بعدي بارض الطف فجائني بهذه التربة
واخبرني ان فيها مضجعه ومن انذاره من
ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير دخل
على امه اسما بنت ابي بكر فقال لها
ان امير المؤمنين اوصاني بك فهل لك
من حاجة قالت مالي من حاجة لكن انظرني
حتى احدثك شيئا سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج
من ثقيف كذاب ومبير اما الكذاب فقد
رايناه يعني المختار واما المبير فانت فقال
الحجاج انا مبير المنافقين ومن انذاره من
ما رواه عبد الملك بن عمير قال قال معويه
والله ما حملني على الخلافة الا قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لي يا معويه اذا
وليت فاحسن ومن انذاره من
ما رواه عبد الله بن عباس عن ابيه رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه

وسلم نظر

وسلم نظر اليه مقبلا فقال هذا ابو
عمى ابو الخلفا الاربعين اجود قرشيٌ كفا
وان من ولده السفاح والمنصور والمهدى
ياعم نبى فتح الله هذا الامر ويرجل من
ولدك يختم الى اكثر من نظاير هذا

الباب الثالث عشر

فى معجزة ماظهر من البهايم

اذا كان الاعجاز خارقا للعادة لم يمتنع فيه
ظهور ماخالفها واذا كانت البهايم مسلوبة
الافهام مفقودة الكلام فليس بمستنكر
اذا اراد الله بها اظهار معجزات يعطيها
من المعرفة ان تنطق بما الهمها وتخبر مما
علمها ثم يسلبها ذلك فتعود الى طبعها
كمعجزة موسى عليه السلام فى العصا ان
صارت حية تسعى لتكون باهر الايات
قاهر المعجزات

فمن اياته

ان رجلا كان فى غنمه يرعاها فمقلها ساعة
من نهاره فجا له ذيب فاخذ منها شاة
فاقبل يلهف فطرح الذيب الشاة ثم كلمه
بكلام فصيح فقال الرجل تالله مارأيت
كاليوم عجبا فكلمه الذيب وقال انتم اعجب

وفي شانكم عبرة هذا محمد يدعوا الى
الحق ببطن مكة وانتم لاهون عنه فهدى
الرجل لرشده واقبل حتى اسلم وحدث
القوم بقصته وبقي لعقبه شرف يفخرون
به على العرب ويقول مفتخرهم انا ابن مكلم
الذيب

ومن اياته

ما رواه ابو سعيد الخدري قال بينا راع
يرعى في الحيرة اذ جاء ذيب الى شاة من
غنمه فانتهزها فحال الراعي بين الذيب
والشاة فاقعى الذيب على ذنبه وقال
للراعي الا تتقي الله تحول بيني وبين رزق
ساقه الله الي فقال الراعي العجب من ذيب
يقعي على ذنبه يكلمني بكلام الانس
فقال له الذيب الا احدثك باعجب من
هذا هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين الحيرتين يحدث الناس بانبآ
ما قد سبق فاخذ الراعي الشاة فاتى بها
المدينة واتى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره فخرج الى الناس وقال
للراعي قم وحدثهم فقام فحدثهم فقال صدق
الراعي وكان اسمه عمير الطاي فسمي
مكلم الذيب

بمكلم الذيب ومن اياته

ما روى بن عمر عن ابيه عمران رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان فى محفل من
اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا وجعله
فى كمه ليذهب به الى اهله فيأكله فلما رأى
الجماعة قال ما هذا قالوا النبيّ
صلى الله عليه وسلم فجاء يشق الناس
وقال واللات والعزى ما احد ابغض الي منك
ولولا ان تسميني قومي عجولا لعجلت فقتلتك
فقال عمر يا رسول الله دعني أقوم فاقتله
فقال ياعمر اما علمت ان الحليم كاد ان يكون
نبيا ثم قال للأعرابي ما حملك على ما قلت
فقال واللات والعزى لا اؤمن بك حتى يؤمن
بك هذا الضب فاخرج الضب من كمه
فطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ضب فاجابه الضب بلسان عربي
مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يارئين من برا فى يوم القيمة قال من تعبد
قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض
سلطانه وفى الجنة رحمته وفى

النار عقابه قال فمن انا يا ضب قال رسول
الله صلى الله عليك انت رسول الإله رب
العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وقد خاب من كذبك فقال الأعرابي لا اتبع
اثرا بعد عيني والله لقد جيئتك وما
على ظهر الأرض احد ابغض الى منك وانك
اليوم احب الى من نفسي ومن ولدي ووالدي
واني لأحبك بداخلي وخارجي وظاهري وسري
وعلانيتي اشهد ان لا اله الا الله وانك
محمد رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذي هداك بي ان هذا الدين
يعلو ولا يعلى فرجع الأعرابي الى قومه
فاخبرهم بالقصة وكان من بني سليم
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الف انسان منهم فامرهم ان يكونوا تحت
راية خالد بن الوليد ولم يؤمن من العرب
الف في وقت واحد غيرهم

ومن اياته

ما رواه انس بن مالك قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حايطا للأنصار ومعه
ابو بكر رضي الله عنه وغيره وفي الحايط
عنز فسجدت له فقال ابو بكر رضي الله عنه

يا رسول الله

يارسول الله كنا نحن احق بالسجود لك
من هذه الغنز فقال انه لا ينبغي ان
يسجد احد لأحد ولو كان ينبغي ان
يسجد احد لأحد لأمرت المرأة أن
تسجد لزوجها ومن آياته
ما رواه عبد الله بن ابي اوفى قال بينما نحن
قعود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اتاه آت فقال يارسول الله ناضح بني فلان
قد بر عليهم قال فنهض ونهضنا معه فقلنا
يارسول الله لا تقربه فانا نخافه عليك
فدنا من البعير فلما رآه البعير سجد له
فوضع يده على راس البعير وقال هات
السكان فوضعه في راسه واوصى به
خيرا ومن آياته
انه بينما هو جالس في اصحابه اذا هو بجمل
قد اقبل له رغاء فوقف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتدرون ما يقول هذا انه
ليقول اني لآل فلان فلحي من الخدرج استعملوني
وكدوني حتى كبرت وضعفت فلما لم يجدوا
في حيلة يريدون ذبحي فانا استفيت بك
منهم فاوقفه رسول الله صلى الله عليه

وسلم وبعث اليهم فاستوهبه منهم فوهبوه
له وخلاه فى الحي ومن اياته
ما روى حبير بن مطعم قال كنا جلوسا عند
صنم لنا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشهر فخرنا جزورا فسمعنا صائحا
يصيح اسمعوا الى العجب ذهب استراق
السمع لبني بمكة اسمه احمد مهاجرته الى
يثرب فكان هذا الأمر من الآيات المنذرة
والآثار المبشرة ومن اياته
ما رواه رزين عن مكحول قال بينا اهل ذريح حي
من العرب عرب اليمن فى مجلسهم اذا قبل عجل
قتيم وقال اهل ذريح امر نجيح ببطن مكة
يصيح بلسان فصيح شهادة ان لا اله الا الله
فاجيبوه قال وفيه نزل قوله تعالى ربنا
انا سمعنا منادیا ینادی للایمان ان امنوا بربکم
فآمنا فان قيل فيجوز ان يكون ما يسمع من
كلام البهايم كالصدى يحكى كلام المتكلم فيظنه
السامع كلام الصدى وهو كلام المتكلم ويكون
ذلك بقوة يحدثها الله تعالى فى المتهيئ لذلك
يخفى عن الأسماع والأبصار فعنه جوابان
احدهما ان الصدى يحكى كلاما مسموعا اذا قابله

قبل صورته

قبل صوته فحكاه وليس كلام البهيمة مقابلا
لكلام يحكيه فامتنع التشاكل والثاني.
ان القوة المهياة لذلك ليست من جنس
قوى البشر فلا يكون في التفاضل اعجاز وانما
هي خارجة عن جنس قواهم فخرج عن قدرتهم
وما خرج عن قدرة البشر كان معجزا الوضح
هذا الاعتراض فبطل به الاعتراض

الباب الرابع عشر

في ظهور معجزة من الشجر والجماد

ولئن كانت المعارف من الجمادات ابعد والكلام
منها اغرب فليس بمستبعد ولا مستغرب
ان يحدث الله تعالى فيها من الآيات الخارجة
عن العادة ما يحج الله من استبصر ويمد به
من استنصر

فمن اياته

ما حكاه اهل النقل عن علي بن ابي طالب عليه
السلام انه لما خطب على الناس خطبته المعروفة
بالقاصعة فقال فيها الحمد لله الذي هو
العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب
ايها الناس اتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم
اضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا
اساس الفسوق واخلاس العقوق فان الله

يختبر عباده المستكبرين باوليائه المستضعفين
في أنفسهم الا ترون انه اختبر الأولين من
لدن آدم الى الآخرين من هذا العالم بانواع
الشدائد وتعبيدهم بالوان المجاهد ليجعل
ذلك ابوابا فتحا الى فضله واسبابا ذللا لعفوه
فاحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات
سوء الأفعال وذميم الأعمال ان تكونوا امثالهم
فلقد كانوا على اصول مفطرية وافعال وابدي
مختلفة وجماعة متفرقة في بلا ازل واطباق
جهل من بنات موؤدة واصنام معبوده وارحام
مقطوعه وغارات مشنونه فانظروا مواقع نعم
الله عليهم حين بعث اليهم رسولا كيف نشرت
النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت لهم
جداول نعيمها فهم حكام على العالمين وملوك
في اطراف الأرضين يملكون الأمور على من
كان يملكها عليهم ويمضون الأحكام على من
كان يمضيها فيهم ولقد كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد لقاه الملأ من قريش
فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه
اباؤك ولا احد من اهل بيتك ونحن نسألك
امرا ان اجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي

ورسول الله

ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب
قال لهم وماتسالون قالوا ندعوا لنا هذه
الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين
يديك فقال صلى الله عليه وسلم ان الله
على كل شئ قدير فان فعل الله لكم ذلك
اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فاني
سأريكم ما تطلبون واني اعلم انكم لا تفيئون
الى خير وان منكم من يطرح في القليب
ومن يحزب الاحزاب ثم قال يا ايتها الشجرة
ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين
اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي
بين يدي باذن الله قال علي عليه السلام
فوالذي بعثه بالحق لقد انقلعت بعروقها
وجائت ولها دوي شديد حتى وقفت بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرفرفه والتف بعضها الاعلى عليه وبعض
اغصانها على منكبي وكنت عن يمينه فلما
نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا
فمرها فليأتك نصفها وليبقى نصفها فامرها
بذلك فاقبل نصفها كاعجب ما يكون اقبالا
واشده دويا فكادت تلتف برسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالوا كفرا وعتوا فمر
هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فامره
فرجع فقلت لا اله الا الله وانا اول مؤمن
بك يا رسول الله واول من آمن بان الشجرة
فعلت بامر الله تصديقا لنبوتك واجلالا
لكلمتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب
عجيب السحر وهل يصدقك في امرك الا مثل
هذا يعنونني وهذا حكاه خطيبا على الاشهاد
وقل ان يخلوا جمع مثله ممن يعرف حق ذلك من
باطله فكانوا بالموافقة اجمعين على صحته
ولولاه لظهر الرد وان ندروا وهذا من ابلغ
آية واظهر اعجاز

ومن اياته

ما رواه عبد الله بن بريدة عن ابيه قال جاء
اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد هل من آية فيما تدعوا اليه قال
نعم آية تلك الشجرة فقل لها رسول الله يدعوك
فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها
فتقطعت عروقها ثم جاءت تحد الارض حتى
وقفت بين يديه فقال الاعرابي ائذن لي
اسجد لك قال لو امرت لاحد ان يسجد
لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال
قال فاذن

فقال الاعرابي مر حالة الرجع
الى منبتها فرجعت الى منبتها
صحيح

قال فأذن لي اقبل يديك ورجليك فأذن له

ومن اياته

ما رواه يعلى بن شداد قال كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأراد
ان يقضي حاجته فأمر ودبتين فانضمت احداهما
الى الأخرى ثم امرهما بعد قضاء حاجته ان
يرجعا الى منبتهما فرجعتا

ومن آياته

ما رواه علي بن ابي طالب عليه السلام قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل
الا قال السلام عليك يا رسول الله

ومن اياته

انه مر في غزوة الطائف في كثير من طلح فمشى
وهو وسن من النوم فاعترضته سدرة فانفرجت
السدرة له بنصفين فمر بين نصفيها وبقيت
السدرة منفرجة على ساقين الى قريب من
اعصارنا هذه وكانت معروفة بذلك في
مكانها يتبرك بها كل مار ويسمونها سدرة
النبي عليه الصلاة والسلام

ومن اياته

ما رواه سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة
قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم حرا
ومعه ابوبكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن

والزبير وطلحة وسعيد فتحرك الجبل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فليس
عليك الا نبي او صديق او شهيد فسكن الجبل

ومن اياته

ما رواه جابر بن عبد الله قال كان في رسول الله
صلى الله عليه وسلم حضال لم يكن يمر في
طريق فيتبعه احد الا عرف انه قد سلكه من
طيب عرفه ولم يكن يمر بحجر ولا مدر ولا شجر
الا سجد له

ومن اياته

ما رواه ثابت عن انس قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخذ كفا من حصى فسبحن
في كفه حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد
ابي بكر فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم
صبهن في ايدينا فما سبحن في ايدينا

ومن اياته

ما رواه جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم
علي

ومن اياته

ان عكاشة بن محصن انقطع سيفه بيده يوم
بدر فدفع اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قطعة من خشب وقال قاتل بها الكفار
يا عكاشة فتحولت سيفا في يده فكان يقاتل

بها في

بها حتى قتله طليحة فى الرده **ومن اياته**
انه كان يخطب الى جذع كان يستند اليه
فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع فحن اليه
الجذع حتى ضمه اليه فسكن **ومن اياته**
ان مكرز العامرى اتاه فقال هل عندك من برهان
يعرف به انك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدعا بتسع حصيات فسبحن فى يده من
جمودها فسمع تسبيحها وهذا ابلغ من احيا
عيسى عليه السلام الموتى **ومن اياته**
انه لما حاصر الطايف سموا له جذعة فكلمه
منها الذراع وقال لا تأكلنى فانى مسمومة
وهذا نظير احياء الموتى ايضا **ومن اياته**
انه اول ما اوحى اليه لم يمر بحجر ولا مدر الا
سلم عليه بالنبوة وهذا نظير قول الله
تعالى لداود يا جبال اوبى معه والطير
ومن اياته ما رواه حمزه بن عمرو
الأسلمى قال نفر نا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى ليله مظلمة فاضات اصابعه
ومن اياته
ما رواه ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن
مسعود قال انكم تعدون الآيات عذابا

وانا كنا نفدها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بركة لقد كنا
نا كل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصعام فنحن نسمع تسبيح الطعام فان قيل
فقد يجوز ان يتخيل ذلك للناظر كما يتخيل
لراكب السفينة سير النخل والشجر فعنه
جوابان احدهما انه وان تخيل ذلك لراكب
السفينه فهو غير متخيل لغيره من قائم
وقاعد وهذا متحقق عند كل مشاهد
على اختلاف احواله والثانى ان راكب السفينة
يعلم انه تخيل غير معلوم وهذا معلوم له
غير متخيل فان قيل فقد يجوز ان يكون
فى خواص الجواهر ما يجذب النخل والشجر
كما فى خاص حجر المغناطيس ان يجذب
الحديد فعنه جوابان احدهما انه قد
علم خاصه حجر المغناطيس فظهر ولم يعلم
ذلك فى غيره فلم يوجد ولو كان ذلك
موجودا لكان الملوك عليه اقدر ولكان
مدخورا فى خزائنهم كادخار كل شئ مستغرب
ومستظرف ولجاز ادعاء مثله فى قلب الأعيان
وابطال الحقايق والثانى انه لو كان ذلك

خاصه

لخاصية الجوهر حادثا وكان بظهوره جاذبا
وبملاقاته للنخل والشجر فاعلا ولانتقل
اليه عن غيره وعنه الى غيره وكل هذا فيه
معدوم وان كان فى حجر المغناطيس موجودا

الباب الخامس عشر

فى بشائر الأنبياء بنبوته

ان الله تعالى عونا على اوامره واغنا عن
نواهيه وكان انبياء الله تعالى معاونين على
تاسيس النبوة بما تقدمه من بشائرها
وببديه من اعلامها وشعائرها ليكون
السابق مبشرا ونذيرا و اللاحق مصدقا وظهيرا
فيدوم بهم طاعة الخلق وينتظم بهم
استمرار الحق وقد تقدمت بشائر من
سلف من الأنبياء بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم بما هو حجة على امتهم ومعجزة تدل على
صدقه عند غيرهم بما اطلعهم الله تعالى
على غيبه ليكون عونا للرسول وحثا على
القبول

فمن ذلك

بشائر موسى عليه السلام فى التوراة فأولها
فى الفصل السابع من السفر الأول لما هربت
هاجر من سارة ترايا لها ملك وقال ياهاجر

امة سارة ارجعي الى سيدتك فاخضعي
لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك
حتى لايحصوا كثرة وها أنت تحبلين وتلدين
ابنا وتسمينه اسمعيل لأن الله تعالى
قد سمع خشوعك وهو يكون عين الناس
وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة
اليه بالخضوع وهذا لم يكن فى ولد اسمعيل
الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لأنهم كانوا قبله مقهورين فصاروا به
قاهرين ومنها
قوله فى هذا السفر لأبراهيم حين دعاه
فى اسمعيل وباركت عليه وكثرته وعظمته
جدا جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واجعله
لأمة عظيمة وليس فى مولد اسمعيل من
جعله لأمة عظيمة غير محمد صلى
الله عليه وسلم ومنها
فى الفصل الحادى عشر من السفر الخامس عن
موسى عليه السلام ان الرب الهكم قال
انى اقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم
اجعل كلامى على فمه وايما رجل لم يسمع
كلماتى التى يؤديها عنى ذلك الرجل باسمى

فانا انتقم

فانا انتقم منه ومعلوم ان اخا بني اسرائيل
هم بنوا اسمعيل وليس منهم من ظهر كلام
الله على فمه غير محمد صلى الله عليه وسلم
ومنها في الفصل العشرين
من هذا السفر ان الرب جاء من طور سينا
واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران
ومعه وعن يمينه ربوات القديسين
فمنعهم العز وحببهم الى الشعوب ودعا
لجميع قديسيه بالبركة فمجيئ الله من
طور سينا هو انزاله التوراة على موسى
واشراقه من ساعير انزاله الانجيل على
عيسى لانه كان سكن في ساعير ارض
الخليل في قرية ناصرة واستعلانه من
جبال فاران انزاله القران على محمد صلى الله
عليه وسلم وفاران هي جبال مكة في قول
الجميع فان ناكروا كان دفعا لما في التوراة لانه
لم يستعل الدين كاستعلانه منها فاندفع
الانكار بالعيان فصل في البشائر
كان بين موسى وعيسى من الانبياء
الذين اوتوا الكتب باتفاق اهل الكتابين
عليهم ستة عشر نبيا ظهرت كتبهم في

بنى اسرائيل فبشر كثير منهم بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فمنهم
شعيا بن أنوص لا اموص
قال فى الفصل الثانى والعشرين قومى فاز هرى
مصباحك يعنى مكة فقد دنا وقتك
وكرامة الله طالعة عليك وقد تجلل
الأرض الظلام وغطا على الأمم الضباب
والرب يشرق عليك اشراقا ويظهر كرامته
عليك تسير الأمم الى نورك والملوك الى
ضوء طلوعك ارفعى ببصرك الى ما حولك وتأملى
فانهم يتجمعون عندك ويجونك ويأتيك
ولدك من بلد بعيد وتسرين وتبتهجين
من اجل انه يميل اليك وخاير البحر ويجيج
اليك عساكر الأمم حتى تغمرك الأبل الموبله
وتضيق ارضك عن القطرات التى تجتمع اليك
تساق اليك كباش مدين ويأتيك أهل
سبا يحدثون بنعم الله ويحمدونه وتسير
اليك اغنام قيدار يعنى غنم العرب لأنهم
من ولد قيدار بن اسمعيل ويرتفع الى
مذبحى ما يرضينى واحدث حينئذ لبيت
محمد لى حمدا وهذه الصفات كلها موجودة
بمكة

بمكة فكان ما ادعى اليها هو الحق ومن قام
نبها هو المحق وفى فصل آخر من كلامه
قال لى الرب امض فاقم على المنظرة تخبرك
بما ترى فرأى راكبين احدهما راكب حمار يعنى
عيسى والآخر راكب جمل يعنى محمد فبينا
هو كذلك اذ اقبل احد الراكبين وهو يقول
هوت بابل وتكسرت الهتها المنجورة على
الأرض فهذا الذى سمعت الرب اله
بنى اسرائيل قد انبأتكم
وفى الفصل السادس عشر
لتفرح له البادية العطشى ولتبتهج البرارى
والفلوات ولتسر وتزهر امثل الوعل فانها
ستعطى باحمد محاسن لبنان وتحمل حسن
الدساكر والرياض وسيرون جلال الله
بها الأنبيا قال شعيا وسلطانه على كتفه
يريد علامة نبوته على كتفه وهذه
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وباديه الحجاز
وفى الفصل السابع عشر منه
هتف هاتف من البدو فقال خلو الطريق
للرب وسهلوا الطريق لألوهنا فيملى الأودية
مياها ويفيض فيضا وتخفض الجبال انخفاضا

وتصير الاكام دكال والأرض الوعرة مذلله
ملسا وتظهر كرامات الرب وبراها كل احد

وفى الفصل العشرين منه

وهو مذكور فى الثالث وخمسين ومائة من
مزامير داود ليرتاح البوادى وقراها ولتصبر
ارض قيدار مروحا وتسبح سكان الكهوف
وليهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب وليرفعوا
تسابيحه فان الرب يأتى كالجبال المتسلطى
للتكسر فهو يزجر ويقتل اعداءه وارض قيدار
هى ارض العرب لانهم ولد قيدار والمروج
ما صار حول مكة من النخل والشجر والعيون

وفى الفصل العشرين منه ايضا

ان الضعفاء والمساكين يستسقون ماء ولا
ماء لهم فقد جفت السنتهم من الظمأ وانا
الرب اجيب يومئذ دعوتهم ولن أهملهم بل
افجر لهم فى الجبال الأنهار واجرى بين القفار
العيون واحدث فى البد واجاما واجرى فى
الأرض العطشى ماء معينا وانبت فى البلاقع
القفار الصنوبر والآس والزيتون وأغرس
فى القاع الصفصف البر ليروها جميعا ثم
يتدبروا ويعلموا ان يد الله وضعت ذلك

وقدوس

وقدوس اسرائيل ابتدعته وهذه
صفات بلاد العرب فيما احدث الله لهم
فيها باسلامهم والله اعلم

فصل من كتاب يوبال بن يوثال

يوبال
ومن بشائر يوبال بن يوثال من انبياء بني
اسرائيل مثل الصبح المتسلط على الجبال
شعب عظيم عزيز لم يكن مثله الى ابد الأبد
امامه نار تأجج وخلفه لهيب وتلتهب
الأرض بين يديه مثل فردوس عدن فاذا
جاز فيها وعبرها تركها خاويه بروبيته
كرويه الحبل رحالته سراع مثل الفرسان
اصواتهم كصوت لهب النار الذي تحرق الهشيم
رجفت الأرض امامهم ونزعرت السماء
واظلمت الشمس وغاب نور النجوم والرب
اسمع صوتا بين يدي اجناده لأن عسكره
كثير جدا وعمل قوله عزيز لأن نور الرب
عظيم مرهوب جدا وهذا نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصل
من بشائر عويديا من انبياء بني اسرائيل
وفي كتابه قد سمعنا خبرا من قبل الرب
وارسل رسولا الى الشعوب قم فنقوم اليه

بالحرب ايها الساكن فى مجرى الكهف ومحله
فى الموضع الأعلى لأن يوم الرب قريب
من جميع الشعوب كما صنعت كذلك يصنع
بك وهذا مرموز فى بنوته فصل
من بشائر ميخا من انبيا بنى اسرائيل فى
كتابه فاما الأن فيلمهم الى الوقت الذى
يلد فيه الوالدة ويقوم فى ترعاهم بعين الرب
وبكرامة اسم الله ربه ويقيمون بهم
الى من سيعظم سلطانه الى اقطار الأرض
ويكون على عمدة الأسلام فصل
من بشائر حنقوق من انبيا بنى اسرائيل
فى كتابه جاء الله من طور سينا واستعلن
القدوس من جبال فاران وانكسفت الى بها
مجد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلأت
الأرض من محامده لارتفاع لأن شعاع
منظره مثل النور بها يحفظ بلده بصره
تسير المنايا امامه ويصحب سباع الطير
اجناده قام فمسح الأرض وناءمل الأمم بحث
عنها فتضعضعت الجبال القديمة وانصعت
الروابى الدهرية وترعرع سور ارض مدين
ولقد حار الماعى القديمة قطع الراس من

بيت الأثيم ودمعت رؤس سلاطينه
بغضبه ومعلوم ان محمدا ومحمود صريح فى
اسمه وهما بتوجهان الى من انطلق عليه
اسم الحمد وهو بالسريانية مشيخا اي
محمد ومحمود ولهذا اذا اراد السريانى ان
يحمد الله تعالى قال شربحا لاهيا فصل
من بشائر حزقيال من انبياء بنى اسرائيل
فى كتابه ان الذى يظهر من البادية فيكون
فيه صنف اليهود كالكرمه اخرجت ثمارها
واغصانها عن مياه كثيره وتفرعت منها
اغصان مشرفة على اغصان الأكابر
والسادات وبقيت فلم تنبت تلك
الكرمة ان فلعت بالسخطه وضرب بها
على الأرض فاحرقت السماء ثم ثمارها
وانت نار فاكلتها ولذلك غرس غرس فى
البدو وفى الأرض المهمله المعطله العطشى
وخرج من اغصانه الفاضلة نار فاكلت
ثمار تلك حتى لم يبق منها غصنا قوية ولا
قضيب ينهض بامر السلطان فصل
من بشائر صفنا من انبياء بنى اسرائيل
فى كتابه ايها الناس رجوا اليوم الذى اقوم

فيه للشهادة فقد حان ان اظهر حكمي بحشر
الأمم وجميع الملوك لأصب عليهم سخطي وتكبري
هناك اجدد للأمم اللغة المختارة ليدعوا اسم
الرب جميعا وليعبدوه في ربقة واحدة معا
وليأتون بالدياسح من مغارات هاركوس ومعلوم ان
اللغة العربية هي المختارة لأنها قد طبعت
الأرض واسفلت اكثر اللغات اليها حتى صار
ماعداها نادرا

فصل

من بنات زكريا بن يوحنا من انبيا بني اسرائيل
في كتابه رجع الملك الذي ينطق على لساني
وانقضني كالرجل الذي يستيقظ من نومه وقال
لي ما الذي رأيت فقلت رأيت منارة من ذهب
وكفة على راسها ورأيت على الكفة سبعة
سرج لكل سراج منها سبعة افواه وفوق الكفة
شجرتا زيتون احداهما عن يمين الكفة والأخرى
عن يسارها فقلت للملك الذي ينطق على لساني
ما هذا يا سيدي فرد الملك علي وقال لي اما تعلم
ما هذه فقلت ما اعلم فقال لي هذا قول الرب
في زربابال يعني محمدا وهو يدعوا باسمي وانا
أستجيب له للنصح والتطهير واصرف عن الأرض
انبيا الزور والأرواح النجسة لا بقوة ولا بعز

ولكن بروحي

ولكن بروحي يقول الرب القوى ويعنى شجرتى
الزيتون الدين والملك وزربابل وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فصل
من بشايره وامثاله من انبياء بنى اسرائيل
فى كتابه رأيت على سحاب السماء كهيئة
انسان حاف فانتهى الى عتيق الأيام وقدموه
بين يديه فخول الملك والسلطان والكرامة
أن تعبد له جميع الشعوب والأمم واللغات
سلطانه دايم الى الأبد له يتعبد كل سلطان
يمضى الفان وثلثمايه تنقضى عقاب الديوين
يقوم ملك منيع الوجه فى سلطانه عزيز
القوة لاتكون عزته تلك بقوة نفسه ويفلح
فيما يريد ويجور فى شعب الأطهار ويهلك
الأعزا وبؤتا بالحق الذى لم يزل قبل العالمين
وفى هذا دليل على امرين احدهما صدق الخبر
لوجوده على حقه والثانى صحة نبوته لظهور
الخبر فى صفته فصل
ومن بشايره فى رؤيا بختنصر وهو ان بختنصر
رأى فى السنة الثانية من ملكه رؤيا ارتاع
منها ونسيها فأحضر من فى مملكته من الكهنة
والمنجمين وكان قد ملك الأقاليم السبعة

وسألهم عن الرؤيا وتاويلها فقالوا له اذكرها
لنا حتى نذكر تاويلها فامر بقتلهم ان لم يذكروها
وتاويلها وكان دانيال النبي قد سباه من اليهود
فاستمهل في امرهم ورغب الى الله تعالى في اطلاعه
على الرؤيا وتاويلها فاطلعه الله تعالى على
ذلك فاتى بخنصر فقال ايها الملك انك كلفت
هولا مالا يعلمه الا الله وقد رغبت اليه فاطلعني
عليه ورؤياك التي رايتها ان قلبك جاش
واختلج بما يحدث بعدك في آخر الزمان فعرفك
مبدى السرايرما يكون انك ايها الملك رايت
صنما عظيما قايما قبالتك له منظر رايع راسه
من الذهب الابريز وصدره وذراعاه من فضة
وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وبعض
رجليه من حديد وبعضها من خزف ورايت
حجرا انقطع من جبل عظيم يعني بدا نسان فضرب
ذلك الصنم فهشمه حتى صار كالرماد الوت به
ريح عاصف امتلأت منه الارض كلها فهذه
الرؤيا وانا معبرها اما الصنم فهم الملوك فانت
الراس الذهب ويقوم من بعدك من هو دونك
الين منك فاما المملكة الثالثة التي هي مثل
النحاس فتسلط على الارض واما المملكة الرابعة
التي هي

التي هي مثل الحديد فتكون عزيزة كما ان الحديد
يهشم الجميع فكذلك هذه تسحق وتقلب
الكل واما الأرجل والأصابع التي رأيت ان
منها من خزف الفخار ومنها من حديد فان المملكة
تكون مختلفة متفرقة يكون منها اصل من جوهر
الحديد وخلط من خزف الفخار فيكون بعض
المملكة قويا وبعضها واهيا كسيرا لا يأتلف
بعضها ببعض كما لا يختلط الحديد بالخزف فاما
الحجر الواقع من الجبل فان اله السماء يرسل
مملكة من عنده لأنه لم يقطع الحجر يدا انسان
في زمان هذه الممالك يهلكها ويبقى الى آخر
الدهر ولا يكون لأمة أخرى مملكة ولا سلطان
الا وقته كما يدق الحجر الحديد والنحاس والفضة
والذهب فعرفك الله العظيم ما يكون بعدك
آخر الأيام وهذه رؤياك وتأويلها فخر دانيال
ساجدا على وجهه لدانيال وقال ان الهكم هذا
اله الألهة ورب الأملاك حقا وهو مبدي
السرائر وجعل دانيال راسا ومؤمرا على ارض
بابل ومعلوم انه لم يرسل سلطانا ازال به
الممالك وملا به الأرض ودام له الأمر الا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فصل

من بشاير ارميا بن برخيا من انبيا بنى اسرائيل
فى ايام بختنصر لما قتل اهل الرس بينهم قال بن
عباس رضي الله عنه امر الله تعالى ان يامر ما
بختنصر ان يغزوا العرب الذى لا اعلاق لبيوتهم
فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم فامره بذلك فدخل
بختنصر بلاد العرب فقتل وسبا حتى الحد انتهى
الى تهامه فاتى بمعد بن عدنان فامر بقتله
فقال له النبي لا تفعل فان فى صلب هذا نبيا
يبعث فى آخر الزمان يختم الله به الأنبياء
فخلى سبيله وحمله معه حتى اتى حصونا باليمن
فهدمها وقتل اهلها وتزوج معدا باجمل
امراءة منهم فى زمانها وخلفه بتهامة حتى
نسل بها قال بن عباس رضي الله عنه وفى
ذلك نزل قوله تعالى وكم قصمنا من قرية
كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما آخرين

فصل

من بشاير داود فى الزبور فسبحان الله الذى
هياكله الصالحون لفرح اسرائيل بخالقه وبيوت
صلوتهم من اجل ان الله اصطفى له امة واعطاه
النصر وسدد الصالحين منه بالكرامة ليسبحونه
على مضاجعهم فيكبرون الله باصوات مرتفعة

بايديهم

بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقموا من
الأمم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم
بالقيود واشرافهم بالأغلال ومعلوم أن
سيوف العرب هي ذوات الشفرتين ومحمد عليه
السلام هو المنتقم بها من الأمم وفيه ان الله
اظهر من صيغون اكليلا محمودا وصيغون العرب
والأكليل النبوة ومحمود هو محمد صلى الله عليه
وسلم وفي مرموز آخر منه أنه يجوز من بحر الى
البحر ومن لدن الأنهار الى الأنهار الي منقطع
الأرض وان بحر اهل الجزاير بين يديه على
ركبهم وتلحيس اعداه التراب تابيه الملوك
بالقرابين وتسجد له وكلين وتدين له الأمم
بالطاعة والأنقياد لأنه يخلص المضطهر ه
المايس ممن هو اقوى منه وينقذ الضعيف
الذى لا ناصر له ويرأف بالضعفاء والمساكين
وانه يعطى من ذهب بلاد سبا ويصلى عليه
في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم ويدوم
ذكره الى الأبد ومعلوم انه لم يكن هذا الا
لمحمد صلى الله عليه وسلم وفي مرموز آخر منه
قال داود اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم
الناس انه بشراي البعث نبيا يعلم الناس أن

المسيح بشر العلم داود ان قوما سيدعون للمسيح
ما ادعوه وهذا هو محمد صلى الله عليه
وسلم

فصل

من بشائر المسيح به فى الأنجيل قال المسيح
للحواريين انى انا ذاهب وسيأتيكم البارقليط
روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه الا كما يقال
له وهو يشهد علي وانتم تشهدون لأنكم معى من
قبل الناس فكل شيئ اعده الله لكم يخبركم به
وفى نقل يوحنا عنه ان البارقليط لا يحتلم
مالم اذهب فاذا حاد ح العالم على الخطية ولا
يقول من تلقاء نفسه شيأ ولكنه مما يسمع به
يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث
والغيوب وفى نقل آخر عنه ان البارقليط
روح الحق الذى يرسله ابى باسمى وهو يعلمكم
كل شيئ أنى سائل ابى ان يبعث اليكم بارقليطا
آخر يكون معكم الى الأبد وهو يعلمكم كل شيئ
وفى نقل آخر عنه ان البشير ذاهب والبارقليط
بعده يحى لكم الأسرار ويقيم لكم كل شيئ وهو
يشهد لى كما شهدت له فانى لا حدثكم بالأمثال
ويأتيكم بالتاويل والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا احمد وأنا

محمد

محمود وانا محمد فهذه من بشائر الأنبياء عن
الكتب الألهية المصاحبة بصحة نبوته المتواترة
الأخبار بانتشار دعوته وتأييد شريعته
ولعل ما لم يصل الينا منها اكثر فمنهم من عنيه
باسمه ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه
الى قومه ومنهم من اضافه الى بلده ومنهم من
خصه بافعاله ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره
وقد حقق الله جميعها فيه حتى صار جليا
بعد الأحتمال ويقينا بعد الأرتياب فان
قيل مجيئ الأنبياء موضوع لمصالح العالم وهم
مأمورون بالرافة والرحمة ومحمد جاء بالسيف
وسفك الدماء وقتل النفوس وضاد منافيا
لما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام فزال
عن حكمها في النبوة بمخالفها في السيرة فعنه
ثلاثة اجوبة احدها ان الله تعالى يبعث كل
نبي بحسب زمانه فمنهم من بعثه بالسيف لأن
السيف انجع ومنهم من بعثه باللطف لأن
اللطف انفع كما خالف بين معجزاتهم بحسب ما
ازمانهم فبعث موسى بالعصا في زمان السحرة
وبعث عيسى باحياء الموتى في زمان الطب
وبعث محمدا بالقران في زمان الفصاحة لأن

الناس فى بدو امرهم يتعاطفون مع القلة ثم يتنافرون
ويتحاسدون مع الكثرة ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه الأمة
باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والأمل
والجواب الثانى ان السيف اذا كان لطلب الحق كان
خيرا واللطف اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا
الأن الشرع موضوع لاقرار الفضايل الألهية
والحقوق الدينية ولذلك جاء الشرع بالقتل
فى الحدود ليستقر به الخير وينتفى به الشر لأن
النفوس الأشرة لا يكفيها الا الرهبة فكان
القهر لها ابلغ فى انقيادها من الرغبة وكانت
العرب اكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم
وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم انفع
من اللطف والجواب الثالث انه لم يكن فى
جهاده بالسيف بدعا من الرسل ولا اول من
اكن فى اعداء الله وقتل هذا ابراهيم جاهد
الملوك الأربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة
للغارة على اهلها وحاربهم حتى هزمهم باحزابه
واتباعه وهذا يوشع بن نون قتل نيفا
وثلثين ملكا من ملوك الشام واباد من مدنها
ما لم يبق له اثر ولا من اهلها صافر من عيران

يدعوهم الى دين او يطلب منهم اموالا وسبى الغنائم
وغزا داود من بلاد الشام مالم يدع رجلا ولا
امراة الا قتلهم وهو من جنود فى كتبهم ومحمد
صلى الله عليه وسلم بدا بالأستدعاء وحارب
بعد الأباء روى بن شهاب عن عروة عن عايشة
رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم
ينتهك من محارم الله شيئ فاذا انتهك من
محارم الله شيأ كان اشدهم فى ذلك غضبا وما
خير بين امرين الا اختار ايسرهما مالم يكن
ماثما وقد كان صلى الله عليه وسلم احث
الناس على الصفح والتعاطف روى اسيد بن
عبد الرحمن عن فروة بن مجاهد عن عقبة بن
عامر قال لقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لى يا عقبة صل من قطعك واعط
من حرمك واعف عمن ظلمك فهل يكون احسن
على الخلق ممن يامرهم بمثل هذا وانما تتطلب
الملحدة بمثل هذا الأعتراض القدح فى النبوات
فانهم لم يعفوا نبيا من القدح فى معجزته والطعن
على سيرته حتى قال منهم فى عصرنا ما طعن
به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله

عليه وسلم وعليهم بشعر نظمه فقال

لم فالق البحر لم يفلق جوانبه * اذ ضاع فيه صياع الحر في السفل
ومع بدعي الأشياء خلقته * ما باله زال والأشياء لم تزل
وأمر بدعي بالسيف حجته * هل حجة السيف الا حجة البطل

فحضرني حين وردت هذه الأبيات الى بعض اهل العلم فأجاب عنها فقال

قل للذي جاء بالتكذيب للرسل ورد معجزهم بالزيغ والزلل
وقال فيه ابياتا مزخرفة ليوقع الناس في شك من الملل
صياع موسى دليل من ادلته من بعد ما صار فرق البحر كالجبل
ليعلم الناس ان الله فالقه وان موسى ضعيف تاه في السبل
والمعز الحق في فلق المياه له وجعله البر ما يمتاط بالجبل
وابن البتول فان الله نزهه عما ذكرت من الدعوى على الجهل
ما كان منه سوى طير بقدرته طينا وربي احياه ولم يزل
وقال اني باذن الله فاعله واذ في ربي يحيي الخلق لا عملي
وصاحب السيف كان السيف حجته بعد البيان عن الاعجاز والمثل
وجاء مبتدءا بالنصح مجتهدا بمعجزات لها حارت اولوا النحل
منها كتاب مبين نظمه عجب فيه من الغيب ما اوحى الى الرسل
فأفحم الشعراء المفلقين به لما تحداهم بالرفق في مهل
وانبع الماء عذبا من انامله من غير ما صخرة كانت ولا وشل
وشارف القوم وافاه وكلمه وقال اني من قتلي على وجل
والذيب قد اخبر الراعي بمبعثه فجاء يشهد بالاسلام في مجل

والجزع

والجذع حن اليه حين فارقه حنين ذات خوار ساعة الهمل
واخبر الناس عما في ضمايرهم مفصلا بجواب غير محتمل
والفرس اخبرها عن قتل صاحبها بروز يزادجاه فيروز في شغل
وبأس الروم عن نصر يكون لها من بعد تسعة اعوام على جدل
وان تقصيت ما جأ النبي به لطال النشيد ولم امن من الملل

الباب السادس عشر

في هتوف الجن بنبوته عليه السلام

والجن من العالم الناطق المميز ياكلون ويتناكحون ويتناسلون ويموتون واشخاصهم محجوبة عن الأبصار وان تميزوا بافعال واثار الان يخص الله تعالى برؤيتهم من يشاء وانما عرفهم الأنس من الكتب الالهية وما تخلوه من اثارهم الخفية قال الله تعالى فيما وصفه من انشاء الخلق ولقد خلقنا الأنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم يريد بقوله ولقد خلقنا الأنسان من صلصال آدم ابا البشر عليه السلام وفي الصلصال وجهان احدهما انه الطين النابت والثاني انه الطين الذي لم تمسه النار والحمأ جمع حمأة وفيها وجهان احدهما انه المنصوب القايم فيكون صفة للأنسان والثاني انه المنصوب المنسوب

فيكون تمييزا للجنس وقوله والجان خلقناه من
قبل يعني من قبل آدم لأن آدم خلق آخر الخلق
وفي الجان وجهان احدهما انه ابليس والثاني انه
ابن الجن فآدم ابو البشر والجان ابو الجن وابليس
ابو الشياطين وفي قوله من نار السموم وجهان
احدهما من نار الشمس والثاني من نار الصواعق
بين السماء وبين حجاب دونها فلم يختلفوا في ان
الجن يتناسلون ويموتون ومنهم مؤمن ومنهم
كافر واختلف في الشياطين فزعم قوم انهم كفار
الجن يتناسلون ويموتون وزعم آخرون انهم غير
الجن وانهم من ولد ابليس واختلف من قال
بهذا في تناسلهم وموتهم فذهب فريق
الى انهم يتناسلون ويموتون وذهب آخرون
الى انهم كأبليس لا يموتون الا معه وأن
تناسلهم انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون
فأن انكر قوم خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية
قهرتهم براهين العقول وحجج القياس لأن الله
تعالى انشاء خلق العالم من اربعة اجرام جعلها
اصولا لما خلق من العالم الحي وهي الأرض والماء والهواء
والنار والعالم نوعان اتفاقا علوي وسفلي
فالعالم السفلي نوعان خلقهما من جرمين احدهما

من الارض

من الأرض وهو ما عليها من الحيوان والثاني من
الماء وهو ما فيه من السمك وهما هابطان
لهبوط الأرض والماء وظاهران لظهور اصلهما
واستمر القياس فيهما وبقي العالم العلوي جرمان
الهواء والنار وقد استقر خلق الملائكة من الهواء
فاقتضى معقول القياس ان يكون خلق الجن من
النار لتكون الأجرام الأربعة اصولا لخلق اجناس
اربعة ولعلو الهواء ما كان عالمه من الملائكة
علوا ولخفائه ما كان خفيا لا يهبط الا عن امر
الاهي ولا يعاين الا بمعونة الاهية ولعلو النار
في اصلها ما كان لعالمه من الجن علوا وهبوطا
ولخفا كونها خفي عالمها عن العيان الا بمعونة الاهية
فصار اصلان من الأربعة محسوسين بالعيان
وهما على الأرض وفي الماء واصلان معقولين بالقياس
وهما الملائكة والجن ولولا ان دافع ذلك عادل عن
الدلايل الشرعية لما عدلنا عنها الى هذا الاستدلال
الأستدلال الخارج عن البراهين الشرعية

فصل

فاذا ثبت خلق الجن بما دللنا عليه من شرع
ومعقول فهم مكلفون لأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحداهم بالقرآن بقوله تعالى قل

لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن يستمعون القرآن وفي صرفهم وجهان
احدهما انهم صرفوا عن استراق سمع السماء
برجوم الشهب ولم يصرفوا عنه بعد عيسى
الا بعد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ما هذا الحادث في السماء الا لحادث
في الأرض وتخيلوا به تجديد النبوة فجابوا الأرض
حتى وقفوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ببطن مكة عامدا الى عكاظ وهو يصلي الفجر
فاستمعوا القرآن ورؤوه كيف يصلي ويقتدي
به اصحابه فعلموا ان لهذا الحادث صرفوا عن
استراق السمع برجوم الشهب وهذا قول ابن
عباس رضي الله عنه وحكى عكرمة ان السورة
التي كانوا يقرأونها اقرأ باسم ربك الذي خلق
والوجه الثاني انهم صرفوا عن بلادهم بالتوفيق
هداية من الله تعالى حتى اتوا بني الله
ببطن مكة نخلة فنزل عليه جبريل بهذه الآية
واخبره بوفد الجن وامره بالخروج اليهم فخرج ومعه
بن مسعود حتى جاء الحجون عند شعب ابي ذر قال

ابن مسعود فخط على خطا وقال لا تجاوزه ومضى
الى الجمرة فاخذروا عليه امثال الجمل العمج حتى
لم اره فعلى الوجه الأول لم يعلم بهم حتى أتوه
وعلى الوجه الثانى اعلمه جبريل قبل اتيانهم
واختلف اهل العلم فى رؤيته لهم وقرأته
عليهم فحكى سعيد بن جبير عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرهم
ولم يقرأ عليهم وانما سمع قرأته حين مر به
مصليا وحكى عن ابن مسعود انه رآهم وقرأ
عليهم القرآن وفى قوله فلما حضروه قالوا انصتوا
وجهان احدهما فلما حضروا قراءة القرآن قالوا
انصتوا لسماعه والوجه الثانى فلما حضروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا انصتوا لسماع
قوله فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فيه وجهان
احدهما فلما فرغ من الصلوة ولوا الى قومهم
منذرين به والثانى لما فرغ من قراءة القرآن
ولوا الى قومهم منذرين به وقالوا ما حكاه الله
عنهم انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى فى فصاحته
وبلاغته والثانى عجبا فى حسن مواعظه وفى
قوله يهدى الى الرشد فآمنا به وجهان احدهما
الى ما رشد الأمور والثانى الى معرفة الله

تعالى فثبت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان عام الرسالة الى الأنس والجن
فلم يختلف أهل العلم انه يجوز ان يبعث اليهم
رسولا من الأنس واختلفوا في جواز بعثة
رسول منهم فجوزه قوم لقول الله تعالى يا معشر
الجن والأنس الم يأتكم رسل منكم ومنع آخرون
منه وهذا قول من جعلهم من ولد ابليس وحملوا
قوله الم يأتكم رسل منكم على الذين لما سمعوا
القرآن ولوا الى قومهم منذرين فأما كفارهم
فيدخلون النار واما مؤمنوهم فقد اختلفوا في
دخولهم الجنة ثوابا على ايمانهم فقال الضحاك
ومن جوز ان يكون رسلهم منهم يدخلون الجنة
وحكى سفيان عن ليث انهم يثابون على الايمان
بأن يجازوا على النار خلاصا منها ثم يقال لهم
كونوا ترابا كالبهايم فأما استراقهم للسمع فقد
كانوا في الجاهلية قبل بعث الرسول يسترقونه
ولذلك كانت في الأنس لألقاء الجن اليهم ما
استرقوه من السمع في مقاعد كانت لهم يقربون
فيها من السماء كما قال الله تعالى وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع ليستمعوا من الملائكة اخبار
السماء فينقلوها الى الكهنة فمن يسمع الآن

الكهانة

يجد له شهابا

يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكواكب
المعرفة وبالرصد الملائكة فاما استراقهم
للسمع بعد بعث الرسول فقد اختلف فيه اهل
العلم على قولين احدهما انه زال استراقهم
للسمع ولذلك زالت الكهانة والثاني انه
استراقهم للسمع باق بعد بعث الرسول وكان
قبل الرسول لانا خذهم الشهب لقول الله تعالى
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا والذي
يستمعونه اخبار الأرض دون الوحي لأن الله
تعالى قد حفظ وحيه منهم لقوله تعالى انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون واختلف على
هذا في اخذ الشهب لهم هل يكون قبل استراقهم
للسمع او بعده فذهب بعض اهل العلم الى أن
الشهب تاخذهم قبل استراق السمع حتى
لا يصل اليهم لانقطاع الكهانة بهم وتكون
الشهب منعا عن استراقه وذهب آخرون منهم
الى ان الشهب تاخذهم بعد استراقهم له ويكون
الشهب عقابا على استراقه وفيها اذا اخذتهم
قولان احدهما انها تقتلهم ولذلك انقطعت
الكهانة بهم والثاني انها تجرح وتحرق ولا تقتل
ولذلك عادوا لاستراقه بعد الاحتراق ولولا

بقاؤهم لانقطع الاسترق بعد الاحتراق ويكون
ما يلقونه من السمع الى الجن دون الانس
لانقطاع الكهانة عن الانس وفي الشهاب
الذي يأخذهم قولان احدهما انه نور يمتد لشدة
ضيائه ثم يعود والقول الثاني انه تحرقهم ولا
تعود فهذا خطب الجن فيما هم عليه من نعت
وحكم

فصل

فأما هتوفهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو من آيات نبوته فأن كان قبل مبعثه حمل
على استراق السمع وان كان بعد مبعثه
كان من نذر آياته الصادرة عن الهام

فمن هتوفهم

بنبوته ما حكاه ابراهيم بن سلامة عن
اسمعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس
رضي الله عنه انه كان يحدث عن رجل من
خثعم قال كانت خثعم لا تحل حلالا ولا تحرم
حراما وكانت تعبد اصناما فبينا نحن عند
صنم منها ذات ليلة نتقاضى اليه في امر قد
شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صائح يقول

يا ايها الركب ذوو الاحلام ما انتم وطايش الاحلام
ومسند والحكم الى الاصنام يصدع بالحق وبالاسلام

عن النبي

ينلوه يصبح بالحق
هذا نبي سيد الأنام ... اعدل ذي حلم من الأحكام
ويتبع النور على الأظلام ... سيخلف في البلد الحرام
قد طهر الناس من الآثام

قال الخثعمي ففزعنا منه وخرجت الى مكة وأسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم

ومن بشائر هتوفهم

ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له اتعرف هذا المار يا امير المؤمنين قال ومن هو ما قالوا هذا سواد بن قارب رجل من أهل اليمن وكان له رئي من الجن فارسل اليه عمر فقال انت الذي سواد بن قارب قال نعم يا امير المؤمنين فقال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم يا امير المؤمنين بينا انا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل أنه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وأنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم قيس قداماها كاذنابها
فقلت له دعني انام فانى امسيت ناعسا ولم ارفع
بما قال راسا فلما كان الليلة الثانية اتاني فضربني
برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي
واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لوى بن غالب يدعو الى
الله والى عبادته وانشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم بين روابيها واحجارها

فقلت دعني فقد امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال
راسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله
فقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل
ان كنت تعقل قد بعث رسول من لوى بن غالب
يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول

عجبت للجن وتجاسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كاتجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى راسها
قال فاصبحت وقد الهمني الله قلبي للاسلام

فرحلت

فرحلت ناقتي وانيت المدينة فأذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فقلت اسمع
مقالي يا رسول الله قال هات فانشأت اقول

اتاني جي بين هدور رقدة ولم اك فيما قد يخون بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة اتاك رسول من لوى بن غالب
فشمرت من ذيل الازار ووسطت بي الدغلب الوجناء بين السباسب
فأشهد ان الله لا شيء غيره وانك مأمون على كل غائب
وانك ادى المرسلين وسيلة الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرتجى وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
بمقالتي فرحا شديدا حتى رأى الفرح في وجوههم
قال فوثب اليه عمر فالتزمه وقال قد كنت أحب
ان اسمع منك هذا الحديث فهل يأتيك رئيك
اليوم فقال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض
كتاب الله من الجن ومن بشائر هتوفهم

ما رواه ابراهيم بن سلامه عن اسمعيل بن
زياد عن ابن جريج عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب
حدث يوما في مجلس بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال خرجنا قبل مظهر النبي صلى
الله عليه وسلم بشهرين الى الأبطح بمكة معنا

عجل نريد ذبحه ونحن نفر فلما ذبحناه وتصاب
دمه ومات اذ صاح من جوفه صائح يقول يا ذريح
يا ذريح صائح يصيح بصوت فصيح نبي يظهر الحق
يفيح يقول لا اله الا الله فصاح كذلك ثلث
مرات ثم هدا صوته وتقرقنا ورعبنا منه فلم يلبث
النبي صلى الله عليه وسلم ان ظهر فقال رجل من
القوم ما تعجب يا امير المؤمنين خرجت واصحاب لي في
تجارة لنا ونحن اربعة نفر نريد الشام حتى اذا كنا
ببعض اودية الشام قدمنا الى اللحم قرما شديدا
قبل مظهر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا بظبية
قد عرضت لنا مكسورة القرن فلم نزل نختلها حتى
اخذناها قال فوالله اننا لنؤامر بذبحها اذ هتف هاتف
فقال يا ايها الركب السراع الأربعه خلوا سبيل الظبية المرتعه
فانها الطفلة ذات دعه خلوا عن العفيا قد امن سعه
ثم قال خلوا عنها فوالله لقد رأيت هذا الوادي
وما يمر فيه اقل من خمسين رجلا حتى كنتم به قال
فأرسلناها فلما امسينا اخذ بأزمة رواحلنا حتى
اتى بنا الى حاضر لجب كثير الأهل فأطعمنا من الثريد
ما اذهب قرمنا ثم خرجنا حتى قضى الله تجارتنا
فصحبنا رجل من اليهود فلما كنا بذلك الوادي
هتف هاتف فقال

اياك لاتعجل وخذها موثقه فان شر السير سير الحقحقه
قد لاح نجم فاستوى فى مشرقه يكشف عن ظلما عبوس موبقه
يدعوا الى ظل جنان مذهقه

فقال اليهودى تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا ما يقول قال يخبران بنبيا قد ظهر خلافكم بمكة فقدمنا فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة

ومن بشائر هتوفهم

ما حكاه ابو عبيس قال سمعت قريش فى الليل هاتفا على ابى قبيس يقول

ان بيلم السعدان يصبح بمكة محمد لايخشى خلاف المخالف
فلما اصبحوا قال ابو سفيان من السعدان سعد بكر سعد تميم فلما كان فى الليلة الثانية سمعوه يقول

يا سعد سعد الأوس كن انت ناظرا ويا سعد سعد الخزرجين العطارف
أجيبا الى داعى الهدى وتمنيا على الله فى الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى جنات من الفردوس ذات زخارف

فلما اصبحوا قال ابو سفيان هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة

ومن بشائر هتوفهم

ما رواه ابن عباس رضى الله عنه عن اسما بنت ابى بكر قالت ما اعلم المشركون من اهل مكة أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة حتى هتف هاتف بعد ذلك

بأيام فقال جزا الله خيرا والجزاء ربيعة رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما دحلا ها بالهدى واهتدى به فأفلح من امسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمسلمين بمرصد

وقالت اسمعا ما علم المشركون من اهل مكة بوقعة بدر حتى هتف هاتف من جبال مكة وفتيان يسمرون بمكة فقال

ادال الحميون بدرا بوقعة سينقص منها ملك كسرى وقيصر
اصاب رجالا من لوى وجرذن حرابه يضرين الترائب حسرا
الا يبح من امسى عدو محمد لقد ذاق حزنا في الحياة وخسرا
واصبح في هامي الهجاجم معفرا تناوبه الطير الجياع وتنفرا

فعلموا بذلك وظهر الخبر من الغد ولئن كانت هذه الهتوف اخبارا حادثة عمن لا يرى شخصه ولا يجب قوله فخروجه عن العادة نذير وما ثره في النفوس بشير وقد قبلها السامعون وقبول الاخبار يؤكد صحتها ويولد ويؤيد حجتها فان قيل ان كانت هتوف الجن من دلايل النبوة جاز ان تكون دليلا على صحة الكهانة فعنه جوابان احدهما ان دلايل النبوة غيرها وانما هي من البشاير بها وفرق بين الدلالة والبشارة لان الدلالة برهان والبشارة اخبار والثاني ان الكهانة عن مغيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم والغايب موهوم

الباب السابع عشر

فيما هجست به النفوس من الهام العقول بنوته العقل الالهي ركبه الله تعالى في النفوس الناطقة فهو ينذر بالخواص الكاينة حدسا ويعلم بعد الوجود حسا فقل حادث الا تقدم نذيره ويحسب خاطره يكون تأثيره ولا حادث اعظم مما جدده الله بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاقتضى أن يكون بث ارنبوته اشهر وشواهد ايانه اظهر

فمن الهواجس بنبوته

ان كعب بن لوي بن غالب كان يجتمع اليه الناس في كل جمعة وكان يوم الجمعة يسمى في الجاهلية يوم العروبة فسماه كعب يوم الجمعة وكان يخطب فيه الناس ويقول بعد خطبته حرمكم عظموه وتمسكوا به فسيأتي منه نبأ عظيم وسيخرج به نبي كريم والله لو كنت فيه واسمع وابصر وبد ورجل لنتصبت تنصب الخيل ولا رقلت ارقال الفحل ثم يقول

يا ليتني شاهد نجوى دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ومن هواجس الالهام

ما حكاه ابن قتيبة ان اباكرب بن اسعد الحميري آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ببضع عشرة سنة وقال

شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

ومن هواجس الالهام

ما حكاه عبيد الجرهمي وكان كبير السن عالما باخبار الامم ان تبع الاصغر وهو تبع بن حسان بن تبع سار ببيثرب فنزل في نبع احد وذهب الى اليهود فقتل منهم ثلثمائة وخمسين رجلا صبرا واراد ان حزابها فقام اليه رجل من اليهود كبير السن فقال ايها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ولا يقبل قول الزور امرك اعظم من ان يظن بك برق او يضرع بك لجاج فانك لا تستطيع ان تخرب هذه القرية قال ولم قال لانها مهاجر نبي من ولد اسمعيل يخرج من هذه الثنية يعني البيت الحرام فكف تبع ومضى الى مكة ومعه هذا اليهودي ورجل آخر عالم من اليهود فكسيا البيت وخر عنده سنة الف جزور واطعم الناس وقال

قد كسونا البيت الذي حرم الله ملآ معصرا وبرودا

وقبل انه ملك ثلثمائة وعشرين سنة

ومن هواجس الالهام

ما روى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي

ولد فيها

ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر
مجلس قريش فقال يا معاشر قريش هل ولد
فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلم
قال الله اكبر اما ان اخطائكم فلا باس انظروا
واحفظوا ما اقول لكم ولد في هذه الليلة نبي بين
كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانها
عرف وثن فتصارع القوم عن مجلسهم وهم متعجبون
من قوله فلما ساروا الى منازلهم اخبر كل انسان
منهم أهله فقالوا قد ولد لعبد الله بن عبد
المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم الى اليهودي
فاخبروه فقال اذهبوا بي حتى انظر اليه فادخلوه
على آمنة وقالوا اخرجي الينا ابنك فاخرجته
وكشفوا عن ظهره فراى اليهودي تلك الشامة
فوقع مغشيا عليه فلما افاق قالوا له مالك قال ذهبت
والله النبوة من بني اسرائيل يا معشر قريش
والله ليملكن بكم سلطنة يخرج خبرها من المشرق
الى المغرب وكان في القوم الذين اخبرهم اليهودي بذلك
هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعبيدة بن
الحرث ابن عبد المطلب وعتبة بن ربيعة فعصمه
الله تعالى منهم **ومثله** رضي الله عنه
انه كان لقريش في الجاهلية عيد يجتمع فيه النساء

دون الرجال فاجتمعن فيه فوقف عليهن يهودى
وفيهن خديجة فقال لهن يا معشر نساء قريش
يوشك ان يبعث ملك فليكن نبي فاستطاعت
ان تكون له ارضا فلتفعل فحصنه ووقر ذلك
فى نفس خديجة حتى حققه الله تعالى لها فكانت
اول من امن به ومشله
ان جماعة من النصارى قدموا الى من الشام تجارا
الى مكة فنزلوا بين الصفا والمروة فرأوه وهو ابن
سبع سنين ففرقه بعضهم بصفته فى كتبهم وسمته
فى فراستهم فقال له من انت وابن من انت فقال
له انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له
من رب هذه واشار الى الجبال فقال الله ربها
لا شريك له فقال له من رب هذه واشار الى
الأرض فقال الله ربها لا شريك له فقال
من رب هذه واشار الى السماء فقال الله ربها
لا شريك له فقال له النصرانى فهل له رب غيره
فقال لا اشككنى فى الله ماله شريك ولا ضد
فقام بالتوحيد فى صغره وفصح النصرانى بخبره
وانذر بنبوته ومشله
انه كان فى كفالة جده عبد المطلب وكان احب
اليه من جميع اولاده فلما حضرته الوفاة وصى به

لعمه

الى عمه ابى طالب لأنه كان اخا عبد الله لأبيه
وامه وانشأ يقول

وصيت من كنيته بطالب ✻ عبد مناف وهو ذو تجارب
يا ابن الحبيب اكرم الأقارب ✻ يا ابن الذى قد غاب عبر آيب

فتقبل ابو طالب الوطالب الوصية وكان قد سمع
من راهب اندار به فانشأ يقول

لا توصنى بلازم وواجب ✻ فلست بالأمر غير الراغب
بأن تحمد الله قول الراهب ✻ انى سمعت العجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب

ومات عبد المطلب بعد ثمان سنين من مولده
فتكفله عمه ابو طالب وخرج به الى الشام فى تجارة
له وهو بن تسع سنين فنزل تحت صومعة ✻
بالشام عند بصرى وكان فى الصومعة راهب يقال
له بحيرا قرأ كتب اهل الكتاب وعرف ما فيها من
الأنباء والأمارات فرأى بحيرا من صومعته غمامة
قد أظلت رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الشمس فنزل اليه وجعل يتفقد جسده حتى
رأى خاتم النبوة بين كتفيه وسأله عن حاله فى
منامه ويقظته فاخبره بها فوافقت ما عنده ✻
فى الكتب وسأل اباطالب عنه فقال ابنى فقال
كلا فقال ابن اخى مات ابوه وهو حمل قال صدقت

وعمل لهم ولمن معهم طعاما لم يكن يعمله لهم من
قبل وقال احفظوا هذا من اليهود والنصارى
فانه سيد العالمين وسيبعث نبيا اليهم اجمعين
وان عرفوه معكم قتلوه فقالوا كيف عرفت هذا
قال السحابة التي اظلته ورأيت خاتم النبوة
اسفل من غضروف كتفه له ولا يسجدان الا لنبي
وجاء رسول الله صلى الله وسلم وكان في رعيه
الأبل قد سبقه القوم الى ظل شجرة فلما جلس مال
ظل الشجرة عليه فقال لهم هذا من آيات نبوته
وان الروم ان رأوه عرفوه بصفته فقتلوه ثم
التفت فاذا هو ببعة نفر قد اقبلوا من الروم
فاستقبلهم وقال ما جاء بكم قالوا جئنا لأن هذا النبي
خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث فيه
ناس وكنا آخر من بعث الى طريقك هذا فقال
لهم هل خلفتم خلفكم احدا هو خير منكم قالوا لا
قال افرأيتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع
احد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه
فبايعوه على الرجوع وزودهم الراهب حتى اسرع به ابو طالب
فكانت هذه البشائر من برهان النصارى وما
تقدم من اخبار اليهود وقد تواردت عليها جميعهم
مع اختلاف معتقدهم وتغاير كتبهم من اوائل

الشواهد على تعيين النبوة فيه اما عن كتب
نعت فيها فاصابوه على النعت فكان انذارا
اليها تواردت عليه الخواطر لأن ما همست به
النفوس من امر كان وما تخيلته العقول ظهر وبان
لأن القلوب طلايع الأقدار والعقول مرايا الأسرار

ومن هواجس الالهام

حدثنا ابو الحسن محمد بن علي بن نخيل رحمه
الله قال حدثنا عمر بن حماد الفقيه قال حدثنا
عمر بن محمد بن بحير السمرقندي قال حدثنا
احمد بن عبد ربه الصبي قال اخبرنا عبد الرحمن
ابن نوح بن عبيد قال حدثنا عمر بن بكير قال
حدثني احمد بن القسم عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس رحمة الله عليه قال لما ظفر سيف
ابن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد
النبي صلى الله عليه وسلم بسنين أتاه وفود
العرب واشرافها وشعراها لتهنيه ومدحه وذكر
ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه فاتاه وفد
قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وامية بن
عبد شمس وعبد الله بن جدعان واسد بن
خويلد بن عبد العزى في ناس من اشراف قريش
وفيهم عبد المطلب بن هاشم فلما قدموا عليه اذا

هو في راس قصر يقال له عمدان وهو الذي يقول
فيه امية بن ابي الصلت

اشرب هنيا عليك التاج مرتفقا في راس عمدان دارمنك محلالا

قال فاستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا عليه فاذا
الملك مصمخ بالعنبر يرى وبيض الطيب من مفرقه
عليه بردان متزر باحدهما مرديا بالأخر سيفه بين
يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وابنا الملوك
والمقاول قال فدنا عبد المطلب واستأذن في
الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك
فتكلم فقد اذنا لك فقال عبد المطلب ان الله
اجلك ايها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا
باذخا وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته
وثبت اصله وبسق فرعه في اكرم موطن
واطيب معدن وانت ابيت اللعن ملك العرب
وربيعها الذي تخصب به وانت ايها الملك راس
العرب الذي اليه تنشاد والد وعمودها الذي
عليه العماد ومعقلها الذي تلجأ عليه العباد
سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن
يحمد ذكر من انت سلفه ولن يهلك من انت
خلفه ونحن ايها الملك اهل حرم الله وسدنة
بيته اشخصنا اليك الذي ابهجنا لكشف الكرب

الذي وقرضنا

الدك قدحنا فتحن وفد التهنئة لا وفد المرزبة
فقال بن ذى يزن فايهم انت ايها المتكلم فقال
انا عبد المطلب بن هاشم قال بن اختنا قال
نعم بن اختكم قال ادن فادناه ثم اقبل على القوم
وعليه فقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا
سهلا وملكا نزلا يعطى عطآء جزلا قد سمع
الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم
فانتم اهل الليل واهل النهار لكم الكرامة ما اقمتم
والحبا اذا اظعنتم قال ثم استنهضوا الى دار الضيافة
والوفود فأقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن
لهم بالأنصراف قال ثم انتبه انتباهة فأرسل
الى عبد المطلب واخلاه وادنا مجلسه وقال يا عبد
المطلب انى مفوض اليك من سر علمى ما لو كان
غيرك لم اج له ولكن رايتك معدنه واطلعتك
عليه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه
فان الله بالغ فيه امره انى اجد فى الكتاب
المكنون والعلم المخزون الذى اختزناه لأنفسنا
واحتجبناه دون عترنا خبرا عظيما وخطرا جسيما
فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة
ولرهطك كافة ولك خاصة قال عبد المطلب
ايها الملك فمثلك من سر وبر فما هو فداك اهل

الوبر رمز لبعد رهر قال اذا ولد بتهامة غلام
بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به
الرعامه الى يوم القيمه فقال له عبد المطلب يا
ابيت اللعن لقد اتيت بخبر ما أتا بمثله وافد
فلولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته
من بشارته اياي ما زاد به سرورا قال بن ذي يزن
هذا حينه الذي يولد فيه اوقد ولد اسمه احمد
يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه
مرارا والله باعثه جهارا وجاعل ماله انصارا
يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه يضرب بهم
الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الأرض
يكسر الأوثان ويحمد النيران ويعبد الرحمن
ويدحر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر
بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال
عبد المطلب ايها الملك عز جدك وعلا عقبك
ولهاب ملكك وطال عمرك فهل الملك ساري
بافصاح فقد اوضح بعض الأنصاح فقال بن ذي يزن
والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب انك
ياعبد المطلب لجده غير الكذب قال فخر عبد المطلب
ساجدا فقال بن ذي يزن ارفع صدرك راسك
تالج صدرك وعلا امرك فهل احسست شيئا مما ذكرت
لك فقال

لك فقال نعم ايها الملك كان لى ابن وكنت به
معجبا رفيقا او رفيقا فزوجته كريمة من كرائم
قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف فاتت
بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته
انا وعمه وبين كتفيه شامة وفيه كما ذكرت
من علامة فقال بن ذى يزن ان الذى قلت لك
لكما قلت لك فاحتفظ بابنك واحذر عليه من
اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه
عليه سبيلا فاطوما ذكرته دون هولا الرهط
الدين معك فانى لست آمن ان يداخلهم النفاسة
من ان تكون لك الرياسة فيبغون له الغوايل
وينصبون له الحبايل وهم فاعلون وانباؤهم ولولا
انى اعلم ان الموت محماى قبل مبعثه لسرت
بخيلى ورجلى حتى اصير بيثرب دار ملكى فانى
اجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن
يثرب استحكام امره واهل نصرته وموضع
قبره ولولا انى اقيه الأيات واحذر عليه العاهات
لأعلنت على حداثة سنه ذكره واوطيت اسنة
العرب عقبه ولكنى صارف ذلك اليك بغير تقصير
ممن معك ثم امر لكل رجل من القوم بعشرة من
اعبد وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود

وهم مع يزيد فى غطائه ما بين الاول
للكل واحد وان الاف عشرة ابطال
والفضة عشرة ابطال ولعل ما فى الكتاب
هو الاقرب

وخمسة ارطال ذهب وعشرة ارطال فضة وكرسا
مملوة عنبرا ولعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك
وقال له اذا حال الحول فأتنى بامره وما يكون
من خبره قال فحمان بن ذى يزن قبل ان يحول الحول
قال فكان عبد المطلب كثيرا يقول يا معشر قريش
لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر
فأنه الى نفاد ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى
ذكره وفخره وشرفه فاذا قيل له وما ذاك قال
ستعلمون ما اقول لكم ولو بعد حين

ومن هواجس الألهام

انه نشأ فى قريش على احسن هدى وطريقة
واشرف خلق وطبيعة واصدق لسان ولهجة
حتى سمته قريش الامين فى حداثته الامين
تاسيسا لما سيكون فكانت خديجة بنت خويلد
ذات شرف ويسار وكان لها متاجر ومضاربات
فلما عرفت امانة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصدق لهجته ابضعته مالا يجر به لها
الى الشام مضاربا وانفذت معه مولاها ميسرة
ليخدمه فى طريقه فنزل ذات يوم تحت صومعة
راهب فراى الراهب من ظهور كرامة الله تعالى
له ما علم انه لا يكون الا لنبى فقال لميسرة هل

هذا فقال

هذا فقال رجل من قريش من اهل الحرم
فقال انه نبي فكان ميسرة اذا ركب تظله غمامة
تقيه حر الشمس فلما قدم على خديجة قص ميسرة
عليها حديث الراهب وما شاهده من ظل الغمامة
وما تضاعف من ربح التجارة فتنبهت به على عظم
شأنه وشواهد برهانه فرغبت خديجة في
نكاحه وكان قد خطبها اشراف قريش
فامتنعت وسعر بسببها في النكاح ميسرة وقيل
مولاه بولده وخافت امتناع ابيها عليه فعقرت
له ذبيحة والبسته حبرة وعلقته بطيب وعبير
وسقته خمرا حتى سكر وحضر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه عمه حمزة بن عبد المطلب
واختلف في حضور عمه ابي طالب فقال الأكثرون
حضر مع حمزة وخطبها من ابيها فاجابه وزوجه
وهو بن خمسة وعشرين سنة وخديجة ابنة
اربعين سنة ودخل بها من ليلته فلما أصبح
خو بلد وصحا رأى آثار ما عليه فقال ما هذا العقير
والعبير والحبر فقيل زوجت خديجة بمحمد قال
ما فعلت قيل له قبح بك هذا وقد دخل
بها فرضي ولأجل ذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ظهور الاسلام لا يرفع

الى نكاح نسطوان الاجيرته وقامت خديجة رضي
الله عنها بأمره حتى كفته امور دنياه فكان
ذلك عونا من الله تعالى ولطفا تفضل به
عليه منا واسعافا

ومن هو اجس الالهام

ماحكاه عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن
عمرو بن نفيل يقول انا انتظر نبيا من ولد اسمعيل
ثم من بني عبد المطلب ولا اراني ادركه وانا اومن
به واصدقه واشهد انه نبي فان طالت
بك مدة قرايته فاقره مني السلام وساخبرك
مانعته حتى لا يخفى عليك قلت هلم قال هو
رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر
ولا بقليله وليس بفارق عينيه حمرة وخاتم
النبوة بين كتفيه واسمه احمد وهذا البلد
مولده ومبعثه ثم يخرجه قومه منها ويكرهون
ماجاءيه حتى يهاجر الى يثرب فيظهر امره فاياك
ان تخدع عنه فاني طفت البلاد كلها أطلب
دين ابراهيم فكل من اسال عنه من اليهود
والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين ورائك
وبنعتوته مثل مانعت لك ويقولون لم يبق
نبي غيره قال عامر فلما اسلمت اخبرت رسول
الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم يقول زيد واقرأه
منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه
وقال قد رأيته فى الجنة يسحب الذيول

ومن هو اجسر الألهم

ما رواه الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن
ابن عوف قال بعث الله تعالى الى كسرى ملكا
وهو فى بيت ايوانه الذى لا يدخل عليه فيه فلم
يرعه الا به قايما على راسه فى يده عصا بالها جرة
من ساعته التى كان يقيل فيها فقال يا كسرى
اتسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل
فانصرف عنه فدعا حراسه وحجابه فتغيظ
عليهم فقال من ادخل هذا الرجل فقالوا
ما دخل عليك أحد ولا رأيناه حتى اذا كان
العام القابل اتاه فى الساعة التى اتاه فيها
فقال له كما قال ثم قال اتسلم او اكسر هذه
العصا فقال بهل بهل بهل ثلاثا فخرج عنه فدعا
كسرى حراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال
لهم كما قال لهم اول مرة فقالوا ما رأينا احدا
دخل عليك حتى اذا كان فى العام الثالث اتاه
فى الساعة التى اتاه فيها فقال له كما قال ثم قال
اتسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل

فكسرها ثم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعاث
ابنه والفرس على قتله حتى قتلوه

ومن هواجس المنام

ماحكاه بن قتيبة ان كسرى ابرويز بن هرمز
كان سابرا ذات يوم فهوم على مركبه وطال
حتى استغفل فايقظه بعض قواده فانتبه
مذعورا لرؤيا رأها قطعها عليه الموقظ له
فقال رأيت فائلا لى انكم غير تم فغيرناكم ونقل
الملك الى احمد وقيل له سلم مابيدك الى
صاحب الهراوة الى ان ورد عليه كتاب النعمان
بن المنذر يخبر فيه ان خارجا نجم بتهامة يخبر
ان رسول الله اله السمأ والأرض الى أهل
الأرض كافة فارتاع لذلك واكبره وعلم انه
الذى رآه فى منامه وكان ينوقعه

ومن هواجس المنام

ماروّاه عروة بن مضرس عن مخرمة بن نوفل عن
امه رقيقه بنت ابى صيفى بن هاشم قال
تتابعت على قريش سنون امحلت الضرع
وادقت العظم فبينا انا نائمة اللهم او مهمومة
اذ هاتف يصرخ بصوت صخب يقول يامعشر
قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد اظلتكم

ابامه وهذا ابان نجومه محي هلا بالحيا والخصب
الا فانظروا رجلا منكم وسيطا جسيما ابيضا
بضا اوطف الأهداب سهل الخدين أنشم
العرنين له فخر يكظم عليه وسنه يهدى اليه
فليحلص هو وولده وليهبط اليه من كل بطن
رجل فليستنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا
الركن ثم ليربقوا اباقبيس فليستشق الرجل
وليوم القوم ففشتم ماشيتم فاصبحت علم الله
تعالى مدعوره فداقشعر جلدى ووله عقلى واقتصت
رؤياي فوالحرمة والحرم ما بقي ابطحي الا قالوا هذا
شيبة الحمد يعنون عبد المطلب فتنامت اليه
رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل
فنوا وهسوا واستلموا ثم اربقوا اباقبيس
وطبقوا حانبيه مايبلغ سعيهم مهلة حتى
استووا بذروة الجبل فقام عبد المطلب ومعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام حين ايفع
اوكرب كرب فقال اللهم ساد الخله وكاشف
الكربه انت معلم غير معلم ومسؤل غير مبخل
وهذه عبادك واماؤك بفدرات حرمك
يشكون اليك سنتهم اذهبت الخوف الخف
واظلف اللهم فأمطر علينا غيثا مغدقا مريعا

في الكعبة ما براحوا حتى تفجرت السما بمائها
واكتظ الوادي بضجيجه فسمعت شيخان من
قريش وجلتها عبد الله بن جدعان وحرب
ابن امية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب
هنيئا لك ابا البطحا اي عاش بك اهل البطحا
وفي ذلك يقول رفيعة

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا لما فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جون له سبل سحا فعاشت به الانعام والشجر
مبارك الامر يستسقى الغمام به ما في الانام له عدل ولا خطر

ومن هواجس الأذكار والالهام والمنام

ما رواه ابو ايوب يعلي بن عمران النحاس عن محروم
ابن هاني المحرومي عن ابيه وانت له مايه وخمسون
سنه قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوبعث ارتجس ايوان
كسرى فسقطت منه اربعة عشر شرفه وخمدت
نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغارت
بحيرة طبريه ساوة فافزع ذلك كسرى فلبس
تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ومرازبته
واخبرهم برؤياه فقال الموبذ اني وانا اصلح الله
الملك قد رايت في هذه الليلة ابلا صعابا تقود
خيلا عرابا قد قطعت دجله وانتشرت في بلادنا

فقال اي

فقال اي شيء هذا فقال يا موبذان فقال
حادثة تكون من ناحية العرب فكتب الى النعمان
ابن المنذر ابعث الي برجل عالم اسله عما اريد
فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني
فلما قدم عليه اخبره فقال ايها الملك علم ذلك
عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح
قال فائته فاسأله عما اخبرتك به ثم ائتني بجوابه
فركب عبد المسيح راحلته حتى ورد على سطيح
وقد اشفى على الموت ووضع على سفير قبره
فسلم عليه وحياه فلم يخبر سطيح جوابا فانشاء
عبد المسيح يقول

اصم ام يسمع غطريف اليمن ... يا فاصل الحطة ان حم من ومن
اياك يسري الحي من آل سنن ... وانه من آل ذيب بن حجن
ابيض قصفاض الردى والبدن ... رسول قيل العجم يسري للوسن

فرفع سطيح راسه وقال عبد المسيح على جمل
مسيح وافى الى سطيح وقد اوفى به الى الصريح
بمثل ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود
النيران ورويا الموبذان راى ابلا صعابا تقود
خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها
ثم قال يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبعث
من تهامة صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة

وعاصت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فلبس
الشام لسطيح شاما يملك منهم ملك وملكان
بعد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضا سطيح
فثار عبد المسيح على راحلته وهو يقول

شمر فانك ماضى الهم شمير ولا يفزعنك تفريق وتغيير
ان يمس ملك بنى ساسان افرطهم فان والدهر الهوارد هاير
فربما اصبحوا يوما بمنزلة يهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته والهرمزان وسابور وسابور
والناس أولاغلات فمن علموا ان قد اقل ممهبور ومحقور
وهم بنو الأم الا ان يروا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره قال
كسرى الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا قد كانت
امور فملك منهم عشرة ملوك اربع سنين وزال
ملكهم عن يزدجرد الرابع عشر بعد اثنى عشر
سنة فان قيل فهذا قول كاهن قد ابطلته
النبوة فلم يقبل قوله فى اثبات النبوة فعنه
جوابان احدهما انه تأويل رويا تحققت خرج
بها عن حكم الكهانة والثانى انه علمها بنقل
الجن فصار كهتوف الجن كما قال الله تعالى وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم فاذا سير ما

ما اختلف

ما اختلفت لمرقه وتغاير وصفه خرج عن القله
الى التكاثر وعن الآحاد الى التواتر فصار الظن
معلوما والتوهم محتوما

الباب الثامن عشر

فى مبادئ نسبه وطهارة مولده

لما كان انبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه
لما كلفهم من القيام بحقه استخلصهم من اكرم
العناصر وامدهم بأوكد الأواصر حفظا لنسبهم
من قدح ولمنصبهم من جرح لتكون النفوس لهم
اوطا والقلوب لهم اصفا فيكون الناس الى
اجابتهم اسرع ولأوامرهم اطوع ولما تفرعت
الملك عن ابراهيم عليه السلام واختصت النبوة بولده انخازت
الى ولد اسحاق دون اسمعيل فصارت فى بنى
اسرائيل لكثرتهم بعد القلة وقوتهم بعد الذلة
فبدأت النبوة بموسى وانختمت بعيسى ولما كثر
ولد اسمعيل وانتشروا فى الأرض تميز بعض الكثرة
ولد قحطان عن ولد عدنان واستولت قحطان على
الملك انخازت النبوة الى ولد عدنان فأول من
أسس لهم مجدا وشيد لهم ذكرا معد بن
عدنان حين اصطفاه بختنصر وقد ملك اقاليم
الأرض وكان قدهم بقتله حين غزا بلاد العرب

فانذره بنبي كان في وقته بأن النبوة في ولده فاستبقاه
واكرمه ومكنه واستولى على تهامة بيد عالية
وامر مطاع وفيه يقول مهلهل الشاعر

غنت ذرنا تهامة بالأمس وفيها بنو معد حلولا
ثم ازداد العز بولده نزار وانبسطت به اليد وتقدم
عند ملوك الفرس واحتباه شتاسف ملك الفرس
وكان اسمه خلدان وكان مهزول البدن فقال الملك
مالك يا نزار وتفسيره في لغتهم يا مهزول فغلب
عليه هذا الاسم فسمي نزارا وفيه يقول قمعة
ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

حديثا خلفناه وحمسا بارضه فاكرم بنا عند الفخار فخارا
فنحن بنو عدنان خلدان حدنا فسماه تشتشف الهمام نزارا
فسمي نزارا بعد ما كان اسمه لدى العرب خلدان بنوه خبارا

وكان لنزار اربعة اولاد مضر وربيعة واياد وانمار
فلما حضرته الوفاة وصاهم فقال يا بني هذه القبة
الحمراء وما اشبهها لمضر وهذا الحبا الأسود وما
اشبهه لربيعة وهذه الخادمة وما
اشبهها لأياد وهذه الندوة والمجلس وما اشبهه
لأنمار فان اشكل عليكم واختلفتم فعليكم بالأفعى
الجرهمي بنجران فاختلفوا في القسمة فتوجهوا اليه
فبيناهم يسيرون اذ رأى مضر كلاً قد رعى فقال أن

البعير الذي

البعير الذى رعى هذا الكلا لاعور وقال ربيعة
هو ازور وقال اياد هو ابتر وقال انمار هو شرود.
فلم يبرحوا قليلا حتى لقيهم رجل يوضع على راحلته
فسألهم عن البعير فقال مضر هو اعور قال نعم وقال
ربيعة هو ازور قال نعم وقال اياد هو ابتر قال نعم
وقال انمار هو شرود قال نعم وهذه والله صفة
بعيرى فدلونى عليه فقال والله ما رأيناه قال قد
وصفتموه بصفته فكيف لم تروه وسار معهم الى
نجران حتى نزلوا بالأفعى الجرهمى فناداه يكلم صاحب
البعير هؤلاء اصحاب بعيرى وصفوه لى بصفته
وقالوا لم نره فقال لهم الأفعى الجرهمى كيف وصفتموه
ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويدع جانبا
فعرفت انه اعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه
ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت انه
ازور وقال اياد رأيت بعره مجتمعا ففرقت أنه
ابتر وقال انمار رأيته يرعى المكان الملتف ثم يجوزه
الى غيره ففرقت انه شرود فقال الجرهمى لصاحب
البعير ليسوا اصحاب بعيرك فاطلب من غيرهم ثم
سألهم من هم فاخبروه انهم بنو نزار بن معد
فقال انكم لجون الى وانتم كما ارى فدعا لهم بطعام
فاكلوا واكل وبشراب فشربوا وشرب فقال مضر لم

اركا اليوم خمرا اجود لولا انها نبتت على قبر وقال
ربيعة لم اركا اليوم لحما اطيب لولا انه رعى بلبن
كلب وقال اياد لم اركا اليوم رجلا اسرى لولا انه
يدعى لغير ابيه وقال انمار لم اركا اليوم كلاما انفع
في حاجتنا وسمع الجرهمي الكلام فتعجب لقولهم
واتى امه فسألها فاخبرته انها كانت تحت ملك
لا ولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا من
نفسها كان نزل به فوطئها فحملت منه به وسأل
الفهرمان عن الخمر فقال من كرمه غرستها على قبر
ابيك وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة ارضعتها
بلبن كلبة لأن الشاة حين ولدت ماتت ولم يكن
ولد في الغنم شاة غيرها فقبل لمضر من اين عرفت
الخمر ونباتها على قبر قال لأنه اصابني عليها عطش
شديد وقيل لربيعة من اين عرفت ان الشاة
ارتضعت على لبن كلبة قال لأني شممت منه
رائحة الكلب وقيل لأياد من اين عرفت ان الرجل
يدعى لغير ابيه قال لأني رايته يتكلف ما يعمله
ثم اتاهم الجرهمي وقال صفوا لي صفتكم فقصوا عليه
ما اوصاهم به ابوهم نزار فقضى بالقبة الحمراء للذانيز
والأبل وهي حمر فسمي مضر الحمراء وقضى لربيعة بالخبا
الأسود والخيل الدهم فسمي ربيعة الفرس وقضى

لاياد بالخادمة

بالحاذة الشمطا والماشية البلق وقضى لأنمار بالأرض
والدراهم وهذا الذى ظهر فى اولاد نزار من قوة
الذكاء وحدة الفطنة تأسيا لتميزهم بالفضل
واختصاصهم بوفور العقل مقدمة لما يراد بهم
ثم تفرقت القبايل منهم فاخنص ولد مضر بن نزار
بالحرم فتميزوا بانسابهم وتناصروا بيوتهم حتى
استولت قريش على الحرم بعد جرهم وخزاعة
لأن جبرهم كانوا جبابرة فبغوا وتجبروا حتى بعث
الله تعالى عليهم الرعاف والنمل فافناهم وافضى
امرهم الى عامر بن الحرث وهم القايلون فى الحرم ولد
حرام وادحرام لصبره ووحشه نحن ولاته فلا تغشه
فاجتمعت خزاعة ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن
حارثة على عامر بن ربيعة وبقية جرهم فاخرجوهم
من الحرم واستولت عليه خزاعة وولى البيت عمرو
ابن ربيعة فقال

نحن ولينا البيت بعد جرهم نمرو من كل باغ ملحد

ولما انحاز عامر بن الحرث مع بقية جرهم عن الحرم
عند استيلاء خزاعة عليه خرج بفر الى الكعبة
وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول

لاهم ان جرهما عبادك الناس طرف وهم تلادك

فلم تقبل توبته فالقى فر الى الكعبة وحجر الركن

فى زمزم ودفنها وخرج ببقية جرهم وهو يقول
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالى والدهور الغوابر
فلما رأى عامر بن الحرث الجرهمى ما صاروا اليه بعد الكثرة
والقوة قال
يا أيها الناس سيروا ان قصركم ان تصبحوا ذات يوم لا يسيرونا
كنا اناسا كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا
خطوا المطى واخوا من ازمتها قبل الممات وقصوا ما تقصونا

فوليت خزاعة البيت والحرم غير انه كان فى مضر
من امره ثلث خلال احداهن الدفع من عرفة الى
المزدلفة كان الى الغوث بن مر وهو صوفه والثانيه
الأفاضة من مزدلفة الى منى للنحر كان لزيد ابن
عدوان واحز من افضى اليه ابو سياره والثالثة
النسئ لشهور الحج كان للقلس من بنى كنانة واحز
من افضى اليه حتى جاء الأسلم تمامة بن عوف
فشركة مضر خزاعة فى معالم الحج وان كانت زعامة
الحرم لخزاعة وقريش فى اوزاع بنى كنانة من مضر
وافضت معالم الحج من اوزاع مضر الى قريش فوليها
منهم كعب بن لوى بن غالب وكان يجمع الناس فى كل يوم
جمعة ويخطب فيه على قريش فيأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويقول حرمكم عظموه وتمسكوا

به فسيأتى

به فيأتى له بناء عظيم وسينجز منه نبي كريم
وهو اول من قصح بالنبوة حين شاهد اثارها
وعرف اسرارها من انقياد العرب اليهم تدينا بحرمهم
واعظاما لكعبتهم فكان ذلك الهاما هجست به
نفسه وتخيل صدقه فيه حدسه لأن لكل خطب
نذيرا ولكل مستقبل بشيرا وانتهضت خزاعة فى
الحرم الى خليل بن الحبشية الخزاعى فكان يلى الكعبة
وامر مكة فتزوج اليه قصي بن كلاب فاشتد به
قصي وكان اسمه زيد فلما هلك خليل راى قصي
انه اولى بالولاية على الكعبة وامر مكة من خزاعة
فاستولى عليها واختلف فى سبب استيلائه فقال
قوم لأن خليلا اوصى اليه بذلك وقال آخرون بل
اشتراه من آل خليل برق من خمر وقال آخرون بل
استنصر على خزاعة باخيه لأمه رزاح بن ربيعة
القضاعى حتى اجلا خزاعة عن مكة فخلصت الرياسة
لقصي فجمع قريشا وهم فى اوزاع بنى كنانة فمنعت
بنو كنانة منهم فحاربهم بمن اطاعه حتى حتى أفردهم
منهم وجمعهم بمكة فسمي مجمعا وفيه يقول شاعرهم

ابونا قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبايل من فهر

فلما اجتمعوا اتر لهم بطحاء مكة فى الشعاب ورؤس
الجبال وقسمها بينهم ارباعا بين قومه وانزل كل

قوم من قريش منازلهم من مكة التي اصبحوا عليها
وكانت اليه الحجابة والنقابة والوفادة والندوة
واللوا وصارت سنته في قريش كالدين الذي لا يعمل
بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى عقد الولاية وجدد
بناء الكعبة وهو اول من بناها بعد ابراهيم واسمعيل
واسمعيل وبنا دار الندوة للتحاكم والتشاور
وهي اول دار بنيت بمكة وكانوا يجتمعون في خيالها
ثم بنا القوم دفنهم بها فتمهدت لهم الرياسة
وظهرت فيهم السياسة فصاروا بها يحملون عبادة
الذرت بطاعة الاهيه ودياية نبوة توطية لما
حبده الله تعالى منها برسوله تاسيسا لمبادئها
فقاموا بالكعبة ونزهوا الحرم وتكفلوا بالحج فصاروا
دياينين العرب وولاة الحرم وسقاة وقادة الحجيج
فدانت لهم العرب وتقدموا فيهم بالشرف لحلولهم
في الحرم وتكفلهم بالكعبة ثم قيامهم بالحج وشاع ذلك
في الأمم فحكى قوم من دياينين العرب ان جماعة من
ملوك الفرس زاروا الكعبة بمكة وعظموها وحملوا اليها
صوف الشاب وانواع الطيب وزمزموا ومن معهم من
الفرس عند بير زمزم فلذلك سميت زمزم وشهد
واستشهد قايل هذا بقول الشاعر

زمزمة الفرس على زمزم ودال في سالفه الاقدم

وقريش هم

وقريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة
ابن الياس بن مضر وقيل بل هم بنو فهر بن مالك
ابن النضر فمن نسبهم الى النضر فلأنه تفرقت قبايل
بنى كنانة وقيل كان يسمى قريشا ومن نسبهم
الى فهر فلأن فهرا فى زمانه كان رئيس الناس بمكة
وقصدها حسان بن عبد كلال فى حمير وقبايل اليمن
ليهدم الكعبة وينقل حجارها الى اليمن ليبنيه بيتا
باليمن يجعل حج الناس اليه فنزل بنخلة واغار على ما
شرفى مكة فمال اليه فهر فى كنانة واحلافهم من
قبايل العرب مضر فانهزمت حمير واسر الحرث بن فهر
حسان بن عبد كلال فبقى فى يد فهر ثلث سنين
اسيرا بمكة حتى فدا نفسه وخرج فمات بين مكة واليمن
فعظم بهذه الحرث شأن فهر فاعتزت اليه قريش
حين حمى مكة ومنع من هدم الكعبة وكانت من
اشباه عام الفيل واختلف فى تسميتهم قريشا على
أربعة اقاويل احدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش
التجمع ومنه قول الشاعر

اخوة قرشوا الذنوب علينا فى حديث من دهرهم وقديم

والثانى لأنهم كانوا تجارا ياكلون من مكاسبهم والقرش
التكسب والثالث لأنهم كانوا يفتشون الحاجة عند
ذى الخلة فيسدون خلته والقرش التفتش ومنه

قول الشاعر

أيها السامت المقرش عنا عند عمرو فهل له ابقاء

والرابع ان قريشا اسم دابة في البحر من اقوى دوابه سميت بها قريش لقوتها انها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قاله ابن عباس واستشهد بقول الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر على ساكني البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك يوما لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد اكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا
تملأ الأرض خيله ورجال يحشرون الطبي حشرا كميشا

وهذا من هواجس النفوس المخبرة وابات العقول المنذرة فاما مكة فلها اسمان مكة وبكة وقد جاء القرآن بهما واختلف في الأسمين هل هما لمسمى واحد او لمسميين على قولين احدهما انه لمسمى واحد لأن العرب تبدل الميم بالباء فيقولون ضربه لازم ولازب لقرب المخرجين والقول الثاني وهو أشبه انهما اسمان لمسميين واختلف من قال بهذا في المسمى منهما على قولين احدهما ان مكة اسم البلد وبكة اسم البيت وهذا قول ابراهيم النخعي والقول الثاني ان مكة الحرم كله وبكة المسجد كله وهذا

قول زيد

قول زيد بن اسلم فأما مكة مأخوذة من قولهم
تمكنت الخ اذا استخرجته لأنها تمك الفاجراي
تخرجه قال الشاعر

يا مكة الفاجر مكى مكا ولا تملى مذحجا وعكا

واما بكة قال الأصمعي سميت بذلك لأن الناس
يبك بعضهم بعضا اي يدفع وانشد قول الشاعر

اذا الشريب اخذته لكه فخله حتى يبك بكه

ثم افضت رياسة قريش بعد قصي الى ابنه عبد
مناف بن قصي فجاد وزاد وساد حتى قال فيه الشاعر

كانت قريش بيضة فتفقأت فالمح خالصة لعبد مناف

وكان اسمه المغيرة فدفعته امه الى مناف وكان
اعظم اصنام مكة تعظيما له فغلب عليه عبد مناف
وكان يسمى القمر لجماله فاستحكمت رياسته بعد
ابيه لجوده وسياسته ثم بنيه فولد له هاشم
وعبد شمس توأمان في بطن فقيل انه ابتدا خروج
احدهما واصبعه فيه ملصقة بجبهة الآخر فلما ازيلت
دمي موضعها فقيل يكون بينهما دم ثم ولد له بعدهما
نوفل ثم المطلب وكان اصغرهم فسادوا وتقدمهم
هاشم لسخائه وسوددة وكان اسمه عمرا فسمي
هاشما لأنه اول من هشم الثريد لقومه بمكة في سنة
لزبة قحطة رحل فيها الى فلسطين فاشترى منها

الدقيق وقدم به الى مكة ونحر الجزور وحملها
ثريدا عمر به اهل مكة حتى استقلوا فقال فيه الشاعر

يا ايها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من افافها والراحلون لرحلة الأيلاف
والرابشون وليس برجل رابش والقائلون هلم الى الأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
وهشم اول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف

واراد امية بن عبد شمس ان يتشبه بهاشم
في صنيعه فعجز عنه فشمت به ناس كثير من قريش
فقال فيه وهب بن عبد قصي

تحمل هاشم ما ضاق عنه واعيا ان يقوم به بنو بيض
اتاهم بالغرائر مثقلات من الشام بالبر البغيض
فاوسع اهل مكة من هشيم وشاب اللحم باللحم الفريض

ونشبت العداوة بين امية وهاشم واراد فاقرته
فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه
قريش حتى ناقره الى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة
سود الحدق ينحرها ببطن مكة والحلاء من مكة عشر
سنين فنفر الخزاعي هاشما وقال لأمية تنافر
رجلا هو اطول منك قامة واعظم منك هامة واحسن
منك وسامة واقل منك لامة واكثر منك ولدا واجزل

منك صفرا

منك صفدا فقال امية من انتكاث الزمان أن
جعلناك حكما فأخذها هاشم الابل فحزها واطعمها
من حضره وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين
فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية
وملك هاشم الوفادة والسقاية واستقرت له
الرياسة وصارت قريش له تابعة تنقاد لأمره
وتعمل برأيه وتناقرت قريش وخزاعة اليه فخطبهم
بما اذعن له الفريقان بالطاعة فقال في خطبته
أيها الناس نحن آل ابراهيم وذرية اسمعيل وبنوا
النضر بن كنانة وبنوا قصي بن كلاب وأرباب
مكة وسكان الحرم لنا ذروة الحسب ومعدن المجد
ولكل في كل خلف يجب عليه نصرته واجابة دعوته
الا مادعا الى عقوق عشيرة وقطع رحم يا بني قصي
انتم كغصن شجرة ايهما كسر اوحش صاحبه
والسيف لا يصان الا بغمده ورامي العشيرة يصيبه
سهمه ومن امحكه اللجاج اخرجه الى البغي ايها الناس
الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجود سودد
والجهل سفه والأيام دول والدهر غير والمرء منسوب
الى فعله ومأخوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسبوا
الحمد ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء واكرموا
الجليس يعمر ناديكم واحاموا الخليط يرغب في جواركم،

وانصفوا من انفسكم يوثق بكم وعليكم بمكارم الأخلاق
فانها رفعة وايالكم والأخلاق الدنية فانها
تضع الشرف وتهدم المجد الاوان نهنهة الجاهل
اهون من حزيرته ورأس العشيرة تحمل اثقالها
ومقام الحكيم عظة لمن انتفع به فقالت قريش
رضينا بك ابا نضلة وهي كنيته فانظروا الى ما أمر
به من شريف الأخلاق ونهى عنه من مساوى
الأفعال هل صد الا عن غزارة فضل وجلالة قدر
وعلو همة وماذاك الا لاصطفاء يراد وذكر يشاد
لأن توالى ذلك في الأبا يوجب تناهيه في الابنا
ومات هاشم بغزة من ارض الشام وهو اول من مات
من ولد عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر
باجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ومات
المطلب بريمان من ارض اليمن وكان هاشم قد
تزوج بيثرب من الخزرج بسلمى بنت عمرو النجارية
فولدت له بيثرب عبد المطلب وكان اسمه شيبة
الحمد ونشأ فيهم حتى مات ابوه هاشم وانتقلت
عنه الرياسة والوفادة والسقاية الى اخيه المطلب
ووصف له شيبة يثرب فخرج اليها فاشترك امه
عنه حتى اخذه منها ورحل به مكة مردفا له فقالت
قريش من هذا فقال عبدي فسمي عبد المطلب

الى ان ولد

الى ان مات فوثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف
فى دكه كان له فاغتصبه اياه والدكه الساحة فسأل
عبد المطلب رجالات قومه النصرة على عمه فقالوا
لسنا داخلين بينك وبين عمك فلما راى عبد المطلب
ذلك كتب الى اخواله من بنى النجار يقول

ياطول ليلى لاشجانى واشغالى هل من رسول الى النجار اخوالى
ينبى لعديا و دينارا ومازنها وما لكاعصمة الجيران عن حالى
وكنت ماكنت حيانا عما جزلا امشى الفضينة سمحا بالأدنالى
حتى ارتحلت الى قومى وازعجنى عن ذاك عمى مطلب بترحالى
فغاب مطلب فى قصر مظلمة وقام نوفل كي يعدو على مالى
أأن رأى رجلا غابت عمومته وغاب اخواله عنه بلا والى
ابجى عليه ولم يحفظ له رحما ما اضيع المرء بين العم والخال
فاستنفروا وامنعوا ضيم ابن اختكم لاتخذلوه وما انتم بخذال
ماشلكم فى بنى قحطان قاطبة حمى لجار وانعام وافضال
أنتم ليان لمن لانت عريكته سلما لكم وسمام الابلج العالى

فقدم عليه ثمانون راكبا من بنى النجار ونفروه على
عمه نوفل وارتجعوا منه الركب وعادوا وقد اشتد
بهم عبد المطلب فدعا ذلك نوفلا ان خالف بنى
عبد شمس على عبد المطلب وبنى هاشم ودعا
ذلك عبد المطلب الى ان خالف بنى هاشم على نوفل
وبنى عبد شمس فقوى عبد المطلب وضعف

نوفل وانتقلت السقاية والوفارة والرياسة الى
عبد المطلب واخذ نوفل عهدا من الكاسرة العراق
وصارت رحلته اليها واخذ عبد المطلب عهدا من
ملوك الشام واقبال حمير باليمن وصارت رحلته اليها
وحفر عبد المطلب حين قوى واشتد بنين زمزم وانخرج
واخرج منها ما كان القاه فيها عامر بن الحرث الجرهمي
من غزالى الكعبة وحجر الركن فضرب القداحين صفايح
ذهب على باب الكعبة ووضع الحجر في الركن وصار
عبد المطلب سيدا عظيم القدر مطاع الأمر نجيب النسل
حتى مر به اعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه
كالأسد فقال اذا احب الله أنشاء دولة خلق لها
امثالها ولا فأنشا الله لهم بالنبوة دولة خلد بها
ذكرهم ورفع بها قدرهم حتى سادوا الأنام وصاروا
الأعلام وصار كل من قرب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابائه اعظم رياسة وتنوها وأكثر
فضلا وتالها فحكى الزهري ويزيد بن رومان
وصالح بن كيسان ان عبد المطلب بن هاشم نذر
انه متى رزق عشرة اولاد ذكورا ورآهم بين يديه
رجالا ان ينحر احدهم للكعبة شكرا لربه حين
علم ان ابراهيم امر بذبح ولده تصورا انه من افضل
قربه فلما استكمل ولده العدد وصاروا له من اظهر

وكانوا

العدد قال

العدد قال لهم يا بني كنت نذرت نذرا علمتموه قبل
اليوم فما تقولون قالوا الأمر لك واليك ونحن
بين يديك فقال لينطلق كل واحد منكم الى قدحه
وليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم اتوه بالقداح
فاخذها وجعل يزجر ويقول

عاهدته وانا موف عهده والله لا يحمد شيئ حمده
ان كان مولاي وكنت عبده نذرت نذرا لاحب رده
ولا احب ان اعيش بعده

ثم دعا بالأمين الذى يضرب بالقداح فدفع اليه
قداحهم وقال حرك ولا تعجل وكان احب ولد عبد
المطلب اليه عبد الله فضرب صاحب القداح
السهم السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب
الشفرة واتى بعبد الله واضجعه بين أساف
ونايله وانشا مرتجزا يقول

عاهدته وانا موف نذره والله لا يقدر شيئ قدره
هذا بني قد اريد نحره وان يؤخره يقبل عذره

وهم بذبحه فوثب اليه ابنه ابو طالب وكان أخا
عبد الله لأبيه وامه وامسك يد عبد المطلب
عن اخيه وانشاء مرتجزا يقول

كلا ورب البيت ذى الاضباب ما ذبح عبد الله بالسلباب
يا سبا ان الذبح ذو عقاب ان لنا ان خبرت فى الخطاب

فلما سمعت بنو امخزوم هذا من ابي طالب وكانوا اخواله قالوا صدق ابن اختنا وو ثبوا الى عبد المطلب فقالوا يا أبا الحرث انا لا نسلم ابن اختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره فقال اني نذرت نذرا وقد خرج القدح ولا بد من ذبحه قالوا كلا لا يكون ابدا ذلك ابدا وفينا ذو روح وانا نفديه بجميع اموالنا من لطارف وتالد وانتاء المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مرتجزا يقول

يا عجبا من فعل عبد المطلب وذبحه ابنا كشبل الذهب
كلا وبيت الله مستور الحجب ما ذبح عبد الله فينا باللعب
فدون ما تبغي خطوب تضطرب

ثم وثب السادات من قريش الى عبد المطلب فقالوا يا ابا الحرث ان هذا الذي عزمت عليه عظيم وانك ان ذبحت ابنك لم تنهنه بالعيش من بعده ولكن لا عليك انت على رأس امرك تثبت حتى نصير معك الى كاهنة بني سعد فما امرتك من شيء فامتثله فقال عبد المطلب لكم ذلك وكانوا يرون الكهانة حقا ثم خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام الى الكاهنة فلما دخلوا عليها خبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده وارتجز يقول

يا رب اني

يارب انى فاعل لما ترد ان شئت الهمنى الصواب والرشد
يا سابق الخير الى كل بلد قد زدت فى المال واكثرت العدد

فقالت الكاهنة انصرفوا عنى اليوم فانصرفوا وعادوا من الغد فقالت كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الأبل قالت فارجعوا الى بلدكم وقدموا هذا الغلام الذى عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة من الأبل ثم اضربوا عليه وعلى الأبل القداح فان خرج القدح على الأبل فانحروها وان خرج على صاحبكم فزيدوا فى الأبل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم الى مكة واقبلوا عليه يقولون يا ابا الحرث ان لك فى ابراهيم اسوة حسنة فقد علمت ما كان من عزمه فى ذبح ابنه اسمعيل وانت سيد ولد اسمعيل فقدم مالك دون ولدك فلما أصبح عبد المطلب غدا بابنه عبد الله الى الذبح وقرب معه عشرة من الأبل ثم دعا بامين القداح وجعل لابنه قدحا وقال اضرب ولا تعجل فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها اربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين وضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ستين وضرب فخرج القدح على عبد

الله فجعلها سبعين وضرب فخرج القدح على عبد
الله فجعلها ثمانين وضرب فخرج القدح على عبد
الله فجعلها تسعين وضرب فخرج القدح على عبد
الله فجعلها مائة وضرب فخرج القدح على الأبل،
فكبر عبد المطلب وكبرت قريش وقالت يا ابا الحرث
انه قد انتهى رضا ربك وقد نجا ابنك من الذبح
فقال لا والله حتى اضرب عليه ثلاثا فضرب الثانية
فخرج القدح على الأبل وضرب الثالثة فخرج على
الأبل ففلم عبد المطلب انه قد انتهى رضا ربه
فى فداء ابنه فارتجز يقول

دعوت ربى مخلصا وجهرا يارب لا تخزبني نحرا
وفاد بالمال تجد لى وفرا اعطيك من كل سوام عشرا
عفوا ولا تشمت عيونا حرا بالواضح الوجه المفدى بدرا
فالحمد لله الأجل شكرا فلست وابيت المغطى سترا
مبدل النعمة ربى كفرا ما دمت حيا او ازور القبرا

ثم قربت المائة من الابل وهى مائة من جلة ابل عبد المطلب
فنحرت كلها فداء لعبد الله وتركت فى مواضعها
لا يصد عنها احد بينا بها من دب ودرج فجرت
السنة فى الدية بمائة من الأبل الى يومنا هذا
وانصرف عبد المطلب ابنه عبد الله فرحا فكان عبد
الله يعرف بالذبيح ولذلك قال النبى صلى الله عليه

وسلم انا ابن

وسلم انا ابن الذبيحين يعني اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام واباه عبد الله بن عبد المطلب وهذا من صنع الله لرسوله لما قدره من رسالته وقضاه من ايات نبوته فما نجا ابني من بلوى منذرة ولا ملك من بلية زاجرة هذا سليمان بن داود عليهما السلام وقد اعطاه الله تعالى مع النبوة ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وسأل الله الحكمة فاعطاه قلبا عليما وفهما سليما حتى وضع ثلثمائة الف مثل تهذبت بها اخلاق قومه واستقامت بها سيرة ملكه بعد ان سخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين سخرت له يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وذكر في سيرته انه كان نزله في كل يوم من دقيق السميذ ثلثين كرا ومن غير السميذ ستين كرا وارتفاعه في كل سنة ستة وثلثين الف الف الف وثلثة وثلثين الف الف وثلثمائة الف مثقال وكان له الف واربعمائة فيل متفرقة في القرى وملك اربعين سنة كأبيه داود فابتلاه الله في اثناء ملكه بعد عشرين سنة منه ما حكاه الله تعالى في كتابه بقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وفي فتنته قولان احدهما ان سليمان

سبا بنت ملك غزاه فى جزيرة من جزاير البحر فقال
لها صيدون فألقت عليه محبتها وهي معرضة
عنه تذكرا لأبيها لا تنظر اليه الا شزرا ولا تكلمه
الا نذرا ثم قال أنها سألته ان تصنع لها تمثالا على
صورته فامر به فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد
معها حوارها وصار صنما معبودا فى داره وهو لا يعلم
به حتى مضت اربعون يوما وفشا خبره فى بنى اسرائيل
وعلم به سليمان فكسره ثم حرقه ثم ذراه فى الريح
هذا قول شهر بن حوشب والثانى ان الله تعالى
قد جعل ملك سليمان فى خاتمه فقال لآصف وهو
شيطان اسمه اصف الشياطين كيف تضلون الناس
فقال له الشيطان اعطنى خاتمك حتى اخبرك فأعطاه
خاتمه فألقاه فى البحر حتى ذهب ملكه وهذا قول
مجاهد وفى الجسد الذى القى على كرسيه قولان احدهما
انه الشيطان الذى القا خاتم سليمان فى البحر جلس
على كرسي سليمان متشبها بصورته يقضى بغير
الحق ويأمر بغير الصواب والثانى اكثر من عشارة
جواريه طلبا للولد فولد له نصف انسان فكان
هو الجسد الملقى على كرسيه وزال عن سليمان
ملكه فخرج هاربا الى ساحل البحر يتضيف الناس
ويحمل سمك الصيادين بالأجر واذا اخبر الناس أنه

سليمان اكذبوه الى ان اخذ حوته من صياد قيل انه
استطعمها وقيل بل اخذها اجرا فلما شق بطنها
وجد خاتمه في جوفها وذلك بعد اربعين يوما
من زوال ملكه عنه وهي عدة الأيام التي عبد فيها
الصنم في داره فسجد الناس له حين عاد الخاتم اليه
وقال يحيى بن ابي عمرو وجد خاتمه بعسقلان فمشى
منها الى بيت المقدس تواضعا لله وفي قوله ثم اناب
تأويلان احدهما ثم رجع الى ملكه قاله الضحاك
والثاني ثم اناب من ذنبه قاله قتادة وبقي في ملكه
بعد فتنته عشرين سنة استكمل بها الأربعين
وهي عدة الأيام الأربعين الذي زال عنه ملكه
فيها واما باوى الملوك فأن بختنصر كان ملكه طبق
عمارة الأرض حتى ملك الأقاليم السبعة ودانت
له ملوك الأمم وادوا اليه خراج بلادهم فطغى قلبه
وشمخ انفه فداخلته العزة واعتقد ان امم الخلق
قد صاروا عبيدا وخولا وان ملوك الأرض دانت
بطاعته خوفا ورهبا فغضب الله تعالى عليه
وسلبه عزة سلطانه وسطوته وزال عنه هيبته
وقدرته وجعل قلبه مثل قلوب الحيوان فانخلع عن
سرير ملكه ونفاه اعوانه عنهم فكان الفلوات
ياكل حشيشها وابتل جسمه من قطر السماء حتى

لحال شعره وصارت الظفاره كمخالب الطير حتى حال
سبعة احوال وهو فى سكرة لا يرى الناس الا انه
كنوع من الحيوان الذى فى صورة البشر الى ان استنقذه
الله تعالى من كربه فتاب اليه عقله وراجعه تميزه
فرجع ببصره الى السماء معظما لله تعالى ومستجيرا
به ومعترفا ان لا سلطان الا له يؤتيه من يشاء
وينزعه ممن يشاء فطلبه قواده ليردوه الى سلطانه
حتى وجدوه فاعادوه الى دار عزه واجلسوه على سرير
ملكه فعاد الى خوف الله ومراقبته والى ما كان
عليه من جميل سيرته واستناب دانيال النبي فى خلافته
وتدبير ملكه الى ان مضى لسبيله بعد احدى وخمسين
سنة من ملكه ودانيال على خلافته ومنهم ملوك
الفرس كسرى اردبز وبلغ فى الملك مبلغا عظيما وكان
فى قصره اثنى عشرة الف جاريه منهن للاستمتاع
ثلثة الف جاريه وباقيهن للغنا والخدمة وكان
فى داره ثلثة الف رجل يقومون بخدمته وكان له
الف فيل الافيل ومن الخيل والبغال خمسون الف
راس منها لمركبه ثمانية الاف وخمس مايه
وامر ان يحصى ما اجتبى من خراج بلاده سنة ثمان
عشرة من ملكه فكان ستمايه الف الف درهم وعدد
على ابنه شيرويه بعد قبضه عليه انه قال امرنا

فى سنة

فى سنة ثلثين من ملكنا باحصا ما فى بيوت
أموالنا سوى ما امرنا بعزله لأرزاق الجند وكان
من الورق اربعمائة الف بدره يكون فيها الف
الف الف مثقال وستمائة الف الف مثقال سوى
ما افآه الله علينا وزادنا من اموال ملوك الروم فى
سفن اقبلت بها الريح الينا فسمياه فى الرياح ولم
تزل تزداد اموالنا الى سنتنا هذه وهي سنة ثمان
وثلثين من ملكنا وفيها قبض عليه ابنه حتى قتله
وقد ذكرله ما جمع لأنه استطال واحتقر الناس
فانظر ايها المعتبر فى عقله فى صنع الله تعالى
وقدرته فيمن يبتليه اختبارا ويبلوه ازدجارا
هل لما قضاه الله من دافع وفيما ابتلاه من مانع
الا بلطف منه يؤتيه من يشاء وهو القوي العزيز

فصل

واما طهارة مولده فان الله تعالى اختص
رسوله من اطيب المناكح وحماه من ادنس الفواحش
ونقله من اصلاب طاهرة الى ارحام طاهرة وقد
قال بن عباس رضي الله عنه فى تأويل قول الله
تعالى وتقلبك فى الساجدين اي تقلبك من اصلاب
طاهرة من أب بعد اب الى ان جعلك نبيا وقد
كان نور النبوة فى ابائه ظاهرا فحكي أن كاهنة

بمكة يقال لها فاطمة بنت مر المخزومية قرأت الكتب فمر بها عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد ان يزوجه آمنة بنت وهب فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت هل لك أن تغشانى وتأخذ مائة من الأبل فقصمه الله من اجابتها وقال لها

اما الحرام فالحلال دونه والحل لا احل فاستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه

فلما تزوجت به آمنة وحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فيما قلت فلم تر ذلك النور فى وجهه فقالت له قد كان ذلك مرة فاليوم لا ماذا صنعت فقال زوجنى ابى آمنة بنت وهب الزهرية فقالت قد اخذت النور الذى كان فى وجهك وانشأت تقول

الآن قد ضيعت ما كان ظاهرا عليك وفارقك الضياء المباركا
عدوت علي خاليا فبذلته لغيرى هنيئا فالحقى بنسائكا
ولا تحسبن اليوم امسى وليتنى رزقت غلاما منك فى مثل حالكا

وداخلها الأسف على ما فاتها والحسرة على ما تولا عنها فحسدت آمنة على ما صار لها فانشأت تقول

انى رأيت مخيلة نشأت فتلألأت كتلألؤ الفجر
ولما بها نور يضيئ به ماحلوها كاضاءة البدر

ورأيتها مبتينا شرفا ما كل قادح زنده بورى
لله مازهريه سكبت ثوبيك ما استلبت وماندرى

وانذرت به بنى هاشم فقالت

بنى هاشم قد غادرت من اخيكم امنه اذ للناه بعركان
كما غادر المصباح عند خموده فبايل فد ميلت له بدهان
وما كل ما يحوى الفتى من تلاده بحزم ولا ما فانه لثوان
فاجمل اذا طالبت امرا فانه سيكفيكه جدان بعتيحان
ولما حوت منه امنه ما حوت حوت منه فخرا ما لذلك ثان
سيكفيكه امايد مفعله وامايد مبسوطة ببنان

وهذا من ايات الله تعالى فى رسوله ان عصم اباه حتى كان فى ظهر ان يضعه من سفاح حتى وضعه من نكاح ثم زالت العصمة بعد وضعه حتى عرض بالطلب بعد ان كان مطلوبا ورغب فيه بعد ان كان مرغوبا ثم لم يشركه فى ولادته من ابويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتفرده بها آية فيزول عنه ان يشارك فيه ويماثل به فلذلك مات ابواه عنه فى صغره فأما ابوه عبد الله فمات عنه بمكة وهو حمل واما آمنة فمات عنه بالمدينة وهو ابن ست سنين لأنها فرحت اليها لزيارة اخوالها من بنى النجار فماتت بها عندهم

واذا اخبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة اباء كرام سادوا وراسوا لأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ليس في ابائه خامل مترذل ولا مغمور مستبدل كلهم سادة قادة وهم اخصى الناس بالمناكح الطاهرة حتى تحرجوا من نكاح المحارم وان استباحه غيرهم من العرب حتى حكى ان حاجب بن زرارة وهو سيد بني تميم نكح بنته واولدها وقد كان سماها دختنوس باسم بنت كسرى وقال فيها حين نكحها مرتجزا

يا ليت شعري عنك دختنوس اذا اتاها الخبر المدعوس
اتسحب الذيلين ام تميس لابل تميس انها عروس

وهذا في قريش من الفواحش وفي التوراة ان لوطا نكح بنتين له فولدتا غلامين ولهما ذرية كثيرة ولوط هو ابن اخت ابراهيم الخليل وقد تزوج ابراهيم بنت اخيه سارة بنت هاران بن تارح فتنزهت قريش من هذه المناكح حفظا لحرمة الأرحام الدانية ان تنتهك بالمناكح العاهرة فتضعف الحمية وتقل الغيرة فان

* جزم الشيخ بهذا وقد نقله السهيلي في كتابه الشريف والاعلام على الفتى والمتاق وضعفه وفي لرجح هذا القول لكانت بنت اخيه وذكر ان بنت الاخ على عليه محرما البتة الى قوله تعالى لكم في الدين ما وصيه نوحا والذي اوحينا اليك الآ

العبرة فان قبل يشارك الأنبياء فى شرف النسب
وطهارة المولد غيرهم فلم يستحق بهما النبوة قيل
هما من شروط النبوة وان استحقت بغيرهما فلم
يمتنع ان يكون لهما فى النبوة تاثير معتبر ووصف محبر

الباب التاسع عشر

فى آيات مولده وظهور بركته

ايات الملك باهره وشواهد النبوة قاهره تشهد
مباديها بالعواقب فلا يلتبس فيها كذب بصدق ولا
منتحل بمحق وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشايرها
وانذارها ولما دنا مولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم تظاهرت ايات نبوته وظهرت آيات بركته
فكان من اعظمها شانا واظهرها برهانا واشهرها
عيانا وبيانا اصحاب الفيل اتقدمهم النجاشى من ارض
الحبشة فى جمهور جيشه الى مكة لقتل رجالها
وسبى ذراريها وهدم الكعبة واختلف فى سببه
فذكر قوم ابرهة بن الصباح استولى على اليمن
معتزيا الى النجاشى فبنى بصنعا كنيسة للنصارى
واستعان فى بنيانها بقيصر والنجاشى حتى بناها
فى تشييدها وحسنها ليعدل بالعرب عن حج الكعبة
اليها فانكرته العرب ودخل الى هيكلها بعض بنى
كنانة من قريش فاحدث فيها فكتب الى النجاشى

يسمه بالفيل والحبشة وجيش الحبشة ليغزوا
قريشا ويهدم الكعبة فاربهم واخذ أبارعال
من الطايف دليلا الى مكة حتى انزله بالمغمس ومات
ابورعال بالمغمس فدفن فيه فرجمت العرب قبره
فهو القبر المرجوم بالمغمس وقال آخرون بل سببه
ان نفرا من تجار قريش مروا ببيعة للنصارى على
شاطئ البحر فنزلوا بفنائها واوقدوا نارا لعمل طعامهم
فاحترقت البيعة فاقسم النجاشي ليسيرن مكة
وليهدمن الكعبة فانفذ جيشه والفيل مع ابرهة
ابن الصباح وابن مكسوم ومحربن شراحيل والأسود
بن مقصود وكان النجاشي هو الملك وابرهة صاحب
جيشه على اليمن وابومكسوم وزيره ومجروالأسود
من قواده فساروا بالجيش مع الفيل حتى نزلوا بذى
المجاز وتقدمهم الأسود بن مقصود فاستاق سرح
مكة فقال فيه عبد الله بن مخزوم

لاهم اخزالأسود بن مقصود الآخذ الهجمة بعد التقليد
ويهدم البيت الحرام المعبود والمرو تين والمشاعر السود
اخزهم يارب وانت معبود

وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب وقد قلد بعضها
مخزم وكان وسيما جسيما الى ابرهة وسأله فى ابله
فقال له ابرهة قد كنت اعجبتنى حين رأيتك وقد زهدت

الآن فيك

الآن فيك قال ولم قال جئت لأهدم الكعبة بيتا
هو دينك و دين ابائك فلم تسألني فيه وسألتني
في ابلك فقال عبد المطلب انا رب ابلي وللبيت رب
غيري سيمنعه منك فقال ابرهة ما كان ليمنعه
مني ورد على عبد المطلب ابله مستهزئا ليعود فيأخذها
فأمرها عبد المطلب في جبال مكة وأتى الكعبة
فأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب ان المرء يمنع حله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ابدا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك
ان يسمع يا رجس من ارادوا العرو وانتكروا هلالك
جروا جميع بلادهم والفيل كي يبوا عيالك
عمدوا جمال بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك

فلما فعلت فأنت أعلم فامر بما بدا لك فعلك

وتوجه الجيش الى مكة من طريق منى والفيل معهم
اذا بعث على الحرم اجم واذا اعدل عنه اقدم فوقفوا
بالمغمس فقال ابو الطيب بن مسعود في ذلك وقيل
بل قاله عبد المطلب

ان ايات ربنا ساطعات ما يماري بهن الا الكفور بيانات
حبس الفيل بالمغمس حتى مربعوا كانه معقور

ونظر اهل مكة بالطير قد اقبلت من ناحية البحر
فقال عبد المطلب ان هذه غريبة بأرضنا ما هي

نحديه ولا تهامه ولا حماريه وانها لاشباه
البعاسيب وكان في مناقيرها وارجلها حجارة فلما
اطلت على القوم القرها عليهم حتى هلكوا فأفلت
من القوم ابرهة ورجع الى اليمن فمات في طريقه بعد
ان كان يسقط من جسده عضو عضو حتى هلك ولما
تأخر القوم عنهم واستعجم خبرهم عليهم فقال عبد المطلب

يارب لا يرجونهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا امنعهم ان يخربوا قراكا

وبعث ابنه عبد الله ليأتيه بخبرهم فوجد جميعهم
قد شدخهم الأحجار حتى هلكوا فعاد راكضا الى
عبد المطلب واصحابه فاخبره فبادر عبد المطلب
واصحابه واخذوا اموالهم فكانت اول اموال بني
عبد المطلب فانشأ مرتجزا يقول

انت منعت الجيش والافيالا وقد رعوا بمكة الاضيالا
وقد خشينا منهم القتالا وكل امر لهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

وايه الرسول من قصة الفيل انه كان في زمانه حملا
في بطن امه بمكة لأنه ولد بعد خمسين يوما من
الفيل وبعد موت ابيه في يوم الأثنين الثاني عشر
من شهر ربيع الأول ووافق من شهور الروم العشرين
من شباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز

ابن انوشروان وحكى ابو جعفر الطبرى ان مولده
كان لاثنين واربعين سنة من ملك انوشروان
فكانت آية فى ذلك من وجهين احدهما انهم لو
ظفروا لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله تعالى
لصيانة رسوله ان يجرى عليه السبى حملا ووليدا
والثانى انه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون
به دفع اصحاب الفيل عنهم وما هم اهل كتاب لأنهم
كانوا من بين عابد صنم او متدين وثن او قايل بالزندقة
ومانع من الرجعة ولكن لما اراده الله من ظهور ملة
الأسلام تاسيسا للنبوة وتعظيما للكعبة ان يجعلها
قبلة للصلوة ومنسكا للحج فأن قيل فكيف منع عن الكعبة
قبل مصيرها قبلة ومنسكا ولم يمنع الحجاج من هدمها
وقد صارت قبلة ومنسكا حتى احرقها ونصب المنجنيق
عليها فقال فيها على ما حكى عنه

كيف نرجوه سالما غباره والله فيما يرجو حاره

وقال رميها بالمنجنيق

فطاره مثل الفنيق المريد ارمى بها اعواد كل مسجد

قيل فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى
عن ايات تاسسه واصحاب الفيل كانوا قبل ظهور
النبوة فجعل المنع منها آية لتاسيس النبوة ومحى
الرسالة على ان الرسول قد انذر بهدمها فصار

الهدم اية بعد ان كان المنع آية فلذلك ما اختلف
حكمها في الحالين والله اعلم ولما انتشر في العرب
ما صنع الله بجيش الفيل نهبوا الحرم واعظموه وزادت
حرمته في النفوس ودانت لقريش بالطاعة وقالوا
اهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم فزادوهم
تشريفا وتعظيما وقامت قريش لهم بالوفادة
والسدانة والسقاية والوفادة مال تخرجه قريش
في كل عام من اموالهم يصنعون به طعاما للناس ايام
منى فصاروا ائمة وديانين وقادة متبوعين وصار اصحاب
الفيل مثلا في الغابرين وروى هشام بن محمد الكلبي
عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في
الجاهلية تاجرا الى الشام فمر بن نباع بن روح وكان
غشارا فانس اليه في اجتيازه واخذ مكسه فقال
عمر بعد انفصاله

متى الق زنباع بن روح ببلدة الى النصف منها يفرع السن بالندم
ويعلم انا من لوي بن غالب مطاعين في الهيجا مضاريب في الهام

فبلغ ذلك زنباعا فجهز جيشا لغزو مكة فقيل له انها
حرم الله ما ارادها احد بسوء الا هلك كاصحاب
الفيل فكف زنباع فقال

تمنى اخو فهر لقاي ودونه قراطبة مثل الليوث الخواطر
فوالله لولا الله لا شيء غيره وكعبته راقت اليكم معاشري

لافل فيكم

لافضل منكم كل كهل معمم واسمى نسابين جميع الاباعر

فبلغ ذلك عمر رضوان الله عليه فاجابه وقال

الم تران الله اهلك من بغى علينا قديما فى قديم المعاشر
وارمى اباكسوم ابرهة الذى اتانا مغيرا كالفنيق المحاضر
بجمع كثير يجزع العين وسطه على راسه تاج على راس ناكر
فمارعنا من ذلك العبد كيده وكنا له من بين لاه وساخر
وقال سأبنى البيت هدما ولا ارى بمكة ماش بين تلك المشاعر
فرده رب العرش عنا رداه ولم ينجه اعظامه بالمرابر
فاهلكه والتابعين له معا واسرته من ناصرين وسامر
وليس لنا فاعلم وليس لبيتنا سوى الله من مولى عزيز وناصر
فدونك وردانا فمن مثل الذى لقوا جميعهم من ذا يعين وصاهر

فكان شأن الفيل رادعا لكل باغ ودافعا لكل طاغ وقد عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل وطير الأبابيل منهم حكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى ونوفل بن معويه لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة منها ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الاسلام

فصل

ولما حملت آمنة بنت وهب برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت انها اتيت فقيل لها انك

قد حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع على الأرض فقولي
اعيذه بالواحد من كل شر كل حاسد ثم سميه
محمدا ورأت به حين حملت انه خرج منها نور رأت
منه قصور بصرى من ارض الشام قالت ام عثمان
ابن العاص شهدت ولادة امنة برسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان ليلا فما شيء انظر اليه من
البيت الا نور وانى انظر الى النجوم تدنو والى
اقول لتقعن علي ولما وضعته تركت عليه فى ليله
ولادته جفنة فانقلبت عنه فكان من اياته ان
لم تحوه وارسلت الى جده عبد المطلب قد ولد لك
غلام فأته فانظر اليه فأتاه ونظر اليه وحدثته
بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما امرت
ان تسميه فقبل ان عبد المطلب اخذه فدخل
به على هبل فى جوف الكعبة فقام عنده يدعوا
ويشكر بما اعطاه ثم خرج به الى امه فدفعه اليها
فقال قد رأى فيه سماة المجد وتوسم فيه امارات
السودد ان محمدا لن يموت حتى تسود العرب والعجم
والنساء يقول

الحمد لله الذى اعطانى ... هذا الغلام الطيب الاردان
اعيذه بالواحد المنان ... من كل ذى عيب وذى شنان
حتى اراه شامخ البنيان

فصل

ولم نزل موفور البركه على كل لابد به وكافل له
فراى جهم بن ابى الجهم عن عبد الله بن جعفر
قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدمت حليمة بنت الحرث مكة فى نسوة من بنى
سعد بن بكر ومعها زوجها الحرث بن عبد العزى
تلتمس الرضعا فى سنة شهبة قالت ومعنا شارف
لنا والله ما بيض لنا بعير بقطرة من لبن ومعى
بنى لى منه وما نجد فى ثدي ما نغلله به الا انا
نرجوا الغيث وكانت لنا غنم فنحن نرجوها فلما
قدمنا مكة لم يبق منا امرأة الا عرض عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبله
وكرهناه لينمه فاخذ كل صواحبى رضعا ولم اجد
غيره فاخذته وانيت به رحلى فوالله ان هو
الا ثبت فى الرحل واستيت فاقبل ثدياي باللبن
حتى اروبته واروبت اخاه وقام ابوه الى سارفنا
تلك ليمسه بيده فاذا هي حافل فحلبها ملهه
ما روانى من لبنها وروى الغلمان فقال ياحليمة
والله لقد اصبنا نسمة مباركة ثم اغتدينا
راجعين الى بلادنا فركبت اتانى وحملته معى فوالذى
نفس حليمة بيده لقد طفت بالركب حتى ان

النسوة ليقلن ياحليمة امسكي عنا هذه انا ابنك
الذي خرجت عليها قلت نعم فقلت والله انى لارجو
ان اكون قد حملت عليها غلاما مباركا قالت فكان
الله يزيد ابه فى كل يوم خيرا وان غنمنا لتعود
من الرعي بطانا خفلا وتعود غنم الناس جياعا
جياعا قالت فبينا هو يلعب خلف البيوت واخوه
فى بهم لهم اذا اتانى اخوه يشتد فقال ان اخى
القرشى جاءه رجلان عليهما ثوبان ابيضان
فأخذاه فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه
فوجدناه قائما قد امتقع لونه فلما رأنا أجهش
الينا باكيا قالت فالتزمته انا وابوه وقلنا له ما
مالك فقال جائنى رجلان فاضجعانى فشقا بطنى
وصنعا بى شيئا ثم رداه كما هو قال أنس بن
مالك جاء جبريل فصرعه فشق بطنه فاستخرج
بطنه القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة
فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله ثم لأمه
ثم اعاده مكانه قال انس قد كنت انظر الى اثر
المخيط فى صدره ثم ان زوج حليمة قال لها ياحليمة
لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب
فالحقيه بأهله قبل ان يظهر به ذلك فاحتملته
حليمة حتى قدمت به على امه امنة فقالت امه

ما اقدمك

ما افدمك به يا طهر قالت وقد قضيت الذى علي
وتخوفت الأحداث عليه فاديته اليك كما
تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقيني
فاخبرتها حليمة بحاله وقالت تخوفت عليه الشيطان
فقالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان
له لشانا وانى رأيت حين حملت به انه خرج
منى نور اضاءت منه قصور بصرى ووقع حين
ولدته وانه لواضع يده بالأرض رافعا راسه
الى السماء دعيه فانطلقى راشدة وفى هذا
الخبر من اياته ما تذعن النفوس بصحة نبوته

فصل

وروى محمد بن اسحق قال حدثنى بعض
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد
رايتنى وانا غلام يفعه بمكة مع غلمان قريش
نحمل حجارة على اعناقنا وقد حملنا ازرنا فوطانا
على رقابنا اذ دفعنى دافع ما اراه وقال اشدد
عليك ازارك فشددت ازارى وهذا من نذر
الصبانة ليكون عليها ناشيا ولها الفا

وروى علي بن ابى طالب عليه السلام قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت
بشيئ مما كان فى الجاهلية تعملون به غير مرتين

كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد فأني قلت
ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى
مكة لو ابصرت الى غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
ما يسمر الشباب فقال افعل فخرجت اريد ذلك
حتى اذا جئت اول دار من دور مكة
سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقلت ما هذا
قالوا فلان تزوج بن فلان تزوج فلانة ابنة
فلان فجلست انظر اليهم فضرب الله على اذني
فنمت فما ايقظني الا مس الشمس قال فجئت
صاحبي فقال ما فعلت فقلت ما صنعت شيئا
واخبرته الخبر قال ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك
فقال افعل فخرجت فسمعت حين اتيت حيث
مكة مثلما سمعت ودخلت مكة تلك الليلة
فجلست انظر فضرب الله على اذني فوالله ما ايقظني
الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فاخبرته
الخبر ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله
برسالته فهذه اول عصمة قبل الرسالة
وصده عن دنس الجهالة فاقتضى ان يكون بعد
الرسالة اعصم ومن الأناس اسلم وكفى
بهذه الحالة ان يكون من الأصفياء الخيرة أن
امهل ومن الأتقياء البررة ان اغفل ومن اكبر

الانبياء

الأنبياء عند الله من ارسل مستخلص الفطرة
ملي النظرة وقد ارسله الله بعد الاستخلاص
وطهره من الأدناس فانتفت عنه تهم الظنون
وسلم من ازدراء العيون ليكون الناس الى اجابته
اسرع والى الانقياد اليه اطوع فصل
ولما انشاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قريش على اجمل هدى وصيانه واكمل عفاف
وامانه سموه الأمين بعد اختياره وقدموه
لفضله ووقاره وتشاوروا في هدم الكعبة
وبنائها لقصر سمكها وكان فوق القامة وتشعث
حيطانها وكان يتهافت فاراد وا تجديدها
وتعليتها وخافوا من الأقدام على هدمها وكان
للكعبة كنز وجدوه عند دويل مولى لبني مليح
من خزاعة واخذته قريش منه وقطعت يده
وانهموا به الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
ان يكون قد تولى اخذه واودعه عند
دويل فنا فروه الى كاهنة من كهان العرب
فسجعت عليه من كهانتها ان لا يدخل مكة عشر
سنين بما استحل من حرمة الكعبة فكان يحول
حول مكة حتى حج حتى استوفى العشر وكان يظهر
في الكعبة حيه يخاف الناس منها لا يدنو امنها

احد الاخزالت وفتحت فاها فتوقوها الى أن
علت ذات يوم على جدار الكعبة فسقط طائر
فاختطفها فقالت قريش انا لنرجوا ان يكون
الله قد رضي ما اردنا وكان البحر قد قذف
سفينة على ساحل جدة لرجل من تجار الروم
وكان بمكة تجار من القبط فهيأ لهم تسقيف
الكعبة بحسب السقبه فلما أزمعوا على هدمها
قام ابو وهب بن عمير وكان خال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذا شرف وقدر فأخذ حجرا
من الكعبة فوثب الحجر من يده حتى عاد الى
موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها
من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها مهر بغي ولا بيع
ربا ولا مظلمة احد من الناس وتصورت قريش
ان عود الحجر من يد ابي وهب الى موضعه ان الله
تعالى قد كره هدمها فقال ابو وقال الوليد بن
المغيرة انا ابدأكم في هدمها فأخذ المعول وقام
عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم
الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا
ننتظر فان أصيب لم نهدم وان لم يصب
هدمناها وقد رضي ما صنعنا فاصبح الوليد من
ليلته وعاد الى عمله وتحاصت قريش الكعبة

فلما نشبت

فكان شق البيت لبني عبد مناف وزهرة وما
بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم
وتميم وقبايل انضمت اليه من قريش وكان
شق الحجر والحطيم لبني عبد الدار وبني عبد
العزى وبني عدي وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني
سهم حتى انتهوا الى الأساس فافضوا الى حجارة
حمر قيل انها كانت على قبر اسمعيل فضربوا
المعول بين حجرين فلما تحرك انتفضت مكة باسرها
فكفوا وانتهوا الى اصل الأساس وجمعت كل
قبيلة حجارة ما هدمت وبنوحتى انتهوا الى اصل
الأساس ركن الحجر فتنازعت القبايل فيمن يضع
الحجر في موضعه من الركن فاقتتلوا حتى مكثوا اربعة
ليال او خمسا ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا فقال
ابو امية بن المغيرة وكان امين قريش في وقته
يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه
اول رجل يدخل من باب هذا المسجد فكان
اول داخل عليهم منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا هذا محمد وهو الأمين فقالوا
قد رضينا به لما قد اسس في نفوسهم من
فضله وامانته فلما وصل اليهم اخبروه فقال
ائتوني بثوبا فاتوه بثوب فاخذ الحجر ووضعه

فيه بيده وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من
الثوب ولترفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغ الحجر الى
موضعه وضعه فيه بيده وكان هذا الفعل
من مستحسن افعاله واثاره والرضا به من امارات
طاعته وكان ذلك بعد عام الفجار بخمس عشرة
سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
ابن خمس وثلاثين سنة وكان ذلك تاسيسا
لما يريده الله تعالى به من كرامته وتوطية لقبول
ما تحمله من رسالته والله اعلم بغيب ما استأثر من علمه

الباب العشرون

في شرف اخلاقه وكمال فضايله

المهيا لأشرف الأخلاق واجمل الأفعال مؤهل
لأعلى لأعلى المنازل وافضل الأعمال لأنها اصول
تقود الى ما ناسبها ووافقها وتنفر مما باينها
وخالفها ولا منزلة في العالم اعلى من النبوة التي
هي سفاره بين الله وعباده تبعث على مصالح
الخلق وطاعة الخالق فكان افضل الخلق بها احض
واكملهم بشروطها احق بها واحس ولم يكن في
عصر الرسول وما دانا طرفيه من قاربه في فضله
ولا دانا ه في كماله خلقا وخلقا وقولا وفعلا
وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله وانك

لعلى خلق

لعلى خلق عظيم فان قيل فليست فضائله دليلا
على نبوته ولم يسمع بنبي احتج بها على امته ولا عول
عليها في قبول رسالته لانه قد يشارك فيها حتى يأتي
بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز انه نبي لا بالفضل قيل
الفضل من امارتها وان لم يكن من معجزاتها ولان تكامل
الفضل معلوم فصار كالمعجز ولان من كمال الفضل
اجتناب الكذب وليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل
الفضل فصار كمال الفضل موجبا للصدق والصدق موجبا
لقبول القول فجاز ان يكون من دلائل الرسل **فصل**
فاذا وضح هذا فالكمال المعتبر في البشر يكون من
اربعة اوجه احدها كمال الخلق والثاني كمال
الخلق والثالث فضائل الاقوال والرابع فضائل
الاعمال فاما الوجه الاول في كمال خلقه بعد
اعتدال صورته فيكون باربعة اوصاف احدها
السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية الى
التقديم والتسليم وكان اعظم مهاب في النفوس حتى
ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين انوه منع ارتياضهم
بصولة الاكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة فكان في
نفوسهم اهيب وفي اعينهم اعظم وان لم يتعاظم باهبة
ولم يتطاول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفا
وبالوطا معروفا **فصل**

والثانى الطلاقة الموجبة للأخلاص والمحبة
الباعثة على المصافاة والمودة وقد كان محبوبًا
ولقد استحكمت محبة طلاقته فى النفوس حتى لم
يقله مصاحب ولا تباعد منه مقارب وكان
احب الى اصحابه من الأباء والأبناء وشرب
البارد على الظماء فصل و
والثالث حسن القبول الجاذب لمحاليله القلوب حتى
تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول
منظره مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت
مصاحبته فى النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا
استوحش منه مباعد الا من ساقه الحسد الى
شقوته وقاده الحرمان الى مخالفته فصل
والرابع ميل النفوس الى متابعته وانقيادها الى
لموافقته وثباتها على شدايده ومصابرته فما
شذ عنه معها من لخلص ولا ند عنه فيها من
تخصص وهذه الأربعة من دواعى السعاده
وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكمل لما يوازنها
واستحق ما يقتضيها فصل و
واما الوجه الثانى فى كمال اخلاقه فيكون بست
خصال احداهن رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق
فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه

وصوابه

وصواب تدبره وحسن تألفه وانه ما استقفل
فى مكيدة ولا استعجز فى شديدة بل كان يلحظ
الأعجاز فى المبادى فيكشف غيوبها ويجل خطوبها
وهذا لا ينتظم الا باصدق وهم واوضح حزم
والخصلة الثانية ثباته فى الشدايد وهو مطلوب
وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب
ونفسه فى اختلاف الأحوال ساكنة لا يجوز فى شديدة
ولا يستكين لعظيمة او كبيرة ويقدر على الخلاص او
يباشر وهو لا يزداد الا اشتدادا وصبرا وقد لقى
بمكة من قريش ما يشيب النواصى ويهد الصياصى
وهو مع الضعف يصابر صبر المستقلى ويثبت ثبات
المستولى وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن
أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لقد اخفت فى الله وما يخاف احد ولقد أوذيت
فى الله وما يوذى احد ولقد اتت على ثلثون
من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله
ذو كبد الا شىء يواريه ابط بلال وروى عبد
الرحمن بن زيد عن عايشة رضى الله عنها قالت
ما شبع آل محمد من الشعير يومين حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن صبر على هذه
الشدايد فى الدعا الى الله تعالى امتنع ان يريد

به الدنيا وقد زويت عنه وما ذاك الا لطلب
الآخرة ومستحيل ممن كذب فى ادعايه اليها ان
يستوحشها او كذب على الله ان يثاب بها فصل
والخصلة الثالثة زهده فى الدنيا واعراضه
عنها وقناعته بالبلغة منها فلم يمل الى غضارتها
ولم يله لحلاوتها روى سفين الثورى عن حبيب
ابن ابى ثابت عن خثيمة بن عبد الرحمن قال قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اعطيت
خزائن الأرض ما لم يعطه احدا قبلك ولا يعطاه
احد بعدك ولا ينقصك فى الآخرة شيئ قال
اجمعوها لى فى الآخرة فنزلت تبارك الذى ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها
الأنهار ويجعل لك قصورا وروى هلال بن ابى
حباب عن عكرمة عن بن عباس رضى الله عنه
ان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه دخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير
قد اثر فى جسمه فقال له يا رسول الله لو اتخذت
فراشا اوطى من هذا فقال مالى وللدنيا مالى
وللدنيا مالى وللدنيا والذى نفسى بيده ما مثلى
ومثل الدنيا الا كراكب سار فى يوم صايف فاستظل
تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها

وروى حميد بن بلال بن ابي بردة قال اخرجت
الينا عايشة رضي الله عنها كسا ملبدا
وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم في هذين هذا وقد ملك من اقصى
الحجاز الى عدار العراق ومن اوصى اليمن الى شجر
عمان وهو از هد الناس فيما يقتنى ويدخر
واعرضهم عما يستفاد ويحتكر لم يخلف عينا ولا
ذينا ولا حفر نهرا ولا شيد قصرا ولم يورث
ولده واهله متاعا ولا مالا ليصرفهم عن الرغبة
في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله
في الزهد فيها فروى ابو سلمة عن ابي هريرة
قال جاءت فاطمة عليها السلام الى ابي بكر رضي الله
عنه تريد الميراث فمنعها فقالت من يرثك
قال ولدي واهلي فقالت فلا ترث رسول الله
بنته فقال ابو بكر رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انا لا نورث
ما تركنا فهو صدقة فمن كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعوله فأنا اعوله ومن كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينفق عليه فانا انفق
عليه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الزهد في الدنيا والاعراض عن التلبس بها ليكون

عونا على السلامة من نزغاتها وصرف النفوس عن
شهواتها وروى عبد المطلب بن حنطب عن ابى
موسى الأشعرى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من احب دنياه أضر بأخرته فاثروا
ما يبقى على ما يفنى وروى عوف عن الحسن قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا
رأس كل خطيئة وروى ابو حكيم عن ابى الدرداء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا
الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وروى
عمرو بن مرة عن ابى جعفر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا محبا كل العجب للمصدق بدار
الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى عوف عن
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما مثل الدنيا كمثل الماشى على الماء هل يستطيع
الذى يمشى على الماء ان لا تبتل قدماه وهذه
الدواعى والوصايا ما اقتضى ما اقتدى به خلفاه فى
زهده واستقلوا بالأمور من بعده فكان أبو
بكر يخلل عباءة له وهو خليفة فسمى ذا الخلالين
وكان عمر يلبس مرقعة من صوف فيها رقاع من
أدم ويطوف فى الأسواق على عاتقه درة يؤدب
بها الناس ويمر بالنوى فيلقطه ويلقيه فى منازل

الناس حتى

الناس حتى ينتفعوا به ويطوف وحده في الليل
عسسا ويتطلع عوامض الأمور تجسسا ليأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر وكان عثمان يقوم الليل
كله يختم القرآن في ركعة وجاد بماله وفدا الخلق
بنفسه وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واشرب
كما يشرب العبد واشترى علي عليه السلام وهو
خليفة قميصا بثلثة دراهم وقطع كمه من موضع
الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه
ولم يزل يأكل الجشب ويلبس الخشن ويفرق الأموال
حتى رمى بيت المال ونام فيه وقال يا صفرا بيضا
غري غيري وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه
الزهادة حتى اجتذب اصحابه اليها ان لا يتهم
بطلبها ويكذب على الله في ادعاء الآخرة بها
ويقنع في العاجل وقد سلب الآجل بالميسور
الزر ورضي بالعيش الكدر وقد روى الزهري
عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في شهر
رمضان قدمي غداك المبارك وقالت بما لم يكن
الا شريتين وروى عبد الله بن سلمة عن مالك
ابن انس انه بلغه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد فوجد ابا بكر وعمر عليهما

السلام فسألهما فقال ما اخرجكما فقالا اخرجنا الجوع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اخرجني
الجوع فذهبوا الى ابى الهيثم بن التيهان فأمر له بما
بحنطة او شعير عنده يعمل وقام فذبح لهم شاة
فقال له بلك عن ذات الدر واستعذب لهم ماء
علق على نخلة ثم اوتوا بذلك الطعام فاكلوا من
منه وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لتسئلن عن نعيم هذا اليوم ثم
ملكوا الدنيا فرفضوها واقتنعوا بالبلغة فيها **فصل**
والخصلة الرابعة تواضعه للناس وهم أتباع
وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشى فى الأسواق
ويجلس على التراب ويمتزج باصحابه وجلسائه
فلا يتميز عنهم الا باطراقه وحيائه فصار بالتواضع
متميزا وبالتذلل متعززا ولقد دخل عليه بعض
الأعراب فارتاع من هيبته فقال خفض عليك
فانما انا ابن امراة كانت تاكل القديد بمكة وهذا
من شرف اخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة
فطر عليها وجبلة طبع بها لم تتدرب فتعد ولم
تحصر فتعد **فصل** في
والخصلة الخامسة حلمه ووقاره عن طيش يهزه
او خرق يستفزه فقد كان احلم فى النفار من كل

حليم واسلم في الخصام من كل سليم وقد مني بجفوة
الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفر عليه
بادرة ولا حليم غيره الا ذو عثره ولا وقور سواه
الا ذو هفوه فان الله تعالى عصمه من نزغ الهوى
وطيش القدرة بهفوه او عثرة ليكون بأمته
رؤفا وعلى الحق عطوفا فدتنا ولته قريش بكل
كبيرة وقصدته بكل حزبرة وهو صبور عليهم
ومعرض عنهم وما نفرد بذلك سفاها وهم دون
حلما لهم ولا اراذلهم دون عظما انهم بل تما لأعلبه
الجلة والدون فكلما كانوا عليه الأمم والحي كان عنهم
اعرض واصفح قد قهر فعفا وقدر فغفر وقال
لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا اليه
ما ظنكم بي قالوا ابن عم كريم فأن تعف فذاك الظن
بك وان تنتقم فقد اسأنا فقال بل اقول كما
قال يوسف لأخوته لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال صلى الله
عليه وسلم اللهم قد اذقت اول قريش نكالا فاذق
آخرهم نوالا وأتته هند بنت عتبة وقد نقرت
بطن عمه حمزه ولاكت كبده فصفح عنها واعطاها
يده لبيعتها فان قيل فقد ضرب رقاب بني قريظة
صبرا في يوم احد وهم نحو سبعمائة فأين موضع

العفو والصفح وقد انتقم من لم يعطفه
عليهم رحمة ولا داخلته لهم رقة قيل انما فعل
ذلك في حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة
رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم ان من
جرت عليه المواسي قتل ومن لم تجر عليه
استرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا حكم الله فوق سبعة ارفعه فلم يجز ان
يعفو عن حقه حق وجب لله تعالى عليهم وانما
يختص عفوه بحق نفسه فصل في
والخصلة السادسة حفظه للعهد ووفاؤه
بالوعد فانه ما نقض لمحافظ عهدا ولا أخلف
لمراقب وعدا يرى العذر من كبائر الذنوب والاخلاف
من مساوئ الشيم ويلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب
فيهما الأصعب حفظا لعهده ووفاء بوعده
حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله له
مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير
وكفعل قريش بصلح الحديبية فجعل الله له في
نكثهم الخيرة فهذه ست خصال تكاملت في
خلقه فضله الله بها على جميع خلقه فصل
واما الوجه الثالث في فضايل اقواله فمعتبر
بثمان خصال احداهن ما اوتي من الحكمة البالغة

واعطي من

واعطي من العلوم الجمة الباهرة وهو امي من امة
امية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالما
ولا معلما فأتى بما بهر العقول واذهل الفطن
من اتقان ما ابان واحكام ما اظهر فلم يعترفيه
بذلك في قول او عمل وجعل مدار شرعه على
اربعة احاديث اوجز بها المراد واحكم بها الاجتهاد
احدها قوله انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ
ما نوى والثاني قوله الحلال بين والحرام بين
وبين ذلك امور مشتبهات ومن يحم حول الحما
يوشك ان يقع فيه والثالث قوله من حسن
اسلام المرء تركه مالا يعنيه والرابع قوله دع
ما يريبك الى مالا يريبك وقد شرع من تقدم
من حكماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على
التدين بها حين علموا انه لا صلاح للعالم الا بدين
ينقادون له ويعملون به فما راق لها اثر ولا فاق
لها خبر وهم ينبوع الحكم واعيان الأمم وما هذه
العظمة في الرسول الا من صفاء جوهره وخلوص
مخبره فصل والخصلة
الثانية حفظه لما اطلعه الله عليه من قصص
الأنبياء مع الأمم واخبار العالم في الزمن الأقدم حتى
لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه

منها قليل ولا كثير وهو لا يضطها بكتابه بيده ولا يحفظها
بعين تحرسه وما ذاك الا من ذهن صحيح وصدر
فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آلة ما استودع
من الرسالة وحمل من اعباء النبوة فجدير ان يكون
بها مبعوثا وعلى القيام بها محتوما فصل
والخصلة الثالثة احكامه ما شرع باظهر دليل
وبيانه باوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول
ولا دخل فيه ما تدفعه العقول ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصرت
لي الحكمة اختصارا لانه نبيه بالقليل على الكثير فكف
عن الاطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك
الا وهو عليه معان واليه مقاد فصل
والخصلة الرابعة ما امر به من محاسن الأخلاق
ودعا اليه من مستحسن الآداب وحث عليه من
صلة الأرحام وندب اليه من التعطف على الضعفا
والأيتام ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد
وكف عنه من التقاطع والتباعد فقال لا تقاطعوا
ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا
لتكون الفضايل فيهم اكثر ومحاسن الأخلاق
بينهم انشر ومستحسن الآداب عليهم اظهر وتكون
الى الخير اسرع ومن الشر امنع فيتحقق فيهم قول

الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر فلزموا اوامره واتقوا
زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم و دنياهم حتى
عز بهم الاسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك
بعد عزه وصاروا ائمة ابرارا وقادة اخيارا

فصل

والخصلة الخامسة وضوح جوابه اذا سئل وظهور
حجاجه اذا جودل لا يحصره عي ولا يقطعه عجز ولا
يعارضه خصم في جدال الا كان جوابه اوضح
وحجاجه ارجح اتاه ابي بن خلف الجمحي بعظم نخر
من المقابر قد صار رميما ففركه حتى صار كالرماد
ثم قال يا محمد انت تزعم انا وابانا نعود الى اذا صرنا
هكذا لقد قلت قولا عظيما ما سمعناه من غيرك
من يحيي العظام وهي رميم فانطق الله تعالى
رسوله ببرهان نبوته فقال يحييها الذي انشأها
اول مرة وهو بكل خلق عليم فانصرف مبهوتا ولم
يحر جوابا ولما قال لاعدوى ولا طيرة قال له رجل
يا رسول الله انا نرى النقبة من الجرب في مشفر
البعير فيجد وسائره قال فمن اعدى الاول
فأسكته

فصل

والخصلة السادسة انه محفوظ اللسان من تحريف

فى قول واسترسال فى خبر يكون الى الكذب منسوبا
وللصدق مجانبا فانه لم يزل مشهورا بالصدق فى
خبره ناشيا وكبيرا حتى صار بالصدق مرقوما
وبالأمانة مرسوما وكانت قريش باسرها تتيقن
صدقه قبل استدعائهم الى الأسلام فجهروا بتكذيبه
فى استدعائهم اليه فمنهم من كذبه حسدا ومنهم
من كذبه عنادا ومنهم من كذبه نادرة فى غير الرسالة
الرسالة فجعلوها دليلا على تكذيبه فى الرسالة ومن
لزم الصدق فى صغره كان له فى الكبر الزم ومن عصم
منه فى حق نفسه كان فى حقوق الله اعصم وبك
بهذا دفعا لجاحد ورد المعاند

ان يكون نبيا او رسولا ولو صغيرا عليه كذبه ٧

فصل

والخصلة السابعة تحرير كلامه فى التوخى به ابان
حاجته والأقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل
فيه هذرا ولا يحجم عنه حصرا وهو فيما عدا حالتى
الحاجة والكفاية اجمل الناس صمتا واحسنهم
سمتا ولذلك حفظ كلامه حتى لم يحل وظهر كالسبك
رونقه حتى لم يعتل واستعذبته الأفواه حتى
بقى محفوظا فى القلوب مدونا فى الكتب فلن يسلم
الاكثار من زلل ولا الهذر من ملل اكثر اعرابى عنده
الكلام فقال يا اعرابى كم دون لسانك من حجاب قال
شفتاى واسنانى فقال صلى الله عليه وسلم ان الله

يكره

مكره الأسماق في الكلام فحضر الله امرئ قصر من
لسانه واقتصر على حاجته **فصل**
والخصلة الثامنة انه افصح الناس لسانا واوضحهم
بيانا واوجزهم كلاما واجزلهم الفاظا واصحهم معاني
لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف
وقال صلى الله عليه وسلم ابغضكم الى الثرثارون
المتفيهقون وقال اياي والتشادق ولما نزل عليه قوله
تعالى في بيوت أذن الله ان ترفع فيها اسمه بنا
مسجد قبا فحضر عبد الله بن رواحه فقال يارسول
الله قد افلح من بنا مسجد المساجد قال نعم يابن
رواحه قال ولم يبب لله الا ساجدا قال يابن رواحه
كف عن السجع فما اعطي عبد شيئا شرا من طلاقة
في لسانه **فصل**
ومن كلامه الذي لا يشاكل في ايجازه قوله صلى الله عليه
وسلم الناس بزمانهم اشبه وقوله ماهلك امرئ
عرف قدره وقوله لو تكاشفتم ما تدافنتم وقوله السعيد
من وعظ بغيره وقوله حبك للشئ يعمي ويصم
وقوله العقل الوف مالوف وقوله العدة عطية
وقوله اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع
وقوله افضل الصدقة جهد المقل وقوله اليد العليا
خير من اليد السفلى وقوله ترك الشر صدقة

قال وصلى فيها قائما وقاعدا قال
نعم يابن رواحة

وقوله الخير كثير وقليل فاعله وقوله الناس كمعادن
الذهب وقوله نزلت المعونة على قدر المؤونة
وقوله اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من
نفسه وقوله أدّ الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن
من خانك وقوله المؤمن غرّ كريم والفاجر خب لئيم
وقوله الدنيا سجن المؤمن وبلاؤه وجنة الكافر
ورخاؤه

فصل

ومن كلامه الذى لا يشاكل فى فصاحته قوله صلى
الله عليه وسلم اياكم والمثارة فانها تميت الغرة وتحيى
الغرة وقوله لا تزال امتى بخير ما لم تر الأمانة
مغنما والصدقة مغرما وقوله رحم الله عبدا قال
خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اللهم انى اعوذ
بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع
ودعاء لا يسمع هل يتوقع احدكم الا غنا مطغيا وفقرا
منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او الدجال
فهو شر غايب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر
وقوله ثلث منجيات وثلث مهلكات فاما المنجيات فخشية
الله تعالى فى السر والعلانية والاقتصاد فى الغنى
والفقر والحكم بالعدل فى الرضا والغضب واما
المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء
بنفسه وقوله تقبلوا لى بست اتقبل لكم بالجنة

قالوا وما هى

قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث احدكم
فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن
غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم وقوله
في بعض خطبه الا وان الايام تطوى والاعمار تفنى
والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان
تراكض البريد بقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد
وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب
في الباقيات الصالحات وقوله في بعض خطبه وقد خاف
من اصحابه فترة ايها الناس كأن الموت فيها على
غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب
وكأن الذي نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا
راجعون نبوئ احداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم
قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة طوبى لمن
شغلته آخرته عن دنياه طوبى لمن شغله عيبه عن
عيوب الناس وهذا يسير من كثير لا يأتي عليه
احصاء ولا يبلغه استقصاء وانما ذكرنا مثالا ليعلم
ان كلامه جامع لشروط البلاغة ومعرب عن نهج
الفصاحة ولو من في بغيره لتميز باسلوبه ولظهر
فيه اثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله ولبان
صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطيا للبلاغة
ولا مخالطا لأهلها من خطباء او شعراء او فصحاء

وانما هو من غرايز فطرته وبداية جبلته وماذاك
الا لغاية تراد وحادثة تنشاد فان قيل اذا كان
كلامه مخالفا لكلام غيره في البلاغة والفصاحة حتى
لم يكن فيه مساجلا ايكون له معجزا قيل له لو كان
هو الذي هكذا وتحداه به صار معجزا ولا يكون مع عدم
التحدي معجزا

فصل

واما الوجه الرابع في فضايل افعاله فمختبر بتمان
خصال احديهن حسن سيرته وصحة سياسته
في دين ابتكر شرعه حتى استقر وتدبير احسن
وضعه حتى استمر نقل بها الأمة عن مألوف الى غير
مألوف وصرفهم به عن معروف الى غير معروف
فاذعنت به النفوس طوعا وانقادت خوفا وطمعا
وبشديد عادة منتزعه الا لمن كان مع التأييد
الألهي معانا بحزم صايب وعزم ثاقب ولئن كان
مأمورا بما شرح فهي الحجة القاهرة ولئن كان
مجتهدا فيها فهي الأية الباهرة وحسبك بما
استقرت قواعده على الأبد حتى انتقل عن سلف
الى خلف يزداد فيهم حلاوته ويشتد فيهم حدته
ويرونه نظاما لأعصار تتقلب صروفها وتختلف
مألوفها ان يكون لمن قام به برهانا ولمن ارتاب
به بيانا

فصل

والفضلة

والخصلة الثانية ان جمع بين رغبة من استمال
ورهبة من استطال حتى اجتمع الفريقان على
نصرته وقاموا بحقوق دعوته رهبانا في عاجل وآجل
ورهبا من زايل ونازل لاختلاف الشيم والطبايع
في الانقياد الذي لا ينتظم باحدهما ولا يستديم
الا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقرا والصلاح
بهما مستمرا

فصل

والخصلة الثالثة انه عدل فيما شرعه من الدين
عن غلو النصارى في التشديد وعن تقصير اليهود
في التقصير الى التوسط بينهما وخير الامور اوساطها
لأنه العدل بين طرفي شرف وتقصير فليس لما
جاوز العدل حظ من رشد ولا نصيب من سداد
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين
فاوغلوا فيه برفق فشر السير الحقحقة وأن
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقا

فصل

والخصلة الرابعة انه لم يمل باصحابه الى الدنيا
كما رغبت اليهود ولا الى رفضها كما رهبت النصارى
وامرهم فيها بالاعتدال ان يطلبوا فيها قدر الكفاية
ويعدلوا عن احتجان واستزادة وقال لاصحابه
خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه
ولكن خيركم من لحذ من هذه وهذه وهذا

صحيح لأن الأنقطاع الى احدهما اخلال والجمع بينهما
اعتدال وقال صلى الله عليه وسلم نعم المطية
الدنيا فاركبوها تبلغكم الآخرة وانما كان كذلك لأن
منها يتزود لآخرته ويستكثر فيها من طاعته ولأنه
لايخلو تاركها من ان يكون محروما مضاعا او مرحوما
مراعا وهو في الأول كل وفي الثاني مستذل اثنى
على رجل بخير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يارسول الله كنا اذا ركبنا لايزال يذكر الله
تعالى حتى ننزل واذا نزلنا لايزال يصلي حتى نرفع
فقال فمن كان يكفيه علف بعيره واصلاح طعامه
قالوا كلنا قال فكلكم خير منه **فصل**
والخصلة الخامسة تصديه لمعالم الدين ونوازل
الأحكام حتى اوضح للأمة ما كلفوه من العبادات
وبين لهم ماحل ويحرم من مباحات ومحظورات وفصل
لهم مايجوز ويمتنع من عقود مناكح ومعاملات حتى
اصاغ اليهود والنصارى في كثير من معاملاتهم
ومواريثهم الى شرعه ولم يحتج شرعه الى شرع
غيره ثم مهد لشرعه اصولا تدل على الحوادث
المغفلة واستنبط الأحكام المعللة فاغنى عن نص
بعد ارتفاعه وعن التباس بعد اعماله ثم امره
الشاهد ان يبلغ الغايب ليعمر باذاره ويحج باظهاره

فقال صلى الله

فقال صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولا تكذبوا
علي فرب مبلغ اوعى من سامع ورب حامل فقه
الى من هو افقه منه فاحكم ما شرع من نص وتبسه
وعم بما امر من حاضر وبعيد حتى صار لما يحمله من الشرع
مؤديا ولما تقلده من حقوق الأمة موفيا لئلا يكون
في حقوق الله زلل ولا في مصالح الأمة خلل وذلك
في برهة من زمانه لم يستوف تطاول الأستيعاب حتى
أوجز وأعجز وعاد ال الابديع معجز **فصل**
والخصلة السادسة انتصابه لجهاد الأعداء وقد
احاطوا بجهاته واحدقوا بحنباته وهو في قطب مدور
وعدد محصور فزاد به من قل وعزبه من ذل وصار
باتخانه بالأعداء محذورا محذورا وبالرعب منه
منصورا مجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر
وانتشر وبين الأنتصاب لجهاد العدو حتى قهر
وانتصر والجمع بينهما معوذ الا من امده الله تعالى
بعونه وايده بلطفه والمعوذ معجز **فصل**
والخصلة السابعة ما خص به من الشجاعة في
حروبه والنجدة في مصابرة عدوه فأنه لم يشهد
حربا في قراع الاصابر حتى انجلت عن ظفر او دفاع
وهو في موقفه لم يزل عنه حربا ولا حار فيه
رعبا بل ثبت بقلب آمن وجاش ساكن قد ولي

عنه اصحابه يوم حنين حتى بقي بازاء جمع كثير وجم
غفير في تسعة من اهل بيته واصحابه على بغلته
مسبوقة ان طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو
ينادي اصحابه ويظهر نفسه ويقول الى عباد الله
انا النبي لا كذب انا ابن عم المطلب فعادوا اشدادا
وارسالا وهوازن تراه وتحمم فما هاب حرب من كاثره
ولا انكفا من مطاولة من صابرة وقد عضده الله
باجلاد انجاد فاخازوا وصبر حتى امده الله تعالى
بنصره وما لهذه الشجاعة من عديل ولقد طرق
اهل المدينة فزع فانطلق الناس نحو الصوت فوجدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم
اليه فتلقوه عائدا على فرس عرى لابي طلحة
الانصاري وعليه السيف وجعل يقول ايها الناس
لم تراعوا لم تراعوا ثم قال لابي طلحة انا وجدناه
بحرا وكان الفرس يبطئ فما سبقه فرس بعد
ذلك وماذا الذي اعن ثقة من ان الله تعالى
سينصره وان دينه سيظهره تحقيقا لقوله ليظهره
على الدين كله وتصديقا لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها وكفى بهذا قياما بحقه وشاهدا على

صدقه

فصل

صدقه
والخصلة الثامنة ما مزج من السخاء والجود حتى
جاد بكل موجود واترك كل مغلوب ومحبوب ومات
ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير
لطعام اهله وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها
ملوك وقبايل لهم خزاين واموال يعشونها دخرا
وبيتا هون فيها فخرا ويستمنعون بها استرا وبطرا
وقد حاز ممالیك جميعهم فما افنى دينارا ولا درهما
لا ياكل الا الجشب ولا يلبس الا الخشن ويعطي الجزل
الخطير ويصل الجم الغفير ويجرع مرارة الأقلال
ويصبر على شعث الأختلال وقد حاز غنايم هوازن
وهي من السبي ستة الف راس ومن الأبل اربعة
وعشرون الف بعيرا ومن الغنم اربعون الف
شاة ومن الفضة اربعة الاف اوقيه فجاد بجميع
حقه وعاد خلوا وروى ابو وايل عن مسروق عن
عايشة رضي الله عنها قالت ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة
ولا بعيرا ولا اوصى بشيئ وروى عمرو بن مرة عن
سويد بن الحرث عن ابى ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يسرني ان لى احدا ذهبا
انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت وعندى منه

دينارا الا ان اعده لغريم وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سئل وهو معدم وعد ولم يرد
وانتظر ما يفتح الله فروى حماد بن زيد عن يعلى
ابن زياد عن الحسن ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فسأله فقال اجلس سيرزقك
الله ثم جاء آخر ثم اخى فقال لهم اجلسوا فجاء رجل
باربع اواق فاعطاه اياها وقال يا رسول الله هذه
صدقه فدعا النبي الأول فاعطاه اوقية ثم دعا
الثانى فأعطاه اوقية ثم دعا الثالث فاعطاه اوقية
وبقيت معه اوقية واحده فعرض بها للقوم فما
قام احد فلما كان الليل وضعها تحت راسه وفراشه
عباة فجعل لا يأخذه النوم فيرجع فيصلى فقالت
له عائشة رضوان الله عليها ما لك شيئ قال لا
قالت فجاءك امر من الله قال لا قالت انك صنعت
منذ الليلة شيئا لم تكن تفعله واخرجها وقال هذه
التى فعلت بى ما ترين انى خشيت ان يحدث امر من
الله ولم امضها وروى الزهرى عن ابى سلمة عن
ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا
اولى بالمومنين من انفسهم فمن ترك دينا فعلى ومن
ترك مالا فلورثته فهل مثل هذا الكرم والجود كرما
وجودا ام هل لمثل هذا الأعراض والزهادة

اعراضا

اعراضا وزهدا هيهات هيهات ان يترك شيئا
ومن هذا شذوره من فضائله ويسير من محاسنه
التي لا يحصى لها عدد ولا يدرك لها امد لم تكمل
في غيره فتساويه ولا كذب بها فتدانيه
ولقد جهد كل منافق ومعاند وكل زنديق
وملحد ان يزري عليه في قول او فعل او يظفر
بهفوة في جد او هزل فلم يجد اليه سبيلا
وقد جهد جهده وجمع كيده فأي فضل اعظم
من فضل تتاهته الحسده والاعداء فلم يجدوا
فيه مغمز الثالب او قادح ولا مطعنا الجارح او فاضح
فهو كما قال الشاعر

ستشهد الأيام بفضله حتى العدى والفضل ما شهدت به الأعداء

وحقيق بمن بلغ من الفضائل غايتها واستكمل لغاياتها
الأمور التها ان يكون لزعامة العالم مؤهلا وللقيام
بمصالح الخلق مؤملا ولا غاية لبشر بعد النبوة
ان يعمر به صلاح او يبخسم به فساد فاقتضى ان
يكون لها اهلا وللقيام بها مؤهلا ولذلك
ما استقرت به حين بعث رسولا ونهض بحقوقها
حين قام بها كفيلا فناشبها وناشبته ولم يذهل
لها حين ابته فكل متناسبين متشاكلان
وكل متشاكلين متآلفان مؤتلفان وكل مؤتلفين

متفقان والأتفاق وفاق هو اصل كل انتظام
وقاعدة كل التئام فكان ذلك من اوضح الشواهد
على صحة نبوته واظهر الأمارات فى صدق
رسالته فما ينكرها بعد الوضوح الا مفضوح
فالحمد لله الذى وفق لطاعته وهدى الى
التصديق برسالته

الباب الحادى والعشرون

فى مبتدأ بعثته واستقرار نبوته

جعل الله لكل مقدور من الأمور اذا دنى نذيرا
وبشيرا يظهر بهما مبادئ ما أخفاه ويشعره
بحلول ما قدره وقضاه لتكون نقذيرا وتحذيرا
يستيقظ بهما العقول ويزدجر بهما الجهول لطفا
بعباده من فجاءة الأمور المذهلة ان تصدم
ببوادر لا تستدرك لتكون النفوس فى مهله من
استدفاع خطبها وحل صعبها ولما دنا مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة رسولا
والى الخلق بشيرا ونذيرا انتشر فى الأمم ان الله
تعالى سيبعث نبيا فى هذا الزمان وان ظهوره قد
قرب وان كانت كل أمة لها كتاب تعرف ذلك
من كتابها والتى لا كتاب لها ترى من الأيات المنذرة
ما يستدل عليه بعقولها وتتنبه عليه بهو لجس

فطرها

فطرها الها ما اعان به الفطن اللبيب وانذر به
الحازم الأريب هذا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم غافل عنها وغير عالم انه مراد بها ومؤهل
لها لم يشعر بها حتى نودي ولا يحققها حتى نوحي
ليكون ابعد من التهمة واسلم من الظنة
فيكون ذلك برهانه اظهر وحجاجه اقهر وكان
مع تميزه عن قومه بشرف اخلاقه وكرم طباعه لم
يعبد معهم صنما ولا عظم وثنا وكان متدينا
بعزائض العقول في قول جميع الفقهاء والمتكلمين
من توحيد الله تعالى وقدمه وحدوث العالم وفنائه
وشكر المنعم وتحريم الظلم ووجوب الانصاف وأداء
الأمانة واختلف اهل العلم هل كان قبل مبعثه
متعبدا بشريعة من تقدمه من الأنبياء فذهب
اكثر المتكلمين وبعض الفقهاء من اصحاب الشافعي
وابي حنيفة الى انه لم يكن متعبدا بشيء من الشرائع
لأنه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل بها ولو عمل بها لظهر
ذلك منه ولو ظهر منه لاتبعه فيها الموافق ونازعه
فيها المخالف وذهب بعض المتكلمين واكثر الفقهاء
من اصحاب الشافعي وابي حنيفة الى انه كان متعبدا
بشريعة من تقدمه من الأنبياء لأنهم دعوا الى
شرائعهم من عاصرهم ومن يأتي بعدهم ما لم ينسخ

بنبوة حادثة فدخل الرسول في عموم الدعا قبل
مبعثه لأن الله تعالى لا يخلي زمانا من شرع
متبوع ولا مستدينا به من تعبد مسموع واختلف
من قال بهذا فيما كان متعبدا به من الشرائع
المتقدمة فذهب بعضهم الى انه كان متعبدا به
من الشرائع المتقدمة وذهب بعضهم الى انه كان
متعبدا بشريعة جده ابراهيم الا من سفه نفسه
ولأنه كان متعبدا بشريعة موسى عليه السلام
فيما لم تنسخه شريعة عيسى عليه السلام لظهور
شريعته في التوراة ودروس ما تقدمها من الشرائع
مع قول الله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى
ونور وذهب آخرون الى انه كان متعبدا بشريعة
عيسى عليه السلام لأنها كانت ناسخة لشريعة
موسى عليه السلام فلم يقل مبعثه من خرج
في دينه وقدح في نفسه وهذا من امارات الاصطفاء
ومقدمات الاجتباء

فصل

ولما جد الأمر في النبوة ودنا وقتها حبب الله تعالى
الرسول الخلا بعد اربعين سنة من عمره حين تكامل
نهاه واشتد قواه ليكون مهيأ لما قدر له ومتاهبا
لما اريد به فكان يتخلى في غار بحرا في ذوات العدد
من الليالي وقيل شهرا في السنة على عادة كانت

لقريش في

لقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولانه كان له في الحج والعمرة على ما ذكر * وذهب آخرون الى انه كان متعبدا

تعريشي في البر بالمجاورة بحرا ويعود الى اهله الى ان
استدام الخلا في الغار لما اراده الله تعالى به فكان
يؤتى بطعامه وشرابه فيأكل منه ويطعم المساكين
برهة من زمانه وهو غافل عن النبوة وان كان
في الناس موهوما وعند اهل الكتب معلوما ليكون
ابتكارا لبديهة بها ما نفاما من التصنع فلا ينسب الى
اختراعها ولو تصنع واخترع لظهرت اسبابهما ونمت
شواهدهما ولم يخف على من عاداه ان يتداوله وعلى
من والاه ان يتاوله وحسبك بهذا وضوحا أن
يكون بعيدا من التهمة سليما من الظنة فيهما
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلوته
الى ان اظهر الله تعالى له امارات نبوته فأيقظه
بها بعد الغفلة وبشره بها بعد المهلة ثم بعثه
بها رسولا بعد البشرى على تدريج تربيب فيها
احواله ليستوطأ لتحمل اثقالها ويعلم لوازم حقوقها
حتى لا تفجاه بغتة فيذهل ولا يخفى عليه حقوقها
فينكل فكان ذلك من الله تعالى لطفا به وانفاما
عليه وداعيا لأمته في الانقياد اليه فسبحانه من
لطيف بعباده ومنعم على خلقه

فصل

والذي تدرجت اليه احواله في النبوة حتى علم انه
نبي مبعوث ورسول مبلغ ترتب تدريجا على ستة

احوال تنقل فيها الى منزلة بعد منزلة حتى بلغ
غايتها فالمنزلة الأولى الرؤيا الصادقة في منامه
بما سيؤول اليه امره فكان ذلك ادكارا بها ليروض
بها نفسه وتختبر فيها حواسه فيقوم بها اذا بعث
وهو عليها قوى وبها ملي وروى الزهري
عن عروة عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
اول ما ابتدى به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة كان يجئ في مثل
فلق الصبح حتى فجاءه الحق واختلف في هذه الرؤيا
هل كانت قبل انقطاعه الى الخلوة بحراء فحكى عروة
عن عائشة رضي الله عنها انه حبب اليه الخلا
بعد الرؤيا وذهب قوم الى ان الرؤيا جاءت بعد
خلوته لأنه خلا على غفلة من امره وقد روت
برة بنت ابي تجراة ان الله تعالى لما اراد كرامة
رسوله بالنبوة كان لا يمر بشجر ولا حجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله فكان يلتفت عن
يمينه وشماله وخلفه فلا يرى شيئا أحدا
فاحتمل ان يكون ذلك قبل رؤيا المنام فيكون
كالهتوف الخارجة عن اعلام الوحي الى اعجاز النبوة
واحتمل ان يكون بعد الرؤيا فيكون تصديقا
لها وتحقيقا لصحتها فصل ف

والمنزلة الثانية

والمنزلة الثانية ما ميز به عن سائر الخلق من
تقديسه عن الأرجاس وتطهيره عن الأدناس
ليصفو اصطفاؤه ويخلص فيستخلص فيكون ذلك
انذارا بالأمر وتنبيها على العاقبة وهو ما رواه
عروة بن الزبير عن ابى ذر الغفارى قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول نبوته
فقال يا أبا ذر اتانى ملكان وانا ببطحاء مكة
فوقع احدهما على الأرض والآخر بين السماء والأرض
فقال احدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو فزنه
برجل من امته فوزنت برجل فرجحته ثم قال
زنه بعشرة فوزنت بعشرة فرجحتهم ثم قال زنه
بمائة فوزنت بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بألف
فوزنت بالف فرجحتهم فجعلوا ينثرون على فى
كفة الميزان فقال احدهما للآخر لو وزنته
بأمته لرجحها ثم قال لاحدهما لصاحبه شق
بطنه فشق بطنى ثم قال شق قلبه فشق قلبى
واخرج منه مضغ الشيطان وعلق الدم ثم قال
اغسل بطنه غسل الأناء واغسل قلبه غسل
الملاء ثم دعا بالسكينة فادخلت قلبى ثم قال خط
بطنه فخاط بطنى فما هو الا ان ولياحتى كأنما
اعاين الأمر وروى انس بن مالك قال لما اذن

ان بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نيام
حول الكعبة وكانت قريش تنام حولها فاتاه جبريل
وميكائيل فقالا لابايهم امرنا فقالا امرنا بسيدهم ثم
ذهبا وجآ من القابلة وهم ثلثة فالقوه وهو نائم
فقبلوه لظهره وبشقوا بطنه ثم جاؤا بماء من زمزم
فغسلوا ما كان فى بطنه من شك اوضلالة او
جاهلية ثم جاؤا ببطست من ذهب قد ملئ ايمانا
وحكمة فملئ بطنه وجوفه ايمانا وحكمة وهذا
موافق لحديث ابى ذر فى المعنى وان خالفه فى الصفة
فنورد فى الرواية وهو انذار بالنبوة فصل
والمنزلة الثالثة البشرى بالنبوة من ملك اخبر بها
عن ربه اختصت بشراه بالاستمرار وتجردت عن
تكليف وانذار لم يسمع بها وحيا ولا راى معها
شخصا وانما كان احساسا بالملك اقرن بأية دلت
وامارة ظهرت اكتفى بها عن مشاهدته واستغنى
بها عن نطقه ليعلم انه من انبياء الله فيتاهب
لوحيه وبيان بامهاله فيكون على البلوى
والنعمة اكثر اشكر وروى الشعبى وداود بن عامر
ان الله تعالى قرن اسرافيل بنبوة رسوله ثلاث
سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه ويعلمه الشئ
بعد الشئ ولا ينزل عليه بالقرآن فكان فى هذه

المدة

المدة مبشرا بالنبوة وغير مبعوث الى الأمة فاحتمل
ان يكون امهاله فيها معونة للرسول الله صلى
الله عليه وسلم واحتمل ان يكون نظرا للأمة واحتمل
ان يكون لأوان المصلحة وليس يمتنع ان يكون لجميعها
فانه أعلم بسر ما أخفى واعرف بمعنى ما أظهر

فصل

والمنزلة الرابعة ان نزل عليه جبريل بوحي ربه
حتى راى شخصه وسمع مناجاته فاخبره انه نبي
الله ورسوله واقتصر به على الأخبار ولم يأمره
بالانذار ليعلمها بعد البشرى عيانا ويقطع بها يقينا
فتكون نفسه بها اوثق وعلمه بها اصدق فلا يعترضه
وهم ولا يخالطه ريب روى الزهري عن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما جئه الحق اتاه جبريل فقال يا محمد انت رسول الله
قال رسول الله فجثوت لركبتي وانا قائم ثم رجعت
ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني
زملوني حتى ذهب عني ثم اتاني فقال يا محمد
انا جبريل وانت رسول الله ثم قال اقراء باسم
ربك الذي خلق فأتيت خديجة فقلت لقد
اشفقت على نفسي فاخبرتها خبري فقالت
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم

وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكل وتقرى
الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بى الى ورقه
ابن نوفل وكان ابن عمها وخرج فى طلب الدين وقيل قرأ
التوراة والأنجيل وتنصر وقالت اسمع من ابن اخيك
فسألنى فاخبرته خبرى فقال هذا الناموس الذى
نزل على موسى يعنى جبريل ليتنى اكون حيا حين
يخرجك قومك فلت اومخرجي هم قال نعم انه لم يى رجل
قط بما جيئت به الا عودى ولئن ادركنى يومك لأنصرنك
نصرا مؤزرا ثم كان اول ما نزل على رسوله من القرآن
بعد اقرأ نون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى
خلق عظيم فستبصر ويبصرون ونزل عليه ذلك
ليزداد به ثباتا ولنفسه استبصارا ولنعمة ربه
شكرا وروى ان خديجة رضي الله عنها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يستطيع أن
تخبرنى بصاحبك هذا اذا اتاك يعنى جبريل قال نعم جاءك
قالت فاخبرنى به اذا اتاك فجاءه جبريل فقال لها
يا خديجة هذا جبريل قالت قم فاجلس على فخذى
اليسرى فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت
فتحول الى فخذى اليمنى فتحول اليها فقالت هل تراه قال
نعم قالت فتحول الى حجرى فتحول فى حجرها فقالت هل

تراه

تراه قال نعم فتحسرت والقت قناعها وهو جالس فى
محرها وقالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت
وابشر فوالله انه لملك وما هو بشيطان وامنت
به فكانت اول من اسلم من جميع الناس واستظهرت
مذيجة بما فعلته من هذا فى حق نفسها لا فى حق
الرسول ولا استظهارا عليه واكتفى رسول الله صلى
الله عليه فى تصديق جبريل عليه السلام بما عاينه
من اياته المعجزة وكان ما نزل به جبريل فى هذه الحال
مقصورا على اخباره بالنبوة ليعلم انه ان الله
تعالى قد اصطفاه فيقطع اليه ويقف نفسه على
ما يؤمر به فينزل عليه فيكون لأوامره متبعا ولما يراد
به متوقعا واذن له فى ذكره وان لم يؤذن له فى
انذاره لقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث
اي بما جاءك من النبوة فكان يذكرها مستبشرا

فصل

والمنزلة الخامسة ان امر بعد النبوة بالأنذار فصار
به رسولا ونزل عليه القرآن بالأمر والنهي
فصار به مبعوثا ولم يؤمر بالجهر وعموم الانذار
ليختص بمن آمنه ويشتد بمن اجابه فنزل عليه
قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر وربك
فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر

ولربك فاصبر فتمت نبوته بالوحي والانذار وان
كان على استسرار وكان ذلك في يوم الاثنين
من شهر رمضان قال هشام بن محمد اول ما لقاه
ما لقاه جبريل في ليلة السبت ثم ليلة الأحد ثم
ظهر له برسالته اليه في يوم الاثنين وروى ابو
قتادة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم
الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وانزل علي فيه
النبوة واختلف في اي اثنين كان من شهر رمضان
فقال ابو قلابه كان في الثامن عشر منه وقال
ابو الخلد كان في الرابع والعشرين منه وهو ابن
اربعين سنة في قول الأكثرين لأربعين سنة مضت
من عام الفيل وزعم قوم انه كان بن ثلث واربعين
سنة قال هشام بن محمد وذلك لعشرين سنة
من ملك كسرى ابروين وقال غيره لستة عشر
سنة من ملكه ثم روى ان جبريل عليه السلام نزل
عليه في يوم الثلاثا ثاني النبوة وهو باعلى مكة
فهمز بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين
فتوضأ جبريل منها ليريه كيف الطهور فتوضأ
مثل وضوءه ثم قام جبريل فصلى وصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصلاته فكانت هذه اول

عبادة

عبادة فرضت عليه ثم انصرف جبريل فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى خديجة فتوضأ
لها حتى توضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه
السلام فكانت اول من توضأ بعده وصلى واستتر
بالأنذار بمن يأمنه فاختلف في اول من اسلم
بعد خديجة على ثلثة اقاويل احدها ان علي
ابن ابي طالب عليه السلام اول من اسلم من الذكور
وصلى وهو بن تسع سنين وقيل ابن عشر وهذا
قول جابر بن عبد الله وزيد بن ارقم وروى
يحيى بن عفيف عن ابيه عفيف قال جئت في
الجاهلية الى مكة فنزلت على العباس بن عبد
المطلب فلما طلعت الشمس وكلقت في السماء
اقبل شاب فرمى ببصره الى السماء واستقبل الكعبة
الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث ان جاء غلام
فقام عن يمينه فلم يلبث ان جائت امرأة فقامت
خلفهما فركع الشاب وركع الغلام والمراءة ورفع الشاب
فرفع الغلام والمراءة فخر الشاب ساجدا فسجدا
معه فقلت للعباس ياعباس هل تدرى من هذا
قال العباس نعم هذا محمد بن عبد الله بن اخي
وهذا علي بن ابي طالب ابن اخي وهذه خديجة
بنت خويلد زوجة بن اخي وهذا حدثني ان

رب السماء امره بهذا الذى تراهم عليه وايم الله
ما اعلم على ظهر الأرض كلها احدا على هذا
الدين غير هؤلآء الثلاثة والقول الثانى ان اول
من اسلم وصلى ابوبكر وهذا قول بن عباس وابى
امامة الباهلى وروى ابو امامه عن عمرو بن
عبسه السلمى قال اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله
من تبعك على هذا الأمر قال تبعنى عليه
رجلان حر وعبد ابوبكر وبلال قال فأسلمت
عند ذلك فلقد رايتنى اذ ذاك ربع الأسلام وقال
الشعبى سألت بن عباس رضي الله عنه عن اول
الناس اسلاما فقال اما سمعت قول حسان
ابن ثابت

اذا تذكرت شجوا من اخى ثقة فاذكر اخاك ابابكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها بعد النبي واوفاها بما حملا
الثانى التالى المحمود مشهده واول الناس منهم صدق الرسلا

والقول الثالث ان اول من اسلم زيد بن حارثه
وهذا قول عروة بن الزبير وسليمن بن يسار
وجعل ابوبكر يدعوا الى الأسلام من يثق به لأنه
كان تاجرا ذا خلق معروف وكان انسب قريش
واعلمهم بما كانوا عليه من خير وشر حسن

التألف

التألف لهم وكانوا يكثرون غشيانه فاسلم على
يده عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله
والزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد
الرحمن بن عوف فجا بهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استجابوا اليه بالأسلام وصلوا
فصار واحد من تقدم ثمانية نفرهم اول من اسلم
وصلى وقيل انه اسلم معهم سعيد بن العاص ثم
وابو ذر ثم تتابع الناس فى الأسلام ورسول الله
صلى الله عليه وسلم على استتاره بالدعاء
وان انتشرت دعوته فى قريش **فصل**
والمنزلة السادسة ان امر بأن يصدع بالأنذار
بعد خصوصه ويجهر بالدعاء الى الأسلام بعد
استتاره فأنزل الله تعالى عليه فاصدع بما
تؤمر واعرض عن المشركين فجهر بالدعاء قال بن
اسحاق وذلك بعد ثلث سنين من مبعثه وامر
ان يبداء بعشيرته الأقربين فقال تعالى
وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك
لمن تبعك من المؤمنين قال بن عباس فصعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصفا فهتف يا صباحاه
يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف حتى ذكر الأقرب
فالأقرب من قبايل قريش فاجتمعوا اليه وقالوا

مالك قال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج من
سفح هذا الجبل اما كنتم تصدقوني قالوا بلى ما جربنا
عليك كذبا قال فاني لكم نذير لكم بين يدي
عذاب اليم شديد فقال ابو لهب تبا له الهذا
جمعتنا ثم قام فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب
وتب الى اخر السورة قال ابن اسحق ولم يكن من
قريش في دعائه لهم مباعدة لهم ولكن ردوا عليه
بعض الرد حتى ذكر الهتهم وعابها وسفه احلامهم
في عبادتها فلما فعل ذلك اجمعوا على خلافه
وتظاهروا بعداوته الا من عصمه الله تعالى
منهم بالأسلام وهم قليل مستخفون فصار
بعموم الأنذار والجهر بالدعاء الى التوحيد
والأسلام عام النبوة مبعوثا الى كافة الأمة فكمل
فكمل الله تعالى بذلك نبوته وتمم به رسالته
فصدع بأمره وقام بحقه وجاهر بانذاره وعم
بدعائه وجاهد في الله حق جهاده حتى حصم
قريشا حين جادلوه وصابرهم حين عاندوه وجمعهم
وجمعهم غفير وجمعهم كثير الى ان علت كلمته
وظهرت دعوته وكابد من الشدايد ما لا يثبت
عليها الا معصوم ولا يسلم منها الا منصور وكل
هذه ايات تنذر بالحق وتلايم الصدق لأن

الله لا يهدي

الله لا يهدى كيد الخائنين ولا يصلح عمل
المفسدين

فصل

فأما ما شرعه من الدين فالشرع بعد التوحيد
يشتمل على قسمين عبادات واحكام فاما العبادات
فلم يشرع منها مدة مقامه بمكة الا الطهارة
والصلاة حين علمه جبريل الوضوء والصلوة ﷺ
وكانت فرضا عليه وسنة لامته لقول الله ﷻ
تعالى يا ايها المزمل قم فانذر الليل الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا او زد عليه فكان هذا حكمها
فى حقه وحقوق امته الى ان فرضت الصلوات
الخمس بعد اسرائه من المسجد الحرام الى
المسجد الأقصى وذلك فى السنة التاسعة
من نبوته فصارت الصلوات الخمس فرضا عليه
وعلى امته ولم يفرض ما سواها من العبادات حتى
هاجر الى المدينة وصارت له بالاسلام دارا وصار
اهلها انصارا فأول ما فرض بالمدينة من العبادات
فرض الصلوات الخمس بمكة صيام شهر رمضان
فى الثانية من الهجرة من شعبان وفيها حولت
القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وفرض فيها
زكوة الفطر وشرع فيها صلوة العيد وكان فرض
الجمعة قد تقدم فى اول الهجرة بدلا من صلوة ﷺ

الظهر ثم فرضت زكوة الأموال بعد ظهور القوة
وبسط الخلة ثم الحج والعمرة واما الأحكام فما اوجبته
قضايا العقول من تحريم القتل والزنا كان مشروعا
بمكة مع ظهور انذاره وما تردد فى قضايا العقول
بين فعله وتركه كف عن الحكم فيه بتحليل
او تحريم او حظر او اباحة او استحباب او كراهة
فلم يحلل بمكة حلالا ولا حرم بها حراما حتى هاجر
منها فحلل بعد الهجرة وحرم واباح وحظر لأنه
كان بمكة مغلوبا باستيلاء قريش عليها
وكانت دار شرك لا ينفذ فيها احكامه فلم
يحلل ولم يحرم حتى صار بالمدينة فى دار اسلام
تنفذ فيها احكامه فبين ما حلل وحرم وبين
ما اباح وحظر وبين ما يصح من العقود وما يفسد
ولذلك كان بالمدينة مسالما وبالمدينة محاربا
فكانت الحكمة موافقة لأفعاله والتوفيق
معاضدا لأقواله وان كان مأمورا بها كما قال
الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى لكن لحسن قيامه بها وموافقة الصواب
فى مواضعها تظهر آثار حكمته فى صحة حزمه
وصدق عزمه فهذه جملة مقنعة فى اعلام
نبوته وقاعدة مستقرة فى ترتيب رسالته

واحكام شريعته

واحكام شريعته فاما احكام جهاده
في حروبه وغزواته فسنذكره
في كتاب نفرده في سيرته نوضح
به مواقع اعلامه ومبادي
احكامه وبالله
التوفيق تم الكتاب
الاتكال
تم بعون الله تعالى